تشاك بالانيك

الناجي الأخير

تشاك پالانيك

النَّاجِي الأَخير

الكتاب: الناجي الأخير
المؤلف: تشاك پَالانيك
المترجم: هشام فهمي

عدد الصفحات: 336 صفحة

الترقيم الدولي: 978-977-6483-01-9

رقم الناشر: 2014/15505

هذه ترجمة لكتاب:
Survivor
Copyright © 2002 by Chuck Palahniuk

الطبعة الأولى: 2015

جميع الحقوق محفوظة ©

الناشر:

منشورات الرمل – مصر
مصر: القاهرة–وسط البلد –19 عبد السلام عارف (البستان سابقًا)–الدور 8–شقة 82
هاتف: 0020223921332 فاكس: 0020227738932
بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com

توزيع دار التنوير
بيروت - القاهرة - تونس

تشاك پَالانيك

النَّاجِي الأَخير

ترجمة

هشام فهمي

منشورات الرمل

خاطرة من تشاك[1]

في الحكي لا يكون باطِن الأشياء كظاهِرها أبدًا، وهذه الرواية -في جَوهَرها- تتكلّم عن نظامنا التعليمي، لأني أشعر في أحيانٍ كثيرة أن الأطفال لا يتم إلا تعليمهم أو تدريبهم على أن يصيروا أفضل تروسٍ ممكنة في ماكينات الشركات الكُبرى لا أكثر، لكنهم لا يتعلّمون أبدًا كيف يُصبحون أقوياء فعّالين وكيف يفتتحون شركاتهم الخاصة، في سبيل أن يُشكّلوا حياتهم ويُقرّروا مصائرهم بأنفسهم.

إنهم يُعلّمونهم أن يكونوا مجرّد موظّفين مجتهِدين لا غير، أن يصيروا جزءًا من القطيع.

(1) آثرنا أن نكتب اسم تشاك بَالانيك كما يُكتب بالإنجليزية، بدلا من كتابته كما يُنطق «بولانيك». (الناشر).

إلى مايك كيف ومايك سميث، إلى شون جرانت وهايدي ويدن ومات پالانيك.

وكيل الأعمال في هذا الكتاب ليس إدوارد هيبرت، الذي يُمثِّل كتاباتي بكلِّ ما لديه من حِسٍّ دعابة وحيويَّة وبراعة.

لا أحد في هذا الكتاب يملك مهارة مُحرِّره چيري هوارد، ولا أحد في أيِّ مكانٍ يملك ما لدى لويس روزنثال من التزام وقُدرة على المساعَدة.

لم يكن هذا الكتاب ليَخرُج إلى النور من دون ورشة الكتابة كل ليلة ثلاثاء في منزل سوزي.

- 47 -

اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة... اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة...

لا أدري إن كان هذا الشيء يعمل، لا أدري إن كنت تسمعني.

لكن إذا كان يمكنك أن تسمعني، فأريدك أن تُصغي. وإذا كنت تُصغي، فما عثرت عليه هو قصَّة كلّ الأخطاء التي ارتُكِبَت. هذا هو مُسجِّل الرحلة 2039، أو الصندوق الأسود كما يُطلِقون عليه، على الرغم من أنه برتقالي اللون، وبداخله حلقة من الأسلاك هي بمثابة التسجيل الدائم لكلّ ما تبقَّى. إن ما وجدته هو قصَّة كلّ ما حدث.

هلُم...

يمكنك أن تُسخِّن هذه الأسلاك إلى أن تتَّقد، ولن تختلف تفاصيل القصَّة التي ستُخبِرك بها في أيِّ شيء.

اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة...

وإذا كنت تُصغي، فيجب أن تعرف من البداية أن المسافرين آمنون بعد أن تركتهم ينزلون من الطائرة في جُزُر نيو هبرايدز[1]، ثم بعد أن لم يعد هناك سواي وسواه على متن الطائرة التي عادت تُحلِّق، وثب الطيَّار بالمظلَّة في مكانٍ ما إلى سطحٍ مائي، في المحيط على ما أعتقد.

سوف أردِّدها مرَّة بعد مرَّة: أنا لست بقاتل، وهذه هي الحقيقة. إنني وحدي تمامًا ها هنا، السَّفينة الشَّبَح.

---

(1) مجموعة جزر تقع شرق أستراليا.

وإذا كنت تُصغي لهذا، فيجب أن تعرف أنني بمفردي في قمرة القيادة على متن الرحلة 2039 مع حفنةٍ كاملة من تلك الزجاجات الصغيرة من الڤودكا والچين، الفارغة غالبًا، المصفوفة على البُقعة التي تجلس عليها، قُبالة النوافذ الأماميَّة، لوحة التحكُّم. في كابينة الرُّكَّاب تقبع الأطباق الصغيرة التي تحمل وجباتهم -تشيكن كييڤ وبيف ستراجونوف- نصف مأكولةٍ، وقد أخذ مُكيِّف الهواء يسحب أيَّ رائحة طعام عالقة في الجو، ولا تزال المجلات مفتوحة على الصفحات التي كانوا يقرأونها. مع خواء جميع المقاعد من أصحابها، يمكنك أن تتظاهر بأن الجميع قد دخلوا الحمَّام. من سمَّاعات الرأس الستريو البلاستيكيَّة يمكنك سماع طنينٍ منخفِض لموسيقا مُسجَّلة.

هنا، فوق السحاب، ليس هناك سِواي في كبسولةٍ زمنيَّة من طراز بوينج 747–400، ومعي مائتا قطعة تقريبًا من بقايا طبق الحلوى، كعكة الشوكولاتة، وبيانو بار في الطابق العلوي يمكنني أن أصعد إليه على السلالم الحلزونية وأخلط لنفسي شرابًا صغيرًا آخر.

لن أثير مللك بجميع التفاصيل لا سَمَحَ الله، لكن القيادة هنا للطيَّار الآلي حتى ينفد الوقود تمامًا. يُسمِّي الطيَّار هذه العملية انطفاء المحرِّكات، حيث ستنطفئ محرِّكات الطائرة كلها واحدًا تلو الآخر كما قال. أرادني الطيَّار أن أتوقَّع ما سيحدث، فشَرَعَ يقتلني مللًا بعشرات التفاصيل عن محرِّكات الطائرات وتأثير ڤنتوري[1] وزيادة الارتفاع بزيادة انحناء القلَّابات، وشَرَحَ لي كيف ستتحوَّل البوينج إلى طائرة شراعيَّة تزن 450 ألف رطل بعد انطفاء جميع المحرِّكات الأربعة. ولأن الطيَّار الآلي مُبرمَج على الطيران في خطٍّ مستقيم، فستبدأ الطائرة الشراعيَّة الجزء الذي يُسميه الطيَّار الهبوط المحكوم.

---

(1) انخفاض ضغط الموائع عند مرورها من ضيق في منتصف أنبوب.

أقول له إن هذا النوع من الهبوط سيكون لطيفًا على سبيل التغيير، فهو لا يعرف ما مررت به طوال هذه السنة الماضية.

تحت المظلّة كان الطيّار لا يزال يرتدي بذلته سخيفة الألوان التي تبدو كتصميم هندسي. في ما عدا ذلك كان مفيدًا تمامًا، بل أكثر مني لو كنت في مكانه وأحدهم يُصوِّب مسدَّسًا إلى رأسي ويسألني عن كمية الوقود المتبقِّي وإلى أيِّ مدى ستصل الطائرة قبل أن ينفد. شَرَحَ لي كيف أعود بالطائرة إلى ارتفاع الملاحة بعد أن يقفز في المحيط، وأخبرَني بكلِّ شيءٍ عن الصندوق الأسود.

المحرِّكات مُرقَّمة من واحد إلى أربعة، من اليسار إلى اليمين.

الجزء الأخير من الهبوط المحكوم سيكون عبارةً عن نزولٍ رأسي بأنف الطائرة إلى الأرض، وهو ما يُطلِق عليه الطيَّار المرحلة الأخيرة من الهبوط، مع انقضاض الطائرة على الأرض بسرعة 32 قدمًا في الثانية. يُسمُّونها السرعة النهائية[1]، عندما تتحرَّك جميع الأجسام ككُتلةٍ واحدة بالسرعة نفسها. ثم يدخل الطيَّار في كثيرٍ من التفاصيل عن فيزياء نيوتن وبرج بيزا.

يقول: «لكن لا تستشهِد بكلامي عن أيِّ شيءٍ من هذا، فلم أتعرَّض لأيِّ اختباراتٍ منذ زمن».

ويضيف أن وحدة الطاقة المساعِدة سوف تستمر في توليد الكهرباء حتى اللحظة التي تصدم فيها الطائرة الأرض.

- «سوف تستمتع بالهواء المكيَّف وموسيقا الستريو إلى أن تكفَّ عن الشعور بأيِّ شيء».

أقول له إن آخر مرَّةٍ شعرت فيها بأيِّ شيء كانت منذ زمنٍ طويل، منذ

---

(1) أقصى سرعة ثابتة يصل إليها الجسم الساقط تحت تأثير الجاذبية الأرضية.

سنةٍ تقريبًا، أما الأولوية الآن فهي لمغادَرته الطائرة كي أستطيع وضع المسدَّس أخيرًا.

إنني أصوِّب هذا المسدَّس منذ فترةٍ طويلة، وفقدت كلَّ إحساسٍ في ذراعي.

ما تنساه وأنت تُخطِّط لاختطاف طائرة بنفسك أنك قد تضطر في مرحلةٍ ما لأن تتخلَّى عن مراقَبة رهائنك لدقائق تدخل فيها الحمَّام.

قبل أن نهبط في پورت ڤيلا[1]، كنت أهرع من مكانٍ إلى مكانٍ عبر الكابينة حاملًا مسدَّسي، لأتأكَّد من حصول المسافرين والطاقم على وجباتهم. هل يحتاج أحدهم مشروبًا طازجًا؟ من يريد وسادةً؟ سألت الجميع أيهما يُفضِّلون، الدجاج أم اللحم؟ القهوة منزوعة الكافيين أم العاديَّة؟

الطعام وما يتعلَّق به هو الشيء الوحيد الذي أبرع فيه حقًّا، لكن المشكلة كانت أن تقديم كل هذا الطعام والهروع جيئةً وذهابًا في الكابينة كان بيدٍ واحدة بالطبع، لأنني لم أتخلَّ عن المسدَّس لحظة. عندما هبطنا وأخذ المسافرون يغادرون الطائرة، وقفت عند باب الكابينة الأمامي وأخذت أردِّد أنني آسف، وأعتذر عن الإزعاج الذي سبَّبته. أتمنى لكم رحلة آمنة ممتعة، وشكرًا لكم للسفر على خطوط طيران إلخ... إلخ...

ثم إننا حلَّقنا مرَّة أخرى بعدما لم يعد هناك سِواي والطيَّار.

قبل أن يقفز مباشرةً، يقول لي الطيَّار إنه بمجرَّد أن يتوقَّف كل محرِّك سيُعلن الإنذار عن انطفاء المحرِّك الأول أو الثالث أو غيرهما مرَّةً بعد مرَّةٍ، وبعد انطفاء المحرِّكات كلها، فالوسيلة الوحيدة لمواصَلة الطيران هي أن تظل مقدِّمة الطائرة مرفوعة. كل ما عليك هو أن تسحب المقود -أو النِّير كما يُطلِق عليه- إلى الخلف كي تُحرِّك الرافعات في الذيل.

---

(1) عاصمة فانواتو وتقع شرق أستراليا.

سوف تفقد السرعة، لكنك ستحافظ على الارتفاع. سيبدو لك أنك تملك الاختيار بين السرعة أو الارتفاع، لكنك ستصدم الأرض في النهاية في كلتا الحالتين.

أقول له إن هذا يكفي. إنني لا أنشُد الحصول على رخصة طيران على كلِّ حال. فقط أريد قضاء حاجتي دون إزعاج، أريده أن يغادر الطائرة.

ثم إننا نخفض السرعة إلى 175 عقدة. لا أريد أن أثير مللك بالتفاصيل، لكننا نهبط إلى ارتفاعٍ أقل من عشرة آلاف قدمٍ ونفتح باب الكابينة الأمامي، ثم يقفز الطيَّار، وقبل أن أغلق الباب أقفُ على العتبة وأقضي حاجتي وراءه؛ ودعني أقول لك إن لا شيء في حياتي مَنَحَني هذا الشعور الرائع من قبل. لن يُمثِّل هذا مشكلةً للطيَّار في طريقه إلى أسفل على كلِّ حال إذا كان السير إسحق نيوتن على حق.

وهكذا، ها أنا الآن أحلِّق غربًا بسرعة 0.83 ماخ أو 455 ميلًا في الساعة، سرعة جويَّة حقيقيَّة، وبهذه السرعة وعلى هذا الارتفاع تظل الشمس عالقةً في مكانٍ واحد طوال الوقت. الزمن متوقِّف. أحلِّق فوق السحاب بارتفاع ملاحةٍ يبلغ 39 ألف قدمٍ فوق المحيط الهادي. أحلِّق نحو الكارثة، نحو أستراليا، نحو نهاية قصَّة حياتي في خطٍّ مستقيم إلى الجنوب الغربي حتى تنطفئ المحرِّكات الأربعة.

اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة...

مرَّة أخرى، أنت تُصغي لمُسجِّل الرحلة 2039. وعلى هذا الارتفاع -اسمع- وبهذه السرعة، ومع خلو الطائرة، يقول الطيَّار إن ما تبقَّى من الوقود يكفي ست أو سبع ساعاتٍ تقريبًا من الطيران، لذا سأحاول أن أكون سريعًا. سوف يُسجِّل الصندوق الأسود كلَّ كلمةٍ أقولها هنا في قمرة القيادة، ولن تتحوَّل قصتي إلى زليون شظيةٍ مكسورة دامية ثم تحترق مع حطام طائرةٍ تزن ألف طن. عندما تتحطَّم الطائرة سيبحثون عن الصندوق الأسود، وستنجو قصتي.

اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة...

قبل أن يقفز الطيَّار مباشرةً، وباب الكابينة مفتوح إلى الداخل والسُّفُن الحربية تراقبنا والرادار الخفي يتعقَّبنا، ونحن على عتبة الباب وسط صراخ المحرِّكات وعواء الرياح، التفت إليَّ الطيَّار بمظلَّته وصاح:

- «لكن لماذا هذه الرغبة القويَّة في الموت؟».

صحت فيه أن يتأكَّد من سماع التسجيل فيما بعد، فصاح:

- «تذكَّر إذن أن لديك ساعات قليلة فقط. وتذكَّر، إنك لا تعرف متى سينفد الوقود بالضبط. هناك دائمًا احتمال أن تموت في منتصف القصَّة».

صِحت أن لا شيء جديدًا في هذا، وصِحت أن يقول لي شيئًا لا أعرفه.

وقفز الطيَّار، وأفرغت مثانتي، ثم أغلقت باب الكابينة.

في قمرة القيادة أدفع دوَّاسة الصمّام الخانق إلى الأمام وأسحب المقود إلى الخلف حتى أرتفع مرَّة أخرى. كل ما عليَّ فعله الآن هو ضغط زر الطيَّار الآلي ليتولَّى القيادة، وهو ما يقودنا إلى اللحظة الحالية.

فإذا كنت تُصغي لهذا، إلى صندوق الرحلة 2039 الأسود الذي لا يمكن تدميره، يمكنك أن تذهب وتعرف البُقعة التي انتهت إليها هذه الطائرة وما تبقَّى منها. ستعرف أنني لست طيَّارًا عندما ترى الدمار والحفرة الهائلة التي أحدثَتها الطائرة في الأرض. إذا كنت تُصغي إلى هذا، فأنا ميت.

أما الآن فلديَّ بضع ساعاتٍ أحكي فيها قصتي، لذا أعتقد أن هناك فرصة لأن أحكي هذه القصة كما ينبغي.

اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة...

السماء زرقاء جميلة في كلِّ اتجاه، والشمس مكتملة حارقة أمامي مباشرةً.

إننا فوق السُّحُب، واليوم يومٌ جميلٌ إلى الأبد.

دعني أبدأ من البداية إذن.

أيها الصندوق الأسود، إليك ما حدث حقًّا.

و...

بالمناسبة، إن شعوري الآن شديد الروعة بحق.

و...

لقد ضيَّعت عشر دقائقٍ بالفعل.

و...

أكشن!

الطريقة التي أعيش بها تجعلني أجد من الصعب أن أغلِّف شريحةً من اللحم البتلو بالبقسماط، أو قطعة من السمك أو الدجاج، حسب طعام هذه الليلة أو تلك. لكن في جميع الأحوال، بمجرَّد أن أغطِّي يدي بالبيض النيء وأمسك قطعة اللحم باليد الأخرى، يتَّصل بي أحدهم قائلًا إنه في مأزق.

يحدث هذا في كلِّ ليلةٍ تقريبًا من حياتي الآن.

الليلة تتَّصل بي فتاة من نادٍ صاخب للرَّقص، والكلمة الوحيدة التي أستطيع أن أتبيَّنها منها هي (الخلْف).

تقول مُهاتِفتي:

- «الحقير!».

وتقول كلمة أخرى لم أسمعها جيدًا، من الممكن أن تكون *Muffin* أو *Nothing* الحقيقة أنك لا تستطيع ملء الفراغات في عباراتها، وهكذا تجدني أقف في المطبخ وحيدًا أصيح كي يعلو صوتي فوق صخب الموسيقا الراقِصة. يبدو صوتها شابًّا مُنهَكًا، فأسألها إن كانت تستطيع أن تثق بي. هل تعبَت من الألم؟

أسألها: إذا كانت هناك وسيلة وحيدة لإنهاء ألمها، فهل ستتبعها؟

تسبح سمكتي الذهبيَّة في حماسٍ في حوضها الموضوع فوق الثلاجة، فأمد يدي وأُسقِط حبَّة من الڤاليوم في الماء.

أصيح في الفتاة: هل اكتفيتِ؟

أصيح فيها أنني لن أقف في مكاني هنا وأصغي إليها إذ تجأر بالشكوى.

وقوفي هنا ومحاولة إصلاح حياتها مضيعة كبيرة للوقت لا أكثر. لا أحد يريد إصلاح حياته، لا أحد يريد الخلاص مما يُعانيه من مشاكِل، لا أحد يريد حلًّا لما في حياته من دراما، أو نهايةً لما يشعُر به من حيرة، لا أحد يريد خاتمةً لقَصَّته أو لكلِّ الفوضى المُتَغَلْغِلَة في دُنياه، لأن... ما الذي سوف يتبقَّى في النهاية حقًّا؟ لا شيء إلا بُقعة ضخمة من المجهول المخيف.

معظم من يتَّصلون بي يعرفون ما يريدون بالفعل. بعضهم يريد الموت لكنه ينتظر الإذن مني. بعضهم يريد الموت لكنه يحتاج إلى بعض التشجيع، إلى دَفعةٍ صغيرة. المُصمِّم على الانتحار لا يتبقَّى لديه الكثير من حِسِّ الدُّعابة، ومن شأن كلمةٍ خاطئةٍ واحدةٍ أن تُحيله إلى نعي في صفحة الوَفِيَّات في الأسبوع التالي مباشَرةً. معظم الاتِّصالات التي تأتيني أكون نِصف مُصغٍ لها على كلِّ حال، ومعظم المتَّصلين أقرِّر من نبرة صوته من منهم يعيش ومن يموت.

ليس هناك طائل من الفتاة التي تُهاتِفني من نادي الرقص، فأقول لها أن تقتل نفسها.

تقول:

- «ماذا؟».

- «اقتلي نفسك».

تقول:

- «ماذا؟».

أقول لها أن تُجرِّب الباربيتورات[1] والكحول أثناء وضع رأسها داخل ماكينة التنظيف الجاف.

---

(1) مجموعة أدوية مهدئة.

تقول:

- «ماذا؟».

لا يمكنك أن تُغلِّف شريحة من اللحم البتلو بيدٍ واحدة وتحصل على نتيجةٍ مُرضِية، فأقول لها الآن أو لا للأبد. اجذبي الزناد أو لا تفعلي. إنني معها الآن فلن تموت وحيدةً، لكني لا أملك الليل بطوله.

تنفجِر في البكاء، فيبدو بكاؤها كجزءٍ من الموسيقا الراقصة، وأضع السمَّاعة.

عليَّ تغليف قطعة اللحم بالبقسماط، وفوق هذا يريد هؤلاء الناس مني أن أجعل حياتهم أفضل.

أمسك الهاتف بيدٍ وأحاول أن أجعل البقسماط يلتصق بيدي الأخرى. ليس من المفترَض أن يكون هناك شيء بهذه الصعوبة. كل ما عليك هو أن تُقلِّب قطعة اللحم في البيض النيء، ثم تنفضها كي يسقط عنها البيض الزائد، ثم تضعها في البقسماط. مشكلتي مع قطعة اللحم هذه أنني لا أستطيع ضبط غلاف البقسماط عليها، إذ تظل في بعض الأماكن عاريةً، وفي أماكنٍ أخرى يكون الغلاف شديد السُّمك فلا يمكنك تخمين كنه الموجود تحته.

كان هناك الكثير من المرح فيما سبق. يتَّصل بك أشخاص على حافَّة الانتحار، وتتَّصل بك نساء، وأنا وحدي مع سمكتي الذهبية في مطبخي القذر أغلِّف قطعة من اللحم بالبقسماط مرتديًا البوكسرز فقط. كلُّ هذا وأنا أسمع التضرُّعات وأمنح النَّصيحة وأُنزِل العقاب.

يتَّصل بي رجل بعد أن أغيب في النوم طبعًا (لأن هذه الأشياء تحدث دائمًا)، والشيء الوحيد الذي يمنع مجيء هذه المكالمات طوال الليل هو أن أفصل الهاتف. الليلة سيتصل فاشلٌ ما بعد أن تُغلِق البارات أبوابها ليقول إنه جالس الآن عاقدًا قدميه على الأرضيَّة في شقَّته. يقول إنه لا

يستطيع النوم دون أن يرى تلك الكوابيس الشنيعة. في أحلامه هذه يرى طائراتٍ مليئة بالناس تسقط وتتحطَّم. الأحلام تبدو حقيقيَّة تمامًا، وهو لا يجد أحدًا يُساعده. لا يمكنه النوم، ولا يمكنه العثور على مساعَدة، والآن يقول لي إنه يُسنِد ذقنه إلى فوهة بندقيَّة ويطلب مني أن أعطيه سببًا واحدًا يمنعه من ضَغْط الزِّناد.

لا يمكنه مواصَلة الحياة وهو يعرف ما يحمله المستقبَل ودون أن يستطيع إنقاذ أحد.

يتَّصل بي هؤلاء الضحايا أصحاب المعاناة المزمِنة. يتَّصلون بي ويكسرون رتابة الحياة، ما أعتبره أفضل من مُشاهدَة التليفزيون.

أقول له أن هلُمّ، اقتل نفسك وأنا نصف مستيقظ. إنها الثالثة بعد منتصف الليل ولديَّ عمل في الصباح. أقول له أن يُسرِع ويضغط الزناد قبل أن أغيب في النوم من جديد.

أقول له إنه ليس شيئًا جميلًا أن يبقى في هذا العالم الذي نعيش فيه ويعاني، هو ليس عالمًا جديرًا بالحياة.

عملي أغلب الوقت هو خدمات نظافة المنازل. مواطن من الطبقة الكادحة بدوامٍ كامل، وإله بنصف دوام.

علَّمتني التجارب السابقة أن أُبعد سمَّاعة الهاتف عن أذني عندما أسمع تكَّة زناد البندقيَّة. هناك ذلك الانفجار من الاستاتيكية، وفي مكانٍ ما تسقط سمَّاعة هاتف على الأرض. إنني آخر شخص يتحدَّث إليه، وقبل أن يصمت الرنين في أذني أكون قد غِبت في النوم مرَّة أخرى.

سوف يُنشَر النعي الأسبوع القادم؛ سِت بوصاتٍ تُكوِّن عمودًا كُتبت فيه أشياء عن لا شيء يهم أحدًا حقًّا. إنك تحتاج إلى أن يُنشَر النعي فقط، وإلا لن تتأكَّد إن كان قد مات حقًّا أم أنه كان مجرَّد حُلم. لا أتوقَّع منك أن تفهمني.

إنه نوعٌ آخر من الترفيه، نشوة يُولِّدها كونك تملك هذه الدرجة من التحكُّم. الرجل الذي انتحر بالبندقية كان اسمه ترڤور هو ليس في النعي، ومعرفتي الآن بأنه كان شخصًا حقيقيًّا تمنحني شعورًا رائعًا. إنه قَتْلٌ عَمْدٌ، لكنه ليس كذلك بالضبط، حسب الدور الذي لعبته.

الحقيقة أن هذا عالم بشع، وأنا أنهيت معاناة الرجل. جاءتني الفكرة مصادفةً عندما نشرَت إحدى الصُّحُف موضوعًا عن خطٍّ ساخن حقيقي للأزمات، وبسبب خطأ مطبَعي نُشِر رقمي أنا في الصَّحيفة، ولم يقرأ أحد تقريبًا التصحيح الذي نُشِر في اليومِ التالي، وهكذا بدأ الناس يتَّصلون بي ليل نهار بمشاكلهم.

أرجوك ألا تحسب أنني هنا لإنقاذ الأرواح. أكون أو لا أكون؛ إنني لا أبذل مجهودًا في اتخاذ القرار. ولا تحسب أنني أسمَى من أن أتكلَّم مع الناس بتلك الطريقة، والنساء الجريحات، وأصحاب العاهات النفسية.

كادوا يُعيِّنونني في مكدونالدز ذات مرَّة، ولم أكن قد قدَّمت طلبًا للوظيفة إلا كي أقابل فتياتٍ أصغر مني في السِّن. فتيات سوداوات، هسپانيات، بيضاوات، صينيات؛ هذا هو المكتوب على طلب الوظيفة الذي يقول إن مكدونالدز يُعيِّن عاملين من مختلَف الأعراق. فتيات، فتيات، فتيات... بوفيه مفتوح من الفتيات. يقول طلب الوظيفة أيضًا إنك لا تستطيع العمل في مكدونالدز إذا كنت مصابًا بأحد الأمراض التالية: التهاب الكبد الوبائي، السلمونيلا، الشيجيلا، البكتيريا العنقوديَّة، طفيليات الجيارديَّة، أو البكتيريا الملتويَّة. هذا مضمون أكثر من فرصة لقائك بالفتيات في الشارع. لا يمكنك أن تكون حذِرًا أكثر من اللازم، فعلى الأقل قدَّمَت كلُّ واحدةٍ منهن إفادة لمكدونالدز تقول إنها نظيفة من الأمراض، بالإضافة إلى أن هناك فرصة لا بأس بها على الإطلاق أن تكون صغيرة السِّن، صغيرة بحيث لا تزال لديها بثور في وجهها وتُقهقه على كل شيءٍ سخيف، صغيرة وسخيفة وحمقاء مثلي.

فتيات في الثامنة عشرة، التاسعة عشرة، العشرين من عمرهن. أريد أن أتكلَّم معهن فقط. فتيات المعاهِد والسنة الأخيرة من الثانويَّة، القاصرات المتحرِّرات. لا يختلف هذا عن الانتحاريَّات اللاتي يتَّصلن بي، فمعظمهن في سنٍّ صغيرة. يتَّصلن بي باكيات يطلبن النجدة من هاتفٍ عمومي ما وقد بلَّل المطر رؤوسهن، يتَّصلن بي وقد تكوَّرن في الفراش ولم يغادرنه لأيام. أنا المُخلِّص... ويتَّصلن بي... أنا المُنقِذ... ويُنَهنِهن ويختنقن بدموعهن ويُخبرنني بما أطلبه منهن بأدقِّ التفاصيل.

في بعض الليالي يكون من الرائع حقًّا أن تسمعهن في الظلام. تمنحني الفتاة ثقتها بمنتهى البساطة، وأمسك الهاتف بيد وأتخيَّل أن يدي الأخرى هي الفتاة نفسها.

ليست المسألة أنني أريد أن أتزوَّج، مع أنني أحمل إعجابًا لا شكَّ فيه لمن يستطيعون قضاء بقيَّة حياتهم مع شيءٍ ما لا يتبدَّل، حتى إذا كان مجرَّد وشْم.

بدأت المكالمات تقل شيئًا فشيئًا بعد أن صحَّحت الصحيفة رقم الهاتف. كل من اتَّصلوا بي في البداية كانوا الآن موتى أو يشعرون بالحنق عليَّ ولم يعد هناك متَّصلون، وفي مكدونالدز رفضوا تعييني، فصنعت مجموعة من الملصَقات الكبيرة. كان يجب أن تكون هذه الملصَقات بارزة للعيان، ومن المفترَض أن تكون سهلة القراءة ليلًا لكلٍّ من يبكي وقد ذهبت المخدِّرات أو الكحول بعقله. الملصَقات التي أستخدمها عبارة عن خلفيَّة بيضاء عليها حروف سوداء تقول: «أعطِ لنفسك، لحياتك، فرصةً أخرى. اتصل بي للمساعدة».. ثم رقم الهاتف.

وكان اختياري الثاني: «إذا كنتِ فتاة شابة غير مسؤولة جنسيًّا، وتعانين من مشكلة مع الكحوليات، فاحصلي على المساعدة التي تحتاجينها. اتصلي على--» ورقم الهاتف.

ثِق بما أقول لك ولا تصنع هذا النوع الثاني من الملصَقات إلا إذا كنت ترغب في زيارة من الشرطة. رقم هاتفك وحده يتيح لهم وَضْع اسمك على قائمةٍ من المُشتبَه بهم باعتبارك مجرمًا محتمَلًا، وبعدها سوف تسمع صوت الكليك-كليك-كليك المميِّز للهواتف المراقَبة مع كلِّ مكالمةٍ تُجريها إلى الأبد.

ثِق بي...

إذا استخدمت الملصَق الأول، سيتَّصل بك الناس للاعتراف بخطاياهم والشكوى وطلب النصيحة والبحث عمن يُبدي لهم الاستحسان.

الفتيات اللاتي تلتقي بهن لسن بعيداتٍ كثيرًا في الحقيقة عن أسوأ سيناريو يمكن أن يقع لهن. سوف تتَّصل بك قائمة كاملة من نساءٍ يقبضن بأيديهن على الهاتف وهُن على حافة الانهيار، يطلبن منك أن تعاود الاتصال بهِن.

اتصل، أرجوك، اتصل...

اعتبرني مجرمًا جنسيًّا ضَاريًا، لكني عندما أفكِّر في الضَّواري أجدني أفكِّر في الأسود والنمور والقِطَط الكبيرة والقروش. وهذه ليست علاقة بين ضارٍ وفريسته أصلًا. هذا ليس حيوانًا يقتات على الجيفة أو نسِرًا أو ضبعًا ضاحكًا يحوم حول جثَّة، ليس طُفيلًا في مواجهة عائِل.

كلنا في البؤس سواء.

هذا هو عكس الجريمة التي بلا ضحيَّة.

أهم شيءٍ أن تُعلِّق الملصَقات في كبائن الهواتف العمومية. جرِّب الكبائن المتَّسخة القريبة من الجسور القابعة فوق المياه العميقة، وجرِّب بالقُرب من الحانات التي يذهب إليها من هُم بلا مكان ويظلون هناك حتى يُرمى بهم في الخارج عند الإغلاق.

وفي فترةٍ تكاد لا تُذكَر ستكون قد بدأت العمل.

ستحتاج واحدًا من تلك الهواتف اللاسلكيَّة التي تجعل صوتك يبدو كأنه يأتي من مكانٍ عميق، وسيتَّصلون بك بما لديهم من أزمات ويسمعون صوت السيفون وهو يطرد فضلاتك، وسيسمعون زئير الخلّاط، ويعرفون أنك لا تهتم على الإطلاق. ما أحتاجه هذه الأيام هو واحد من تلك الهواتف ذات سمَّاعات الرأس، كأنه ووكمان للبؤس البشري.

عِش أو مُت. الجنس أو الموت. بهذه الطريقة سوف يمكنك -بيدٍ حُرَّة- اتخاذ قرارات الحياة والموت على مدار الساعة، كلما اتَّصلوا ليتكلَّم كلٌّ منهم عن جريمته الوحيدة الشنعاء. عندها تمنح الغفران، تحكُم على الناس، تُعطي رجالًا على حافة التهاوي أرقام فتياتٍ في الحالة نفسها.

كما هي الحال مع معظم الصلوات والتوسُّلات، لا يختلف مُجمَل ما تسمعه عن الشكاوى والطلبات. ساعدني، اسمعني، أرشدني، سامحني.

ها هو الهاتف يرن مرَّة أخرى بالفعل، ومن شِبه المستحيل الآن أن أغلِّف شريحة اللحم البتلو بالبقسماط كما ينبغي، وعلى الهاتف ثمَّة فتاة جديدة تبكي. أسألها في الحال إن كانت ستثق بي، أسألها إن كانت ستُخبرني بكلِّ شيء.

سمكتي الذهبيَّة وأنا نسبح في مكانٍ واحد.

شريحة اللحم تبدو كأنني أخرجتها من قاع صندوق.

لأهدِّئ الفتاة وأجعلها تُصغي، أحكي لها عن سمكتي. هذه هي السَّمكة رقم 641 في حياةٍ ممتدَّة من تربية السَّمك الذهبي. ابتاع لي أبواي السَّمكة الأولى لأتعلَّم أن أحب مخلوقات الله الأخرى وأعتني بها، وكل ما تعلَّمته بعد 640 سمكة هو أن كلَّ شيءٍ تحبه يموت.

عندما تعثر أخيرًا على نصفك الآخَر المفقود، فلك أن تراهِن على أنك ستجده ذات يومٍ ميتًا يتعفَّن في أعماق الأرض.

- 45 -

في الليلة السابقة لمغادَرتي الديار، حكى لي أخي الأكبر كلَّ شيءٍ يعرفه عن العالم الخارجي.

قال لي إنه في العالم الخارجي تملك النساء القُدرة على تغيير لون شعرهن أو عيونهن أو شفاههن.

كنا في الشُّرفة الخلفيَّة وليس هناك ضوء إلا الآتي من نافذة المطبخ، وكان أخي آدم يقص شعري كما يقص سنابل القمح: يجمع خصلة منه في يده ويقطعها بموسى مستقيمة من المنتصف تقريبًا. كان يمسك ذقني بإبهامه وسبابته ليُجبرني على النظر إليه مباشرةً، وعيناه البُنيَّتان تتواثبان جيئةً وذهابًا بين سالفيَّ.

كي يجعل السالِفين متساويين، كان آدم يقص واحدًا أولًا ثم الآخر، ثم الأول، وهكذا إلى أن يختفي السالفان تمامًا.

كان إخوتي الصغار السبعة جالسين على حافة الشُّرفة يراقِبون الظلام، خوفًا من أن تجيئ إليهم الشرور التي وصَفها آدم.

في العالم الخارجي، يقول آدم، يحبس الناس الطيور داخل منازلهم. لقد رأى هذا بنفسه.

لم يخرُج آدم من مستعمرة مقاطعة الكنيسة إلا مرَّة واحدة، عندما كان عليه وزوجته تسجيل زواجهما لدى الحكومة ليكون قانونيًّا.

في العالم الخارجي، يقول، تزور الناس في بيوتهم أرواح اسمها التليفزيون، وتُكلِّم الأرواح الناس عبر ما يُسمُّونه الراديو.

وهناك يستخدم الناس شيئًا اسمه الهاتف، لأنهم يكرهون أن يكونوا قريبين من بعضهم البعض، لكنهم يخافون الوَحدة كذلك.

واصل آدم قصَّ شعري، ليس لمنحه مظهرًا لائقًا، بل لمجرَّد تهذيبه كما تُشذَّب أفرُع الأشجار، وعلى ألواح أرضية الشُّرفة تكوَّم الشعر كأنه محصود من الأرض وليس مقصوصًا من رأسي.

كنا في مستعمرة مقاطعة الكنيسة نُعلِّق أكياسًا من الشَّعر المقصوص في بستان الفاكهة لإخافة الظباء. قال لي آدم إن القاعدة التي تنصُّ على عدم تبديد أيِّ شيءٍ ستكون واحدة من النِّعَم التي يتخلَّى عنها المرء عندما يغادر مستعمرة الكنيسة. أما أكبر نِعمة تتخلَّى عنها فهي الصَّمت.

في العالم الخارجي، قال لي، ليس هناك صمت حقيقي. ليس الصمت الزائف الذي يحدث عندما تسد أذنيك فلا تسمع شيئًا إلا نبضات قلبك، بل الصمت الحقيقي المُطبِق.

في الأسبوع الذي تزوَّج فيه آدم من بيدي جليسن، خرجت بهما حافلة من المستعمرة في صُحبة أحد كبار الكنيسة. كانت الحافلة صاخِبة من الداخل طوال الطريق، والسيَّارات على الطريق تزأر، والناس في العالم الخارجي يقولون شيئًا سخيفًا مع كلِّ نفسٍ يدخل أجسادهم، وعندما يصمتون يملأ الراديو الفراغ بأصواتٍ منسوخة من بعضها البعض لأناسٍ يُغنُّون الأغاني نفسها مرارًا وتكرارًا.

قال آدم إن النِّعمة الأخرى التي يجب أن تتخلَّى عنها في العالم الخارجي هي الظلام. يمكنك أن تُغلق عينيك طبعًا وتجلس داخل خزانة الملابس، لكن هذا ليس مثل ذاك، فظلام الليل في مستعمرة مقاطعة الكنيسة مكتمل، والنجوم واضحة بارزة فوقنا في هذا النوع من الظلام. يمكنك أن ترى خشونة سطح القمر الزَّاخر بسلاسل الجبال وقد شقَّته الأنهار وصقلته المحيطات.

وفي الليالي التي يغيب فيها القمر والنجوم لا يمكنك رؤية أيِّ شيء، لكنك تستطيع تخيُّل كلِّ شيء.

أو هذا ما أذكره على الأقل...

كانت أمي في المطبخ تكوي وتطوي الملابس المسموح لي بأن آخذها معي، أما أبي فلا أدري أين كان، وكانت هذه آخر مرَّةٍ أرى أيهما.

من الغريب أن هناك من يسألني دائمًا إن كانت أمي بكت، أو إن كانت الدموع قد ترقرقت في عيني أبي وألقى ذراعيه حولي قبل أن أرحل، ويندهش هؤلاءَ دومًا عندما أجيب بالنَّفي. لم يكن هناك بكاء أو عناق.

لم يكن هناك بكاء أو عناق عندما كنا نبيع أحد الخنازير كذلك، ولا عندما نذبح دجاجة أو نقطف تفاحة.

ليس هناك من يُجافيه النوم ليلًا ويظل يتساءل إن كان القمح الذي زرعه يشعر بالسعادة وأنه حقَّق الهدف من وجوده بعد أن تحوَّل إلى خُبز.

كان أخي يقص شعري، وقد انتهت أمي من الكيِّ وجلست لتحيك. كانت أمي حبلى، وأذكر أنها كانت كذلك دائمًا، وكانت أخواتي جالسات حولها وتنوراتهن مفرودة على كراسي المطبخ أو الأرضيَّة، وكلهن يحكنَ بدورهن.

يسألني الناس دائمًا إن كنت شعرت بالخوف أو الإثارة أو غيرهما وقتها.

طِبقًا لتعاليم الكنيسة، فإن الابن الأول فقط -آدم- يمكنه الزواج وقضاء بقيَّة حياته في مستعمرة الكنيسة، أما عندما يبلغ بقيَّتنا -أنا وإخوتي السبعة وأخواتي الخمس- السابعة عشرة، فعلينا الخروج بحثًا عن عمل. يعيش أبي هنا لأنه كان الابن الأول في عائلته، وأمي هنا لأن كبار الكنيسة اختاروها لأبي.

يشعر الناس بالإحباط دائمًا عندما أقول لهم الحقيقة، أن لا أحد منا كان يعيش في اضطرابٍ أو كبتٍ أو يكره الكنيسة. لقد كنا نعيش فقط دون أن تُعذِّبنا المشاعر كثيرًا.

كان هذا هو العُمق الكامل لإيماننا. اعتبره ضحلًا أو عميقًا، لكن لم يكن هناك شيء يمكنه أن يخيفنا. هكذا كان الإيمان لدى من عاشوا في مستعمرة مقاطعة الكنيسة؛ أي شيءٍ يحدث في العالم هو أمر من الله، تكليف لا بُد أن يتم، وأي حزنٍ أو فرحٍ هو شيء يعترض طريق كونك مفيدًا فقط، أي شعورٍ بلا قيمة، الترقُّب أو الندم مجرَّد بِدعة سخيفة، نوع من الرفاهية.

كان هذا هو تعريف إيماننا. لا شيءَ معروفًا، وكلُّ شيءٍ متوقَّع أن يحدُث.

يقول آدم إن ثمَّة صفقة أجراها الشيطان في العالم الخارجي تدور بموجبها السيَّارات وتُحلِّق الطائرات في السماء. هناك يتدفَّق الشر عبر أسلاك الكهرباء ليُعلِّم الناس الكسل. يضع الناس أطباقهم متسخة في خزانة، وتنظِّفها الخزانة لهم. المياه في الأنابيب تجرف القمامة والفضلات بعيدًا لتصبح مشكلة أحدٍ آخر. أمسك آدم ذقني بسبابته وإبهامه ومال لينظر إليَّ مباشرةً، وهو يقول إن الناس في العالم الخارجي ينظرون في المرايا. على متن الحافلة التي حملته إلى الخارج، رأى بأمِّ عينيه أناسًا يحملون المرايا وكلٌّ منهم ينظر ليرى كيف يبدو. كان منظرًا مُخجِلًا.

أذكر أن تلك كانت آخر مرَّةٍ قصصت فيها شعري لمدَّةٍ طويلة جدًّا، لكني لا أذكُر السبب. كان رأسي كحقلٍ من القَش لم يتبقَّ فيه إلا الشعيرات القصيرة.

في العالم الخارجي، يقول آدم، يقوم الناس بالعدِّ على آلات.

كل الطعام تأتي به نادلات.

في المرَّة الوحيدة التي غادر فيها المستعمرة، قضى أخي وزوجته وكبير الكنيسة الذي اصطحبهما الليل في فندقٍ بوسط مدينة روبنزفيل في نبراسكا. لم ينم واحد من ثلاثتهم تلك الليلة، وفي اليوم التالي أعادتهما الحافلة إلى الديار ليقضيا فيها ما تبقَّى من حياتهما.

قال لي إن الفندق هو منزل كبير يعيش فيه أناس كثيرون ويأكلون وينامون، لكن لا أحد منهم يعرف الآخر، وأضاف أن هذا ينطبق على معظم العائلات في العالم الخارجي.

قال لي آدم إن الكنائس في العالم الخارجي ما هي إلا المتاجر المحليَّة، التي يشتري منها الناس الأكاذيب المُعلَّبة في مصانع الديانات العملاقة.

وقال أشياء أخرى كثيرة لا أذكُرها.

قَصَّة الشعر تلك كانت منذ ستة عشر عامًا.

كان أبي قد أنجَب آدم وأنا وبقيَّة إخوتي وأخواتي عندما بلغ سني الحالية، وكنت في السابعة عشرة من عمري عندما غادرت الديار.

كان أبي يبدو مثلي تمامًا الآن عندما رأيته للمرَّة الأخيرة.

النظر إلى آدم لا يختلف كثيرًا عن النظر في المرآة، فهو يكبُرني بثلاث دقائق وثلاثين ثانيةٍ فحسب، لكن لم يكن هناك شيء اسمه التوائم في عقيدة الكنيسة الكِريدِشِيَّة.

أذكُر أنني فكَّرت في آخر مرَّةٍ رأيت فيها آدم برانسن أن أخي الأكبر شديد الحنو شديد الحِكمة حقًّا.

إلى هذه الدرجة كنتُ أحمق.

- 44 -

جزءٌ من عملي أن أراجِع قائمة الطعام الذي سوف يُقدَّم في حفل عشاء الليلة، ما يعني أن أستقل الحافلة من المنزل الذي أعمل فيه إلى منزلٍ آخر كبير وأسأل طاهٍ لا أعرفه عن الأصناف التي يتوقَّع أن يأكلها المدعوون. من أعمل لديهم لا يحبُّون المفاجآت، وعليه فإن جزءًا من عملي أن أبلغهم مسبقًا إذا كانوا سيضطرون الليلة لتناوُل شيءٍ صعب الأكل كسرطان البحر أو الخرشوف، فإذا كان هناك شيء على القائمة يُهدِّد صورتهم الاجتماعيَّة، فيجب أن أعلِّمهم أكله بالطريقة الصحيحة.

هذا هو عملي ومصدر رزقي.

الرجل والمرأة صاحبا المنزل الذي أنظِّفه غير موجودَيْن دائمًا، فلا بُد أن طبيعة عمليهما تجعلهما دائمَي الغياب. التفاصيل الوحيدة التي أعرفها عنهما تأتي من الأشياء التي يملكانها، وكل ما أتعلَّمه عنهما أتعلَّمه من التنظيف ورائهما، من تنظيف فوضاهما الصغيرة يومًا بعد يوم، ومن إعادة شرائط الڤيديو -المليئة بالنهود البارزة والمؤخِّرات الكبيرة- إلى بدايتها.

مع نزولي من الحافلة هنا يكون من أعمل لديهم قد ذهبوا إلى عملهم في وسط المدينة، ومع عودتهم إلى المنزل أكون قد عُدت إلى وسط المدينة حيث الشقة الستوديو التي أسكنها، والتي كانت في السابق غرفة فندق صغيرة، إلى أن قرَّر أحدهم أن يدس فيها موقدًا وثلاجة كي يرفع قيمة الإيجار. هناك حمَّام مشترَك في الردهة.

الطريقة الوحيدة التي أتواصَل بها مع أصحاب العمل هي الهاتف،

تلك العلبة البلاستيكيَّة القابعة على طاولة المطبخ لديهم، وتصرخ فيَّ طوال الوقت أن أفعل المزيد من الأشياء.

حزقيال 19:7: «*وَهَدَمَ قُصُورَهُمْ وَخَرَّبَ مُدُنَهُمْ*.. .، ثم شيء ما وشيء ما وشيء ما آخر لا أذكره. لا يمكنك الاحتفاظ بالكتاب المقدَّس كاملًا في رأسك، وإلا لن تصبح لديك مساحة لتذكُّر اسمك ذاته.

لا يختلف المنزل الذي أنظِّفه منذ ستِّ سنواتٍ عمَّا تتوقَّعه كثيرًا. كبيرٌ هو، ويقع في منطقةٍ راقيةٍ من المدينة مقارنةً بالمكان الذي أسكنه، فجميع الشقق الستوديو في حيي لا تختلف في أيِّ شيءٍ عن مقعد مرحاض عمومي دافئ: أحدهم كان هنا منذ لحظةٍ واحدة، وأحدهم سيأتي لحظة أن تنهض. أما في الجزء من المدينة حيث أذهب للعمل كلَّ صباحٍ فلديهم لوحات على الجدران. وراء الباب الأمامي هناك غُرف وغُرفٌ لا أحد يدخلها أبدًا، ومطابخ لا يطهو فيها أحد أبدًا، وحمَّامات لا تتسخ أبدًا. النقود التي يتركونها هنا أو هناك اختبارًا لي (هل سيأخذها؟ هل سيتركها؟) لا تقلّ أبدًا عن ورقةٍ من فئة الخمسين دولارًا، تجدها مُلقاةً وراء التسريحة كما لو أنها سقطت عن غير قصد. الملابس التي يملكونها تبدو كما لو أن مهندسًا معماريًّا قد صمَّمها.

إلى جوار الهاتف هناك دفتر التنظيم اليومي السَّميك الذي يتركونه لي مليئًا بالأشياء التي يجب أن أقوم بها. يريدون مني أن أسرد ما سأفعله من واجباتٍ خلال السنوات العشر المقبلة بالتفصيل الممل. في نظرهم كل شيءٍ في حياتك يتحوَّل إلى بندٍ على قائمة، إلى عملٍ يجب إنجازه، فترى كيف تكون حياتك وهي مبسوطة أمامك.

أقصر مسافة بين نقطتين هي خط زمني، جدول، خريطة لوقتك، مخطَّطات لما تبقَّى من حياتك.

يصرخ فيَّ الهاتف:

- «أريدك أن تنظر إلى دفترك فتعرف أين أجدك بالضبط في الساعة الرابعة من مثل هذا اليوم بعد خمس سنواتٍ من الآن. أريدك أن تكون دقيقًا!».

رؤية المكتوب بالأسود والأبيض تجعلك بشكلٍ ما تشعر بالإحباط مما تتوقَّعه من حياتك، من الأشياء القليلة للغاية التي سوف تُنجزها. إنها CV لمستقبَلك.

إنها الساعة الثانية ظُهرًا يوم السبت، وطِبقًا لدفتر التنظيم فأنا على وشك أن أسلُق خمس قِطع من سرطان البحر كي يتدرَّبوا على أكله. لك أن تتخيَّل إذن مقدار المال الذي يكسبه من أعمل لديهم.

الطريقة الوحيدة التي تسمح لي بأكل اللحم البتلو هي أن أسرقه منهم وأهرِّبه إلى بيتي واضعًا إياه في حِجري على متن الحافلة.

سِر سَلْق سرطان البحر بسيط. عليك أولًا أن تملأ الغلَّاية بالماء البارد مع رشَّة من الملح، ويمكنك استخدام مقدارٍ متساوٍ من الماء والڤيرموت أو الڤودكا، مع إضافة بعضٍ الطحالب البحرية كي تكون النكهة أقوى. هذه هي الأساسيَّات التي يُعلِّمونك إياها في دروس التدبير المنزلي.

معظم ما أعرفه يأتي من الفوضى التي يُخلِّفونها وراءهم.

سَلني عن كيفية إزالة بُقعَة دم من معطفٍ من الفراء.

لا، لست أمزح، هلُمّ...

سَلني...

السر هو دقيق الذُّرة وفرك الفراء عكس اتجاه الوبر، أما الجزء الذي يتطلَّب براعة فهو أن تحافظ على فمك مغلقًا.

لإزالة بُقَع الدم عن مفاتيح البيانو، تُلمَّع ببودرة الأطفال أو الحليب المجفَّف.

ليست هذه من أكثر المهارات القابلة للتسويق، لكن لإزالة بُقَع الدم

عن ورق الحائط، يوضع عليها معجون مصنوع من النشاء والماء البارد، وهو ما يصلح أيضًا لإزالة بُقَع الدم عن حشايا السرائر والأرائك. الحيلة هي أن تنسى السرعة التي يمكن أن تحدث بها تلك الأشياء؛ الانتحار والحوادث والجرائم العاطفيَّة.

ركِّز فقط على البُقَعة إلى أن تُمحى ذاكرتك كلها. إن المران -إن كان يمكنك أن تعتبره كذلك- يؤدِّي إلى نتائج مثاليَّة.

تجاهَل شعورك عندما تكون الموهبة الحقيقيَّة الوحيدة التي تتمتَّع بها هي إخفاء الحقيقة. إنك تملك موهبة ربَّانية حقيقيَّة في ارتكاب الخطايا الشنيعة. هذا هو نداؤك الحقيقي. لديك موهبة طبيعيَّة في الإنكار. إنها نِعمة.

إن كان يمكنك أن تعتبرها كذلك...

حتى بعد مرور ستة عشر عامًا في تنظيف بيوت الناس، ما زلت أريد أن أعتبر أن العالم يصبح هكذا مكانًا أفضل فأفضل، لكني أعرف أن هذا غير حقيقي. تريد أن يكون هناك تحسُّن ما في حياة الناس، لكنك تعرف أن هذا لن يحدث أبدًا.

تريد أن تعرف أن ثمَّة شيئًا يمكنك أن تفعله...

إنني أنظِّف هذا المنزل كلَّ يومٍ، والشيء الوحيد الذي يتحسَّن هو قُدرتي على إنكار كلِّ الأخطاء الموجودة.

حاشا لله أن ألتقي بمن أعمل لديهم وجهًا لوجه.

أرجو ألا تكون الفكرة التي بلغتك أنني أكره من أعمل لديهم، إذ سبق أن جاءت لي موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة بوظائفٍ أسوأ بكثير. لا، لست أكرههم. نعم، لست أحبهم، لكني لا أكرههم، فقد عملت في أماكنٍ أسوأ بمراحل.

سَلني كيف أزيل بُقَع البول عن الستائر ومفارش المائدة.

سَلني عن أسرع طريقةٍ لإخفاء ثقوب طلقات الرصاص في حائط غرفة المعيشة. الإجابة هي معجون الأسنان، وللأعيرة الأكبر يُصنَع معجون من مقدارٍ متساوٍ من النشاء والملح.

اعتبِرني صوت الخبرة...

أعتقد أن خمس قِطعٍ من سرطان البحر تكفي لتعليم من أعمل لديهم التفصيلة المخادِعة الخاصة بفتح الظَّهر. اسمه الذَّنْبل على ما أعتقد. بالداخل هناك المخ أو القلب الذي من المفترَض أن تصل إليه. الحيلة هي أن تضع قِطع السرطان في الماء ثم ترفع درجة الحرارة، والسر أن يتم هذا ببطء. اترك الماء ثلاثين دقيقة على الأقل كي يصل إلى درجة حرارة مئة فهرنهايت، ومن المفترَض بهذه الطريقة أن يموت السرطان بلا ألم.

يقول لي دفتر التنظيم اليومي أن أظل مشغولًا، أن ألمِّع النحاس بأفضل طريقةٍ ممكنة، أي باستخدام نصف ليمونةٍ مغموس في الملح.

اسم هذا النوع من سرطان البحر الذي سيتدرَّبون على أكله هو چامبو، لأن وزن القطعة الواحدة يبلغ ثلاثة أرطال تقريبًا. سرطان البحر الذي يقل وزنه عن رطلٍ واحد اسمه تشيكن، والذي ينقصه أحد المخالب اسمه كَل. سأحتاج إلى سلْق القِطع التي أخرجتها من الثلاجة ملفوفةً بالطحالب البحريَّة لمدة نصف ساعةٍ تقريبًا. مزيدٌ من الأشياء التي تعلَّمها في دروس التدبير المنزلي.

المخلب الأكبر، أحد المخلبين الأماميين الكبيرين، والمحاط بما يشبه الضروس، اسمه السَّاحق. أما المخلب الأصغر المحاط بالأسنان القاطعة فاسمه القاطع، والسيقان الجانبيَّة الصغيرة اسمها سيقان المشي. في الجانب السُّفلي من الذيل هناك خمسة صفوف من الزعانف الصغيرة التي يُطلَق عليها اسم السبَّاحات. المزيد من التدبير المنزلي. إذا كان الصَّف الأمامي من السبَّاحات لينًا ناعمًا، فسرطان البحر هذا أنثى،

وإذا كان صلبًا خشنًا، فهو ذَكَر. إذا كان سرطان البحر أنثى، فابحث عن تجويفٍ عظمي يشبه القلب بين ساقي المشي الخلفيَّتين، فهذا هو المكان الذي لا تزال الأنثى تحمل فيه حيواناتٍ منويَّة حيَّة، إذا كانت قد مارست الجنس خلال العامين الماضيين.

يرن الهاتف وأنا أضع قِطع سرطان البحر، ذكرين وثلاث إناث (بلا حيواناتٍ منوية) في القِدر على الموقد.

يرن الهاتف وأنا أرفع الحرارة بعض الشيء.

يرن الهاتف وأنا أغسل يديَّ.

يرن الهاتف وأنا أصبّ لنفسي قدحًا من القهوة بالكريمة والسكَّر.

يرن الهاتف وأنا آخذ حفنة من الطحالب البحريَّة من كيس سرطان البحر وأرشها على وجه القِدر. المخالب الساحقة والقاطعة مربوطة كلها برباطٍ مطاطي.

يرن الهاتف وأنا أغسل يديَّ وأجفِّفهما مرَّة أخرى.

يرن الهاتف، وأرد عليه.

أقول إن هذا منزل آل جاستن، فيصرخ فيَّ الهاتف:

- «اسمه محل إقامة آل جاستن! قُلها كما قيل لك!».

ما يُعلِّمونك إياه في دروس التدبير المنزلي أنه من الصحيح أن تقول إن المنزل محل إقامة في المراسلات الرسميَّة والدعوات فقط. لقد ناقشنا هذا مليون مرَّة.

أشرب قهوتي وأعدِّل درجة الحرارة تحت سرطان البحر، والهاتف لا يزال يصرخ:

- «هل أنت هناك؟ ألو؟ هل انقطع الخط؟».

هذان الزوجان اللذان أعمل لديهما كانا الوحيدين ـ في حفل عشاءٍ ماـ اللذين لم يعرفا كيفية رفع تلك الآنية الصغيرة التي تُحمَل بالأصابع

بالمفرش الصغير الذي يصاحبها، ومنذ ذلك الحين أدمنا تعلُّم الإتيكيت. صحيحٌ أنهما يقولان إن كلَّ هذا بلا منفعةٍ أو قيمة، لكنهما يشعران بالرُّعب من عدم معرفتهما بكل تلك الطُّقوس الصغيرة.

ويصرخ الهاتف:

- «أجبني عليك اللعنة! حدِّثني عن حفل الليلة! أي نوع من الطعام سنواجه؟ إننا نكاد نموت قلقًا طوال اليوم!».

أنظر في الخزانة المعلَّقة فوق الموقد بحثًا عن عدة تناوُل سرطان البحر وكسَّارة البندق والملقاط والمريولة. بفضل دروسي يعرف هؤلاء الطُّرُق الثلاث المقبولة لوضع أواني الحلوى الفضيَّة، وبفضلي يعرفون كيف يشربون الشاي المثلَّج بالطريقة الصحيحة، حيث تظل الملعقة الطويلة موضوعة في الكأس. هذا الجزء مخادِع قليلًا، لكن عليك أن تمسك يد الملعقة بإصبعي الإبهام والوسطى على حافة الكأس وقبالة فمك. حذارِ أن تفقأ عينك! لا يعرف كثيرون هذه الطريقة، بل تراهم يرفعون الملعقة المبتلَّة من الكأس ويبحثون عن مكانٍ يضعونها فيه دون إتلاف مفرش المائدة. الأسوأ أن بعضهم يضعها في أيِّ مكانٍ فتترك بُقعة شايٍ مبتلَّة.

يصمت الهاتف، وعندها، عندها فقط، أبدأ أنا الكلام.

أسأل الهاتف: هل أنت مُصغٍ؟

أقول للهاتف: تخيَّل طَبَقًا عليه العشاء.

الليلة، أقول، سيكون سوفليه السبانخ موضوعًا في وضع الساعة الواحدة، وذلك الشيء بالبنجر في وضع الساعة الرابعة، وثمَّة صنف ما باللحم واللوز في النصف الآخر من الطبق في وضع الساعة التاسعة. يجب أن يستخدم الضيوف السكاكين ليأكلوا هذا، وستكون هناك عظام في اللحم.

هذا أفضل عملٍ حصلت عليه على الإطلاق، بلا أطفال أو قِطَط أو

أرضيات تتطلَّب التلميع. لو كنت لا أبالي، لكنت قلت لمن أعمل لديهم أن يمارسوا جميع السلوكيَّات الغريبة التي يمكنني التفكير فيها. مثال: يُشرَب الشربات بلَعقِهِ من الوعاء مباشرةً كما تفعل الكلاب. أو: يؤكل لحم الضأن بأن تقبض عليه بأسنانك وتهز رأسك في عنفٍ من جانبٍ إلى جانب. الشنيع في الأمر أنهم سيُصدِّقونني غالبًا، وهذا لأنني لم أخذلهم قَط، ولأنهم يثقون بي.

باستثناء تعليمهم الإتيكيت، فإن أكبر تحدٍّ أمامي هو أن أنزل بمستواي إلى توقُّعاتهم.

سَلني عن كيفية إصلاح ثقوب الطعنات في ثياب النوم وحُلل السهرة والقبعات. السر هو القليل من طلاء الأظفار الشفَّاف في الجزء الداخلي من الثُّقب.

لا أحد يُعلِّمك جميع المهارات العمليَّة التي تحتاجها في دروس التدبير المنزلي، لكنك تكتسبها مع مرور الوقت. في مقاطعة الكنيسة حيث نشأت، يُعلِّمونك أن وضع الشموع في الماء المملَّح يطيل عمرها، وتُحفَظ الشموع في المجمِّد حتى تصبح جاهزةً للاستخدام. هذا هو التدبير المنزلي على طريقتهم. تُشعَل الشموع بعودٍ من السباجيتي النيئة. ستة عشر عامًا مرَّت عليَّ وأنا أنظِّف للناس منازلهم، ولم يحدث مرَّة أن طلب مني أحدهم أن أمشي حاملًا عودًا مشتعلًا من السباجيتي في يدي.

أيًّا كانت الأشياء التي يُركِّزون عليها في دروس التدبير المنزلي، فهي ليست ذات أولويَّة في العالم الخارجي.

على سبيل المثال، لا أحد يُعلِّمك أن مرطِّب البشرة الأخضر يمكنه إخفاء الاحمرار الناتج عن صفعةٍ على الوجه. أي رجلٍ صفعته امرأة بظهر يدها ذات الخاتم الماسي يجب أن يعرف أن قلم الشبَّة كفيل بإيقاف النزيف. أغلق الجرح بلمسة من الصمغ الفوري، ودعهم بعدها يلتقطون صورك في افتتاحِ لفيلم وأنت مبتسم ملء شِدْقيك بلا آثار غُرزٍ أو ندوب.

احتفظ دائمًا بخرقةٍ نظيفة لمسح الدم، ولن تحتاج إلى ترطيب أيِّ بُقعةٍ قبل مسحها.

يقول لي دفتر التنظيم اليومي إن عليَّ شحذ سكِّين الجزارة.

وأستمر في إطلاع من أعمل لديهم على ما يجب عليهم توقُّعه في حفل العشاء الليلة.

المهم هو عدم الشعور بالذعر. نعم، سوف يكون هناك الكثير من سرطان البحر الذي عليهم التعامل معه.

ستكون هناك مملحة واحدة. سيُقدَّم طبق الطيور بعد اللحم المشوي، وسيتكوَّن من أحد أنواع الحمام. الحقيقة أنه إذا كان هناك شيء أكله أكثر تعقيدًا من سرطان البحر فهو هذا النوع من الحمام. كل هذه العظام الصغيرة التي يجب أن تُجرِّدها من اللحم، والكل حولك متأنِّق لدرس التشريح الخاص هذا. سيُقدَّم نوع آخر من النبيذ بعد المشهِّيات، والشيري مع طبق الحساء، والنبيذ الأبيض مع سرطان البحر، والأحمر مع اللحم المشوي، ثم مع ملحمة الحمام المليئة بالدهون. بعد كلِّ هذا ستتحوَّل الجزيرة الصغيرة التي أمام كلِّ ضيفٍ إلى أرخبيلٍ كامل من المرق والصلصة والنبيذ المسكوب على مفرش المائدة الأبيض.

هذه هي طبيعة عملي. حتى في وظيفةٍ جيِّدةٍ كهذه لا أحد يريد أن يعرف أين من المفترَض أن يجلس ضيف الشرف.

العشاء الفاخر المثالي الذي تكلَّم عنه أساتذتك في دروس الاقتصاد المنزلي، والعناية بالزهور الطازجة وأقداح القهوة الصغيرة بعد يومٍ من الحياة الراقية... لا أحد يبالي بهذا مقدار خردلة.

الليلة، في مرحلةٍ ما بين طبق الحساء وطبق اللحم المشوي، سيبدأ الجميع في التمثيل بجُثث سرطان البحر. ثلاثة وأربعون من قادة الصناعة، ثلاثة وأربعون وحشًا ناجحًا، ثلاثة وأربعون همجيًّا شهيرًا يرتدون ملابس السهرة ويتظاهرون بأنهم يعرفون كيف يأكلون.

بعد طَبَق سرطان البحر، سيُقدِّم الخدم أوعية صغيرة ساخنة بها شرائح الليمون طافيةً على الوجه، وسينتهي الأمر بكلٍّ واحدٍ من تلك الجثث التالفة الثلاث وأربعين وقد غطَّاه الثوم والزبد حتى المرفق، وكل واحدٍ من تلك الوجوه المشحمة المبتسمة وهو يمتص اللحم امتصاصًا من فتحةٍ ما في زور سرطان البحر.

أغلب الأشياء التي أعرفها بعد ستة عشر عامًا من العمل اليومي في المنازل يتلخَّص في آثار الصَّفعات على الوجوه والذُّرة بالكريمة والكدمات المسودَّة حول العيون والأكتاف المخلوعة والبيض المضروب وقصبات السيقان المتورِّمة إثر ركلة والقرنيَّات المخدوشة والبصل المقطَّع والعضات من جميع الأنواع وبقع النيكوتين والدهانات المستخدَمة في الجِنس والأسنان المكسورة والشفاه المشقوقة والكريمة المخفوقة والأذرع الملويَّة والتمزُّقات المهبليَّة واللحم المقدَّد المتبَّل وحروق السجائر والأناناس المهروس والفتق والإجهاض والبُقَع التي تتركها الحيوانات الأليفة وجوز الهند المبشور والعيون المقلوعة والتواء المفاصل والعلامات على الجِلد بعد الولادة.

إذا كنت تعمل لدى سيدة، فبعد أن تنتهي من البكاء عقب ساعاتٍ بلا انقطاع، اجعلها تستخدم قلمًا لتحديد العيون من اللون الأزرق أو البنفسجي الزاهي، لجعل عينيها المحتقنتين بالدم تبدوان أكثر بياضًا. وفي المرَّة القادمة عندما تكسر واحدة سِنًّا لزوجها، انقع السِّنَّ في الحليب حتى يذهب لزيارة طبيب الأسنان، وفي تلك الأثناء اصنع معجونًا أبيض من أكسيد الزنك وزيت القرنفل، واحشِ به تجويف السِّنَّ من أجل حشوٍ سريع وسهل يجمد في الحال.

عامل بُقَع الدموع على أكياس الوسائد كما تعامِل بُقع العَرَق. أَذِب خمس حبَّات من الأسپرين في الماء وامسح على البُقعَة حتى تزول. حتى إذا كانت هذه بقعة ماسكارا، فستختفي المشكلة.

إذا كان يمكنك أن تعتبرها كذلك...

سواءً كنت تُنظِّف بُقعة أو سَمَكة أو منزلًا، فإن لديك رغبة في اعتقاد أنك تجعل العالم مكانًا أفضل، لكنك في الواقع تترك الأمور تزداد سوءًا. تُفكِّر أنه ربما إذا عملت بجدٍّ أكثر أو سرعةٍ أكبر ستستطيع كبح جماح الفوضى، لكن إذا بك ذات يومٍ وأنت تُغيِّر مصباحًا عمره خمس سنوات، تدرك أنك غالبًا ستغيِّر هذا المصباح نفسه عشر مرَّاتٍ أخرى على الأكثر قبل أن تموت.

الوقت ينفد ولم تعُد تملك الحيوية التي كانت لديك من قبل، فتبدأ في التباطؤ.

تبدأ في الاستسلام...

هذا العام صار هناك شَعر على ظهري، وأنفي يكبر أكثر فأكثر. الوصف الذي يمكنك إطلاقه على وجهي يومًا بعد يومٍ هو صُور المشتبه بهم في أقسام الشرطة.

بعد عملي في منازل الأثرياء، أعرف أن أفضل وسيلة لإزالة الدم من حقيبة السيارة هي ألا ألقي أيَّ أسئلة.

يقول الهاتف:

- «ألو؟».

أفضل وسيلة للاحتفاظ بوظيفةٍ جيِّدة هي أن تفعل ما يُطلَب منك.

يقول الهاتف:

- «ألو؟».

لإزالة أحمر الشفاه عن ياقة القميص، افركه بقليلٍ من الخل الأبيض.

البُقَع العنيدة القادمة من مصدر بروتيني، كالحيوانات المنويَّة، تُغسَل بالماء المملَّح البارد، ثم تُغسَل بالطريقة التقليديَّة.

هذا تدريب عملي قيِّم، ويمكنك أن تُدوِّن الملاحظات كما ترغب.

لإزالة الزجاج المكسور من نافذة غرفة النوم، يمكنك التقاط حتى أصغر الشظايا بقِطعة من الخُبز.

أخرِسني إذا كنت تعرف كلَّ هذا بالفعل.

يقول الهاتف:

- «ألو؟».

مررتُ بهذا، فعلتُ ذاك...

من الأشياء الأخرى التي يُعلِّمونك إياها في دروس التدبير المنزلي، الطريقة السليمة للرَّد على دعوةٍ لحفل زفاف، كيف تخاطب البابا، الطريقة الصحيحة لنقش الأحرُف الأولى من الأسماء على الفضَّة. في مدرسة الكنيسة الكِريدِشِيَّة، يُعلِّمونك كيف يمكن أن يكون العالم مسرحيَّة مثاليَّة أنيقة من السلوكيَّات المهذَّبة أنت مُخرجها، ويرسِم لك الأساتذة صورةً لحفلات العشاء التي يعرف فيها الجميع كيف يأكلون سرطان البحر بالطريقة الصحيحة.

ثم يتضح أن العالم ليس كذلك...

عندها كل ما يمكنك فعله هو أن تضيع في التفاصيل الدقيقة لكلِّ يومٍ تمارس فيه المهام نفسها مرَّة ومرَّة ومرَّة.

يجب تنظيف المدفأة.

يجب جز الحشائش.

يجب تدوير جميع الزجاجات في قبو النبيذ.

يجب جز الحشائش مرَّة أخرى.

يجب تلميع الآنية الفضِّيَّة.

والآن كرِّر كل هذا...

ومع ذلك، أريد مرَّةً واحدةً فقط أثبت فيها أنني أعرف شيئًا أفضل، أنني أستطيع أن أفعل ما هو أكثر من مجرَّد إزالة البُقَع والأوساخ والعيوب. من الممكن أن يكون العالم مكانًا أفضل كثيرًا مما نتقبَّله، وكل ما علينا هو أن نسأل.

لا، حقًّا، هلُم، سَلني...

كيف تأكل الخرشوف؟

كيف تأكل الهليون؟

سَلني...

كيف تأكل سرطان البحر؟

يبدو سرطان البحر في القِدر ميتًا بما فيه الكفاية، فأرفع قطعة منه وأقول للهاتف إنه ينبغي أولًا كسر المخلبين الأماميين الكبيرين. سأضع القِطع الأخرى في الثلاجة كي يتمرَّن من أعمل لديهم على أكلها في ما بعد.

أطلب من الهاتف أن يُدوِّن ملاحظاتي، وأكسر المخلبين وأبدأ في التهام اللحم داخلهما.

ثم عليك أن تلوي قِطعة سرطان البحر إلى الخلف حتى ينكسر الذيل عن الجسم، واكسر طرف الذيل -اسمه التلسون- واستخدم الشوكة الخاصة بالأطعمة البحريَّة لتُخرِج لحم الذيل. أزل العِرق المعوي الذي يمتد بطول الذيل، وإذا كان العِرق نظيفًا فإن هذا يعني أن السرطان لم يأكل شيئًا منذ فترة. العِرق السميك الأسود طازج ويكون مليئًا بالفضلات.

آكُل لحم الذيل.

أقول للهاتف بفم مليء إن شوكة الأطعمة البحريَّة هي الشوكة الصغيرة ذات الأسنان الثلاث.

ثم عليك أن تزيل غلاف الظهر -الذَّبْل- عن الجسم، وتأكل الغُدَّة

الهضميَّة الخضراء التي يُطلِقون عليها اسم تومالي. كُل الدم المليء بالنحاس الذي يتجمَّد في صورة مادة بيضاء دبقة، وكُل البيض غير الناضج ذي اللون المرجاني.

كل هذا آكُله.

لدى سرطان البحر جهاز دوري مفتوح يجعل الدم يتدفَّق في كلِّ مكان داخل الجسم غاسلًا الأعضاء المختلِفة.

أقول للهاتف إن الرئتين إسفنجيتين قاسيتين لكن يمكن أكلهما، وألعق أصابعي. المعدة هي ذلك الكيس القاسي الذي يبدو كالأسنان وراء الرأس مباشرةً. لا تأكل المعدة.

أفتِّش داخل الجسم وأمتص قِطع اللحم الصغيرة من سيقان المشي، وأقضم الخياشيم الصغيرة، وأهمِل الكتل العصبيَّة في المخ.

وأتوقَّف...

ما أجده مستحيل ولا يتَّفق معي أبدًا...

ويصرخ الهاتف:

- «حسن، والآن ماذا؟ أهذا كل شيء؟ هل تبقَّى شيء يؤكَل؟».

لا يمكن أن يحدث هذا، لأن الساعة تكاد تبلغ الثالثة طِبقًا لدفتر التنظيم اليومي. من المفترَض أن أكون بالخارج الآن أصنع حُفرًا في الحديقة، وفي الرابعة من المفترَض أن أعيد تنسيق أحواض الزهور. في الخامسة والنصف سأرفع زهور السالڤيا وأضع مكانها زهور السوسن الهولندية والورد البلدي وزهور أنف العجل والسراخس، ثم أغطِّي الحُفر التي صنعتها.

أين ذهب الوقت؟

يصرخ الهاتف:

- «ما الذي يحدث عندك؟ أجِبني! ماذا هناك؟».

أتفقَّد جدولي فيقول إنني سعيد، إنني منتِج، إنني أعمل بجد. كلُّ شيءٍ سليم هنا بالأسود والأبيض. إنني أنجز كلَّ المطلوب مني.

يصرخ الهاتف:

- «ماذا نفعل بعد هذا؟».

اليوم واحد من تلك الأيام التي لا تُشرِق فيها الشمس لسببٍ إلا إهانتك.

يصرخ الهاتف:

- «هل تبقَّى شيء؟».

وأتجاهل الهاتف لأنه لم يتبقَّ شيء تقريبًا.

وقد تكون هذه مجرَّد خدعة يمارسها الضوء في تلك الساعة من النهار، لكني أكتشف أنني التهمت قِطعة سرطان البحر كلها تقريبًا، قبل أن ألاحظ أن القلب كان لا يزال ينبض.

- 43 -

طِبقًا لدفتر التنظيم اليومي، فإنني أحاول الحفاظ على توازُني. أقف أعلى السُّلَّم بذراعين مليئتين بالزهور الصناعيَّة: ورد بلدي، زهور اللؤلؤ، أعشاب العائق، زهور الستوك. أحاول ألا أسقط وقد التوت أصابع قدميَّ في الحذاء. أجمع باقة أخرى من البوليستر، وفي جيب قميصي نعي مطوي من الأسبوع الماضي.

الرجل الذي قتلته الأسبوع الماضي موجود في مكانٍ ما هنا، أو ما تبقَّى منه على الأقل. أقصد الرجل ذا البندقيَّة تحت ذقنه، الجالس وحده في شقَّته يسألني على الهاتف أن أعطيه سببًا واحدًا يمنعه من ضَغْط الزناد. أثق بأنني سأجده في مكانٍ ما هنا. اسمه ترڤور هوليس.

رحل لكنه لم يُنسَ...

يرقد في سلام...

الذي سُلِب من هذه الحياة...

أو أنني سأتركه يجدني هو، فهذا ما آمله دائمًا.

أقف أعلى السُّلَّم، فلا بُد أنني على ارتفاع عشرين أو خمسة وعشرين أو ثلاثين قدمًا من أرضيَّة رواق الدفن، أتظاهر بتدوين أشياءٍ عن زهرةٍ صناعيَّةٍ أخرى ونظّارتيّ تُشعِرني بالحكَّة في طرف أنفي. يترك قلمي كلماتٍ في مفكِّرتي. أكتب أن العيِّنة رقم 786 هي وردة حمراء عمرها مئة عام تقريبًا.

ما آمله أن يكون كل مَن عداي هنا موتى.

جزءٌ من عملي أن أقوم بتنسيق الزهور الطازجة حول المنزل الذي أعمل فيه، ويجب أن أقطف الزهور من الحديقة التي من المفترَض أن أعتني بها.

الذي يجدر بك أن تفهمه أنني لست غولًا

بتلات الوردة وكأسها (السبلات) مصنوعة من السليلويد الأحمر. ظَهَر السليلويد للمرَّة الأولى في عام 1863، وهو أقل أنواع البلاستيك ثباتًا. أكتب في المفكِّرة أن أوراق الوردة من السليلويد الملوَّن بالأخضر.

أكُفُّ عن الكتابة وأُرسِل نظراتي من فوق النظّارة.

بعيدًا، هناك عند طرف الرواق القصي، أراها طيفًا أسودَ صغيرًا يستنِد إلى نافذةٍ زجاجيَّة ملوَّنة ضخمة تحمل رسمًا لمكانٍ ما، قد يكون سدوم أو عمورة أو معبد سليمان، والنيران تُدمِّره كما ورد في العهد القديم. لوحة ناريَّة صامتة تلتوي فيها ألسنة اللهب الأحمر والبرتقالي حول قِطَع الحجارة والأعمدة والأفاريز المتساقِطة، ومن قلب هذا يخرج شبح في فستانٍ أسودٍ صغيرٍ يكبر حجمه كلما دنا مني.

ما آمله أن تكون ميِّتة. أمنيَّتي السِّرِّيَّة الآن أن أعيش لحظاتٍ من الغرام مع هذه الفتاة الميِّتة، أو فتاةٍ ميِّتة، أيِّ فتاةٍ ميِّتة، فلا تصِفني إذن بأنني يصعُب إرضائي.

الكذبة التي أخبر الناس بها هي أنني أُجري بحثًا عن تطوُّر الزهور الصناعيَّة خلال الثورة الصناعيَّة، ومن المفترَض أن يكون كلُّ هذا جزءًا من أطروحتي التي تحمل عنوان (الطبيعة والتصميم 456). أما سبب كوني أكبر سنًّا بكثير من أن أكون طالِبًا فهو أنني -في الحقيقة- طالِب دراسات عُليا.

شَعر الفتاة أحمر طويل كشعور النساء هذه الأيام إن كن من أتباع ديانة أرثوذكسيَّة فقط. من موقعي العالي على السُّلَّم تجعلني ساقا الفتاة وذراعاها الصغيرتان الليِّنتان أنظر مرَّة أخرى وأخرى وأتساءل إن كان من الممكن أن يحدث أن أشتهي الأطفال ذات يوم. على الرغم من أنها ليست أقدم عينة في دراستي، فإن هذه الوردة التي أتظاهر بفحصها هي الأكثر هشاشة. العضو الجنسي الأنثوي (المِدَقَّة)، بما في ذلك الميسم والمتاع والمبيض، مصنوع من نوعٍ من الفحم الأسود، والعضو الجنسي الذكري (السَّدَاة) يتضمَّن مستودَعٍ لقاح من السلك يعلوه مِئبَر دقيق من الزجاج.

جزءٌ من عملي أن أزرع الزهور الطازجة في الحديقة، لكن لا يمكنني -لا يمكنني، وأكرِّر- أن أزرع أيَّ أعشابٍ من التي تعرفها.

الكذبة التي أخبر نفسي بها هي أنني هنا لجَمْع الزهور الطازجة للمنزل من الداخل، أما الزهور الصناعيَّة فأسرقها لأغرِسها في الحديقة. من أعمل لديهم لا ينظرون إلى حديقتهم إلا من الداخل، وهكذا أغطِّي التُّربة العارية بالخُضرة الصناعيَّة، ثم أغرِس فيها زهور الموسم الصناعيَّة بدورها. المنظر جميل حقًّا، بشرط ألا تنظر عن كثبٍ أكثر من اللازم.

تبدو الزهور حقيقيَّة جدًّا، طبيعيَّة جدًّا، موحية بالسلام جدًّا.

أفضل مكان للعثور على بصيلات الزهور التي سأجعلها تتفتَّح قبل الأوان فيما بعد هو مقلب القمامة الواقع وراء الضَّريح. هناك ستجدها ملقاة؛ أصصًا بلاستيكيَّة من البصيلات الساكنة، زهور ياقوتيَّة وتيوليب، زنابق من مختلَف الأنواع، نرجس بري وزعفران، كلها جاهزة لأن تأخذها معك وتُعيدها إلى الحياة.

تقع العيِّنة رقم 786، أكتب، في مزهرية السرداب رقم 2387 في الصفِّ الأعلى من السراديب الواقِع في الرواق الجنوبي الأدنى في الطابق السابع من جناح السَّكينة. هذا الموقع، أكتب، على ارتفاع ثلاثين قدمًا من أرضيَّة

الرواق قد يكون السبب في الحالة شِبه المثاليَّة التي أجد هذه الوردة عليها، حيث توجد في واحدٍ من أقدم السراديب في واحدٍ من الأجنحة الأصليَّة التي شُيِّدت في ضريح كولومبيا التذكاري.

أكتب هذا، ثم أسرق الوردة...

ما أحكيه لمن يرونني هنا قِصَّة أخرى.

القِصَّة الرسميَّة لسبب وجودي هنا هي أن الضَّريح يحوي أفضل النماذج للزهور الصناعيَّة التي يعود عُمرها إلى منتصف القرن التاسع عشر. كلّ جناح من الأجنحة الستة الرئيسة للضَّريح -جناح السَّكينة، جناح القَناعة، جناح الخلود، جناح الصَّفاء، جناح التناغُم، جناح الأمل الجديد- يتراوح ارتفاعه بين خمسة وثمانية عشر طابِقًا، ويبلغ سُمك الجدران التي تُشبه أقراص العسل في تصميمها تسعة أقدام، بحيث تتَّسع حتى للتوابيت الطويلة التي تدخُلها بالطول. لا يدور الهواء في الأروِقة التي تمتد أميالًا، ولا يأتي الزائرون إلا لمامًا، وعادةً ما تكون الزيارة مختصَرة. متوسط درجة الحرارة والرطوبة منخفِض وثابِت على مدار العام.

العينات الأقدَم مستمَدَّة من ثقافة لغة الزهور الفيكتورية، فحسب الكتاب الكلاسيكي المنشور سنة 1840 (لغة الزهور) لمدام شارلوت دو لا تور، فإن زهور الليلك الأرجوانيَّة ترمز إلى الموت، بينما ترمز زهور الليلك البيضاء من جِنس السيرنجا إلى اكتشاف الحب للمرَّة الأولى.

وترمز زهور الغُرنوقي إلى كرامة المَحْتَد، والحوذان إلى الطفولة.

ولأن معظم الزهور الصناعية يُصنَع لتزيين القبَّعات، فإن الضَّريح هو أفضل مكانٍ يمكنك أن تجد فيه العيِّنات التي لا تزال موجودة.

هذا ما أقوله للناس، نُسخَتي الرسميَّة من الحقيقة.

إذا رآني الناس خلال النهار بمفكِّرتي وقلمي هنا، فإنني غالبًا ما أكون

على قمَّة السلَّم أسرق باقة من أزهار الثالوث تركها أحدهم عند سردابٍ ما هنا بالأعلى. عندها أضم يدي حول فمي وأهمس أنني أحتاجها لأحد دروس الكُلِّيَّة، أقول إنني أُجري دراسة.

أتواجد هنا أحيانًا في ساعةٍ متأخِّرةٍ من المساء عندما يرحل الجميع. أجول في المكان وحدي بعد منتصف الليل وأحلم أن أجد عند المنعطَف التالي سردابًا مفتوحًا به جُثَّة متحلِّلة. الجلد ذابل على الوجه، والبذلة التي ترتديها متيبِّسة وقد لطَّختها السوائل الخارِجة من الجسد الميِّت. سوف أجد هذه الجثَّة في رواقٍ مُظلِم صامت اللهم إلا من أزيز مصباح فلورسنت وحيد يمنحني بضع ومضاتٍ أخيرة من الضوء قبل أن يتركني في العتمة إلى الأبد مع الوحش الميِّت.

لا بُد أن تكون عينا الجثة متداعيتين داخل محجريهما، وأريدها أن تتعثَّر في مشيتها الكفيفة إذ تتحسَّس الجدران الرخاميَّة الباردة، وتُلوِّثها بالمعجون العفِن الذي يكشف عن عظام كلِّ يد. سيكون فمها المُتعَب مفغورًا، وأنفها عبارة عن حُفرَتين مظلمتين، والقميص الذي ترتديه مرخيًّا عن عظم الترقوة المكشوف.

أبحث عن الأسماء التي أعرفها من النَّعَايا. ها هنا محفورةٌ أسماء من أخذوا بنصيحتي إلى الأبد.

هلُم، اقتل نفسك...

الابن الحبيب، الابنة الرقيقة، الصديق المُخلِص.

اجذب الزناد...

صاحب الروح المُمجَّدة.

ها أنا ذا. إنه وقت دفع الثَّمَن. هيا، تعال ونل مني، أتحدَّاك.

أريد أن يطاردني الزومبي أكلة لحوم البشر.

أريد أن أمر باللوح الرخامي الذي يُغطِّي أحد السراديب وأسمع

أصوات الخدش والحَفر من الداخل. في الليل أضغط أذني على الرخام البارد وأصغي منتظرًا. هذا هو السبب الحقيقي لوجودي هنا.

العيِّنة رقم 786، أكتب في المفكِّرة، لها ساق مصنوعة من الأسلاك المستخدَمة في القُبَّعات والمغطَّاة بالقُطن المصبوغ بالأخضر.

ليست المسألة أنني مجنون أو ما شابه، وإنما أريد فقط دليلًا على أن الموت ليس النهاية. حتى إذا اختطفني الزومبي المجانين في رواقٍ مظلم ذات ليلة، حتى إذا مزَّقوني إربًا، فعلى الأقل لن تكون هذه هي النهاية المُطلَقة، وفي هذا سأجد شيئًا من الراحة. سيكون لديَّ دليل على أن هناك حياة من نوعٍ ما بعد الموت، وعندها سأموت سعيدًا راضيًا. وهكذا أنتظر، أراقِب، أصغي، أضع أذني على كلِّ سردابٍ بارد.

أكتب: لا نشاط في السرداب رقم 7896.

لا نشاط في السرداب رقم 7897.

لا نشاط في السرداب رقم 7898.

أكتب أن العيِّنة رقم 45 عبارة عن وردةٍ مصنوعة من الباكيليت الأبيض، وهو أقدم أنواع البلاستيك الصناعي. تم اختراع الباكيليت سنة 1907 عندما قام أحد الكيميائيين بتسخين مزيجٍ من الفينول والفورمالدهايد. في لغة ثقافة الزهور الڤيكتوريَّة، ترمز الوردة البيضاء إلى الصَّمت.

اليوم الذي ألتقي فيه بالفتاة هو أفضل يومٍ لتوثيق الزهور الجديدة. إنه اليوم التالي لعُطلة نهاية أسبوع عيد الذِّكرى، عندما ترحل الحشود ولا تعود إلا بعد عامٍ كامل. كان الجميع قد رحلوا عندما رأيت للمرَّة الأولى الفتاة التي تمنيتُ أن تكون ميِّتة.

في اليوم التالي لعيد الذِّكرى يأتي عامل النظافة دافعًا أمامه سلَّة القمامة ويجمع فيها الزهور الطازجة كلها. أدنى درجة للزهور الطازجة هي تلك التي يُطلِق عليها باعة الزهور اسم زهور الجنازات. سَبَقَ وأن

تقاطعت خُطانا، عامل النظافة وأنا من قبل، لكننا لم نتكلَّم قَط. كان قد ضبطني ذات مرَّةٍ وأنا أضغط أذني على واحدٍ من السراديب، وسلَّط دائرة الضوء الخارجة من كشَّافه عليَّ، لكنه حتى حينها أشاح برأسه بعيدًا. كنت أدقُّ بكعب فردة حذائي على السرداب، وبشفرة مورس أقول: مرحبًا. هل يسمعني أحد؟

مشكلة زهور الجنازات أنها لا تدوم إلا ليومٍ واحدٍ فقط، ثم تبدأ في التعفُّن في اليوم التالي. ثم إنك، إذ ترى الزهور المعلَّقة في المزهريَّات البرونزيَّة المتَّصلة بكلِّ سرداب وقد نال منها السواد والذبول وبدأ ماؤها النتن في التساقط على الأرض، تجد أنه من السهل أن تتخيَّل ما يحدث الآن لكلِّ هؤلاء الأحبَّاء داخل السراديب نفسها.

في اليوم التالي لعيد الذِّكرى يتخلَّص عامل النظافة من الزهور الذابلة في الخارج، وما يتبقَّى عبارة عن مجموعةٍ جديدة من أزهار الفاوانيا الصناعيَّة ذات اللون الماجنتا الداكن والمنقوعة في الصبغة كي تبدو أوراقها الحريريَّة أقرب إلى الأسود. هذا العام هناك زهور أوركيد بلاستيكيَّة ذات غصونٍ مُزهِرة معطَّرة.

يتضمَّن أقدم العيِّنات القديمة زهورًا مصنوعة من الشيفون والأورجانزا والمخمل والقطيفة والچورچيت والكريپ دو شان والساتان. تتكوَّم بين ذراعيَّ زهور أنف العجل والبازلاء الحلوة والسالڤيا والخِطْمي والفوروكلوك وأذن الفأر. زهور هذا العام زائفة جميلة، وإن كانت قويَّة شائكة، مرشوشة بقطراتٍ صافية من الندى البلاستيكي المصنوع من البوليسترين.

تأتي هذه الفتاة متأخِّرة يومًا ومعها باقة لا يُميِّزها شيء من التيوليپ وشقائق النعمان المصنوعة من البوليستر. تلك الأخيرة هي الرمز الڤيكتوري الكلاسيكي للحُزن والموت والمرض والهجران، ومن فوق

السلَّم في الطرف الأقصى للرواق الغربي في الطابق السادس من جناح القناعة أدوِّن الملاحظات لبحثي الميداني وأراقبها.

الزهرة التي أمامي هي العيِّنة رقم 237، زهرة أقحوان مصنوعة من الرايون من حقبة ما بعد الحرب، وأقول حقبة ما بعد الحرب لأنه لم يكن هناك حرير أو رايون أو سِلك يكفي لصناعة الزهور خلال الحرب العالميَّة الثانية. زهور زمن الحرب الصناعيَّة تكون مصنوعة من ورق الكريپ أو ورق الأرز، لكن حتى في بيئة ضريح كولومبيا التذكاري الجافَّة ودرجة الحرارة التي لا تتجاوز الخمسين فهرنهايت، صارت هذه في حالةٍ متداعية وعلى وشك التفتُّت إلى تراب.

أمامي السرداب رقم 678. ترڤور هوليس، توفى في الرابعة والعشرين من العمر تارِكًا أباه وأمه وأخته. الفقيد الغالي، الابن الحبيب، في الذِّكرى الخالدة. لقد وجدته، ضحيتي الأخيرة.

يقع السرداب رقم 678 في صفٍّ مرتفع من جدار الرواق، والطريقة الوحيدة للاقتراب منه هي أن تستخدم سُلَّمًا نقَّالًا أو رافعة التوابيت. لكن حتى مع وقوفي على قِمَّة السُّلَّم، بعد درجتين أعلى من الوضع الآمن، يمكنني أن أرى أن ثمَّة شيئًا مختلفًا في الفتاة، شيئًا أوروبي الطابع يوحي بسوء التغذية. تعرف أن حصَّتك اليوميَّة من الطعام والتعرُّض لضوء الشمس ليست ما يجعل المرء جميلًا بمقاييس شمال أمريكا. ثمَّة شيء يُذكِّرك بالشَّمع في الطريقة التي تخرج بها ذراعاها وساقاها من فتحات فستانها. بيضاء بضَّة. يمكنك أن تتخيَّل أنها تعيش وراء سورٍ من الأسلاك الشائكة. بداخلي يتنامى الأمل في أن تكون ميِّتة. هكذا أشعر وأنا أشاهِد في المنزل الأفلام القديمة التي يعود فيها الزومبي ومصَّاصو الدماء من القبر جوعى للحم البشري. بداخلي الأمل اليائس نفسه الذي ينتابني وأنا أشاهِد الموتى الأحياء النَّهمين للحم البشر، ولسان حالي أن أرجوكم، أرجوكم، أرجوكم... إنني هنا، فتعالوا.

الرغبة المُلحَّة بداخلي أن أجد فتاة ميِّتة تتشبَّث بي، أن أسند رأسي إلى صدرها ولا أسمع شيئًا. مجرَّد تخيُّل التهام الزومبي لي أقوى من فكرة أنني لست إلا لحمًا ودمًا وعظمًا وجِلدًا فقط. فليكن شيطانًا أو ملاكًا أو روحًا شريرة، أريد فقط أن يُفصِح أحدهم عن نفسه. فليكن غولًا أو شبحًا أو وحشًا طويل الساقين، أريد فقط من يُمسِك يدي.

من هنا، عند الصَّفِّ السادس من السراديب، يبدو فستانها مكويًّا بلا عناية، وتبدو ساقاها وذراعاها البيضاوين كما لو أنها مغطَّاة بنوعٍ جديد منخفض الجودة من الجِلد البشري. حتى من هذا الارتفاع يبدو وجهها كما لو أنه خرج من خطِّ إنتاج.

نشيد الإنشاد 7:1: *«مَا أَجْمَلَ رِجْلَيْكِ بِالنَّعْلَيْنِ يَا بِنْتَ الْكَرِيمِ! دَوَائِرُ فَخْذَيْكِ مِثْلُ الْحلِيِّ..*

حتى والشمس تُغطِّي كلَّ شيءٍ بالخارج، فإن كلَّ شيءٍ بالداخل بارد الملمس. يدخل الضوء عبر الزجاج الملوَّن، والرائحة رائحة المطر الذي تخلَّل الجدران الإسمنتيَّة، والشعور السائد هو أن كلَّ ما حولك مصنوع من الرخام المصقول، ومن مكانٍ ما تسمع صوت قطرةٍ من المطر تنزلق على قضيبٍ حديدي قديم، قطرة مطر تنزلق في المناور المتصدِّعة، قطرة مطر تنزلق داخل السراديب الخاوية.

أشكالٌ من الغبار والوبر والشَّعر تدور في الهواء على الأرض. يُطلِقون عليها اسم الفضلات الشبحيَّة.

ترفع الفتاة ناظريها إلى أعلى ولا بُد أنها تراني. ثم إنها تدنو بلا صوتٍ على الأرضيَّة الرخاميَّة بحذائها الأسود الخفيف.

يمكنك أن تضل الطريق بسهولةٍ هنا، فالأروقة تقطعها أروقةٌ أخرى عند زوايا غريبة، وعثورك على السرداب الذي تبحث عنه يتطلَّب خريطة، والردهات تنفتح على ردهاتٍ أخرى طويلة للغاية تجعل احتمال أن

يتضح أن الأريكة المنقوشة أو التمثال الرخامي الذي تلمحه عند الطرف الأقصى هو شيء آخر بالكامل ممكنًا. ألوان الرخام الناعمة المتكرِّرة الهدف منها ألا تشعُر بالهلع عندما تضل الطريق.

تقترب الفتاة من السُّلَّم وأنا محاصَر على القمَّة في منتصف الطريق بينها وبين جنَّة الملائكة المرسومة على السقف، وجدار السراديب الرخامي المنقوش يعكس صورتي بالكامل بين الكلمات المحفورة على كلِّ قبر.

بُنِي هذا الحجر على شرف فلان.

بُنِي في هذه البُقعة.

بُنِي تعبيرًا عن المحبَّة والاحترام.

أنا كل المذكور أعلاه.

أصابعي الباردة منقبِضة حول القلم. العيِّنة رقم 98 عبارة عن كاميليا وردِيَّة مصنوعة من الحرير الصيني، ويدل اللون الوردي الغنيِّ فيها على أن هذا الحرير المصقول تم غليه في الماء والصابون لإزالة كلِّ ما به من مادة السريسين. الساق الأساسيَّة مصنوعة من السلك المغموس في لدائن البوليبروبلين التي تُميِّز الحقبة التي صُنعَت فيها. من المفترَض أن الكاميليا ترمز إلى التفوُّق الذي لا يُضاهَى.

يرفع القناع الدائري الذي يُشكِّل وجه الفتاة ناظريه إليَّ من عند أسفل السُّلَّم، ولا أدري كيف أعرف إن كانت حيَّة أم شبحًا. إن فستانها أكبر من أن يجعلني ألاحِظ حركة صدرها، والهواء أكثر سخونة من أن تتضح أنفاسها.

نشيد الإنشاد 7:2: «*سُرَّتُكِ كَأْسٌ مُدَوَّرَةٌ، لاَ يُعْوِزُهَا شَرَابٌ مَمْزُوجٌ. بَطْنُكِ صُبْرَةُ حِنْطَةٍ مُسَيَّجَةٌ بِالسَّوْسَنِ*».

كثيرًا ما يربط الكتاب المقدَّس بين الطعام والغَزَل.

في العيِّنة رقم 136 طُليَت قواقع صغيرة باللون الوردي كي تبدو كالبراعم، وفي العيِّنة رقم 78 صُنِع النرجس البري من الباكيليت.

أريدها أن تعانِقني بذراعيها الميتتين الباردتين وتقول لي إن الحياة بلا نهاية مُطلَقة، إن حياتي ليست سمادًا مصنوعًا من زهور الجنازات سيتعفَّن غدًا ولا يتبقَّى مني إلا نعيي في صحيفة.

الشعور الذي تمنحك إياه كلُّ هذه الأميال من الجدران الرخاميَّة ومن بداخلها أنك في مبنى مزدحِم يعج بالناس، لكنك وحيد في الآن نفسه. قد يمر عام كامل بين سؤالها وإجابتي.

يخرج البخار مع أنفاسي ليُغطِّي التاريخين المحفورين اللذين يحصران حياة ترڤور هوليس القصيرة والعبارة المحفورة التي تقول: «بالنسبة للعالم كان فاشلًا، لكنه بالنسبة لي كان العالم».

ترڤور هوليس، افعل أسوأ ما لديك. أتحدَّاك أن تعود ناشدًا الانتقام.

تنظر الفتاة إليَّ وتبتسم وقد ألقت رأسها إلى الخلف تحتي، ومع الرخام الرمادي في كلِّ مكانٍ حولنا يتقد شعرها الأحمر، وتقول لي:

- «أرى أنك أحضرت زهورًا».

تتحرَّك ذراعاي فتسقط بعض زهور البنفسج والربيع والداليا حولها.

وتلتقط واحدةً من زهور الكوبية وتقول:

- «لم يأت أحد لزيارته منذ الجنازة».

نشيد الإنشاد 7:3: *«ثَدْيَاكِ كَخِشْفَتَيْنِ، تَوْأَمَيْ ظَبْيَةٍ»*.

يبدو فمها ذو الشفتين شديدتي الاحمرار مشقوقًا بسكِّين، وتقول:

- «مرحبًا، أنا فرتيليتي».

وترفع الزهرة وتحملها في الهواء نحوي كأنني لست على ارتفاعٍ مستحيلٍ منها، وتسألني:

- «من أين كنت تعرف أخي ترڤور إذن؟».

- 42 -

اسمها فرتيليتي هوليس... فرتيليتي... الخصوبة. هذا هو اسمها دون مزاح، وهي ما أريد أن أتكلّم عنه غدًا مع موظّفة التحريّات الاجتماعيَّة.

جزءٌ من شروط المتابَعة أن ألتقي بموظَّفة التحريِّات الاجتماعيَّة مرَّة في الأسبوع لمدَّة ساعةٍ كاملة، وفي المقابِل أستمِر في الحصول على كفالة السَّكَن، فالبرنامج يجعلني مؤهَّلًا لتلقِّي معونة سَكَن ضمن أشياءٍ أخرى: جُبن وحليب بودرة وعسل وزبد مجاني من الحكومة، وتوظيف مجاني كذلك. هذه بعض المزايا التي يتضمَّنها البرنامج الفدرالي للحفاظ على النَّاجين. شقَّتي الصغيرة والكميات الوفيرة من الجبن، ووظيفتي الصغيرة التي تمنحني كلَّ ما أقدر عليه من لحمٍ بتلو أهرِّبه في الحافلة. إن ما أجنيه بالكاد يكفي لتغطية النَّفقات.

لا يمنحك البرنامج الكثير من الخيارات والمزايا، ولا يمكنك أن تركن سيَّارتك في المساحة المخصَّصة لذوي الاحتياجات الخاصة مثلًا، لكنك تحصل على موظَّفة من مكتب التحريَّات الاجتماعيَّة لمدَّة ساعةٍ كل أسبوع. كل ثلاثاء تأتي إلى المنزل الذي أعمل فيه بسيَّارتها ذات اللون الحكومي المحايِد، حاملةً معها سيماء التعاطُف الرسمي وملفَّات الحالة الخاصَّة بي، وعدَّاد الأميال الذي يحسب المسافة بين كلِّ زيارةٍ وأخرى لعملائها. هذا الأسبوع لديها أربعة وعشرون عميلًا، والأسبوع الماضي كانوا ستة وعشرين.

كل ثلاثاء تأتي لتسمعني.

كل أسبوع أسألها: كم تبقَّى من النَّاجين في البلاد؟

إنها في المطبخ ترشف الداكيري وتلتهم رقائق التورتيا، وقد خلعت حذاءها ووضعت حقيبتها الكبيرة المليئة بملفَّات العملاء على طاولة المطبخ بيننا، ومن حافظة الأوراق تُخرِج استمارات العملاء الأسبوعيَّة وتُقلِّب فيها كي تضع استمارتي على الوجه. تُمرِّر طرف إصبعها على صفٍّ من الأرقام، ثم تقول:

- «مئة وخمسة وسبعون ناجيًا آخر تبقَّوا في البلاد الآن».

تُدوِّن تاريخ اليوم وتنظر في ساعتها لتُدوِّن الوقت بالتحديد في استمارة المتابعة الأسبوعيَّة الخاصَّة بي، ثم تُناوِلني الاستمارة لأقرأ المكتوب فيها وأضع توقيعي في نهايتها. الغرض من هذا إثبات أنها كانت هنا، أننا تكلَّمنا وتناقشنا. تُناولني قلمًا. تريد أن تُثبت أننا تبادلنا الحديث بقلبين مفتوحين. اسمعيني، عالجيني، أنقذيني، صدِّقيني. هكذا لن يكون خطؤها أن أجز عنقي بعد أن تغادِر.

تسألني وأنا أذيِّل الاستمارة بتوقيعي:

- «هل كنت تعرف المرأة التي تسكن في نهاية الشارع وتعمل في ذلك المنزل ذي اللونين الرمادي والأسود؟».

لا نعم. أعني أني أعرف عمن تتكلَّم.

- «امرأة كبيرة الحجم ذات شعرٍ أشقر طويل مضفر، تبدو كالألمانيات؟ حسن، لقد رحلت منذ يومين. شَنَقَت نفسها بحبل».

تنظر موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة إلى أظفارها وقد ضمَّت أصابعها على راحتيها أولًا ثم وهي مفرودة. تعود إلى حقيبتها الكبيرة وتُخرج قنينة صغيرة من طلاء الأظفار الأحمر الزاهي وتواصل:

- «فلتذهب إلى حيث ألقت. لم أحبها قَط على كلِّ حال».

أناولها الاستمارة وأسألها:

- «هل هناك غيرها؟».

تجيب في اقتضاب:

- «بستاني ما».

وتبدأ في رجِّ زجاجة الأحمر الزاهي ذات الغطاء الأبيض الطويل بالقرب من أذنها وباليد الأخرى تُقلِّب بين الاستمارات، ثم ترفع واحدةً لي لأرى استمارة متابَعة هذا الأسبوع الخاصة بالعميل رقم 134 وقد خُتمت بكلمة (خارج البرنامج) الحمراء الكبيرة، ثم التاريخ. الختم من مخلَّفات برنامج قديم للمرضى المقيمين بالمستشفيات. في برامج أخرى تعني كلمة (خارج البرنامج) أن العميل تم إطلاق سراحه، لكنها تعني الآن أن العميل ميِّت، لكن لا أحد يريد أن يطلب تصميم ختم خاص يحمل كلمة (ميت)، أليس كذلك؟ كانت موظَّفة التحريِّات الاجتماعيَّة قد أخبرَتني بهذا منذ بضع سنواتٍ، عندما بدأ معدَّل حالات الانتحار في الارتفاع مرَّة أخرى.

من التُّرابِ وإلى التُّرابِ نعود. هكذا يتم إعادة تدوير كلِّ شيء.

تقول وهي تحاول خلع غطاء الزجاجة بيديها مرارًا وتكرارًا حتى تبيَض مفاصل أصابعها:

- «هذا البستاني شرب مبيدًا ما للحشائش الضارَّة. الحقيقة أن هؤلاء القوم يفعلون كل ما بوسعهم لجعلي أبدو غير كفءٍ في عملي».

تقرع الطاولة بالزجاجة وتحاول أن تفتحها مرَّة أخرى، ثم تناولني إياها قائلة:

- «خُذ. هلا فتحتها لي؟».

فأفتحها دون عناء وأعيدها لها.

- «هل كنت تعرف هذين الاثنين إذن؟».

لا، لم أكن أعرفهما. كنت أعرف من هما، لكني لا أذكرهما من قبل

أثناء نشأتي في مستعمرة الكنيسة، وإن كنت اعتدت رؤيتهما في الحي خلال السنوات القليلة الماضية. كانا لا يزالا يرتديان ملابس الكنيسة النظاميَّة القديمة: الرجل بالسروال الفضفاض ذي الحمَّالتين، والقميص طويل الكمَّين الذي أغلق أزراره كلها حتى في أكثر أيام الصيف قيظًا؛ والمرأة بالفستان الواسع ذي اللون الباهت الذي أذكُر أن نساء الكنيسة كُنَّ يرتدينه، والبونيه على رأسها. كان الرجل يرتدي دائمًا القُبَّعة ذات الحافَّة الواسعة؛ في الصيف تكون من القش، وفي الشتاء تكون من اللباد الأسود.

نعم، كنت أراهما باستمرار، فمن الصعب أن يفوت منظرهما عليَّ.

تقول موظَّفة التحريِّات الاجتماعيَّة وهي تدهن الطلاء الأحمر على أظفارها:

- «هل كنت تشعر بالاستياء عندما تراهم؟ هل كانت رؤية أناسٍ من كنيستك القديمة تصيبك بالحزن؟ هل كنت تبكي؟ هل كانت رؤيتك لهم وهُم يرتدون الملابس التي اعتدت عليها عندما كنت لا تزال في المستعمرة تثير فيك الغضب ربما؟».

الهاتف يرن...

- «هل تجعلك تتذكَّر والديك؟».

الهاتف يرن...

- «هل تُشعرك بالغضب من ما حدث لعائلتك؟».

الهاتف يرن...

- «هل تذكُر كيف كان كلُّ شيءٍ قبل أن يبدأ الانتحار؟».

الهاتف يرن، وتقول موظَّفة التحريِّات الاجتماعيَّة:

- «هل سترُد على الهاتف؟».

بعد قليل. عليَّ أولًا تفقُّد دفتر التنظيم اليومي. أرفع لها الكتاب

السَّمين لترى قائمة الأشياء التي من المفترَض أن أنجزها اليوم. من أعمل لديهم يحاولون أن يتَّصلوا بي ليُمسكوا عليَّ زلَّة، لكن حاشا لله أن أكون داخل المنزل للردِّ على الهاتف، بينما المفروض أن أكون بالخارج أنظِّف حوض السباحة.

الهاتف يرن...

طِبقًا للدفتر، من المفترَض أن أنظِّف ستائر غرفة الضيوف الزرقاء -أيًّا كان معنى هذا- بالبخار.

تقضم موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة رقائق التورتيا بصوتٍ مرتفع، فأشير لها بالتزام الهدوء.

يرن الهاتف وأرد، فيصرخ:

- «كلِّمنا عن مأدبة الليلة».

أقول أن اهدأ، الأمر ليس صعبًا على الإطلاق. هناك سلمون بلا عظام ونوعٌ ما من الجَزَر الصغير والهندباء المدمَّسة.

- «وماذا تكون هذه؟».

نوعٌ من الأوراق الخضراء المسودَّة، أقول، يؤكل بالشوكة الصغيرة الموضوعة أقصى اليسار وقد وجِّهت أسنانها إلى أسفل. أقول إنني أعرف أنكم تعرفون الهندباء المدمَّسة. لقد تناولتموها في حفل الكريسماس العام الماضي. أنتم تحبون الهندباء المدمَّسة. أقول للهاتف أن يأكل ثلاث قضماتٍ فقط. سوف تروق لك، أعدك.

يسألني الهاتف:

- «هل يمكنك إزالة البُقَع عن رفِّ المدفأة؟».

طِبقًا للدفتر، ليس من المفترَض أن أفعل هذا قبل الغد.

- «آه، نسينا».

نعم، نسيتم، فعلًا.

عالم وسخة!

يمكنك أن تعتبرني خادمًا خصوصيًا، لكنك ستكون مخطئًا.

- «هل من شيءٍ آخر يجب أن نعرفه؟».

إنه عيد الأم.

- «سحقًا لهذا الخراء! هل أرسلت شيئًا؟ هل نحن في أمان؟».

بالطبع. لقد أرسلتُ لأمِّ كلٍّ منهما باقة من الزهور، وسيُرسِل بائع الزهور الفاتورة إلى حسابهما.

- «وماذا كتبت في البطاقة؟».

كتبت: «إلى أمي الحبيبة التي أجلُّها وأذكرها دائمًا. لم يسبق أن حظي أيٍ ابن/ابنة بأمٍّ تحبه/تحبها أكثر مني. مع خالص حبي». ثم توقيع كلٍّ منهما في مكانه. ملاحظة: «الزهور المجفَّفة لا تقل جمالًا عن الطازجة».

- «لا بأس. سيكفي هذا عامًا آخر. تذكَّر أن تروي جميع النباتات في الشُّرفة. لقد كتبت هذا في دفترك».

ثم ينغلق الخط. لا يحتاج من أعمل لديهم لتذكيري بأيِّ شيءٍ أبدًا، لكن لا بُد أن تكون الكلمة الأخيرة لهُم.

لكني لا أبالي.

تُحرِّك موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة يديها أمام فمها وتنفخ في أصابعها، وبين كلِّ نفخةٍ وأخرى تسألني:

- «ماذا عن عائلتك؟».

وتنفخ في أصابعها...

- «أمك؟».

وتنفخ في أصابعها...

- «هل تذكُر أمك؟».

وتنفخ في أصابعها...

- «هل تعتقد أنها شعرت بأيِّ شيء؟».

وتنفخ في أصابعها...

- «أعني عندما قتلت نفسها».

مَتَّى 24:13: *«وَلكِنِ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهذَا يَخْلُصُ»*.

طِبقًا للدفتر، من المفترَض أن أنظِّف فلتر مكيِّف الهواء. من المفترَض أن أمسح الغبار في غرفة المعيشة الخضراء وألمِّع مقابض الأبواب النحاسيَّة، بالإضافة إلى إرسال جميع الجرائد القديمة إلى إعادة التدوير.

توشك ساعتنا الأسبوعيَّة على الانتهاء، لكن لم تُتَح لي بعد فرصة الكلام عن فرتيليتي هوليس، وكيف التقينا في الضَّريح ثم تجوَّلنا لمدَّة ساعة، كلَّمتني فيها عن الحركات الفنيَّة المختلِفة في القرن العشرين وكيف تُصوِّر المسيح على الصليب. في أقدم أجنحة الضَّريح، جناح القناعة، يبدو المسيح رومانسيًّا كئيبًا ذا عينين أنثويَّتين كبيرتين رطبتين وأهداب طويلة. وفي الجناح المبني في الثلاثينات يشبه المؤمنين بالواقعيَّة الاجتماعيَّة، وقد نمت له عضلات ضخمة تليق بسوبر هيرو. وفي الجناح المبني في الأربعينات، جناح الصَّفاء، يبدو كتجميع تجريدي لعددٍ من الطائرات والمكعَّبات. مسيح الخمسينات مصنوع من خشب أشجار الفواكه المصقول، الذي يجعله يُشبه هيكلًا عظميًّا معاصرًا على الطراز الدانمركي، ومسيح الستينات مُجمَّع من الخشب الطافي. لا يوجد جناح للسبعينات، وفي جناح الثمانينات ليس هناك مسيح. فقط الرخام الأخضر والنحاس الذي تجده في أيِّ متجرٍ متعدِّد الأقسام.

تكلَّمت فرتيليتي عن الفنون ونحن نمشي في أجنحة القناعة والسَّكينة والسلام والبهجة والخلاص والنَّشوة والسِّحر.

قالت لي إن اسمها فرتيليتي هوليس، فقلت لها إنني تندر برانسن. هذا أقرب شيء لديَّ لاسمٍ حقيقي.

سوف تزور قبر أخيها مرَّةً كلَّ أسبوعٍ من الآن فصاعدًا، ووعدَتني أن تكون هناك الأربعاء المقبل.

تقول موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة:

- «عشر سنواتٍ كاملة مرَّت، فلِمَ لا تريد أن تُفصِح عن مشاعرك وتتكلَّم عن عائلتك الميتة؟».

أقول لها إنني آسف ويجب أن أعود إلى العمل.

أقول لها إن الساعة انتهت.

- 41 -

قبل أن يفوت الأوان، قبل أن نقترب من سقوط الطائرة، أريد أن أشرَح لك مسألة اسمي، تندر برانسن. إنه ليس اسمًا حقًّا، بل أقرب إلى رُتبة، تمامًا كما يُطلِق أحدهم في ثقافةٍ أخرى على طفلٍ اسمًا هو في الوقت نفسه مرادِف لرُتبةٍ أو لَقَبٍ ما، مثل الملازم سميث أو الأسقف چونز أو العمدة براون أو الدكتور مور أو المأمور پيترسن. الأسماء الوحيدة الموجودة في ثقافة العقيدة الكِريدِشِيَّة كانت أسماء العائلات، ويأتي اسم العائلة من الزوج، واسم العائلة هو وسيلة للاستحواذ على الممتلَكات. باختصار، اسم العائلة هو تصنيف.

اسم عائلتي هو برانسن، ورُتبتي هي تندر برانسن، وهي الرُّتبة الأدنى.

سألَتني موظَّفة التحريِّات الاجتماعيَّة ذات مرَّةٍ إن كان اسم العائلة يُشكِّل لعنة ما للأبناء والبنات عندما يخرجون للعمل في العالم الخارجي. منذ بدأ الانتحار والناس في العالم الخارجي لديهم الصورة الفظيعة نفسها عن الثَّقافة الكِريدِشِيَّة التي كانت لدى أخي آدم عنهم.

قال لي أخي إن الناس في العالم الخارجي متهوِّرون مُهمِلون كالحيوانات، يتناكحون مع الأغراب في الشوارع.

في هذه الأيام يسألني الناس في العالم الخارجي إن كانت هناك أسماء عائلاتٍ معيَّنة تجعل أجورنا أعلى أو أدنى عندما نخرُج من المستعمرة للعمل، وعادةً ما يتمادى هؤلاء ليسألونني إن كان الآباء الكِريدِش يُضاجِعون بناتهم كي يحملن منهم ويُنجبن المزيد من الأطفال، ومن ثم يزداد تدفُّق الأموال. يسألونني إن كان الأبناء الكِريدِش غير المسموح

لهم بالزواج مخصيين، ويقصدونني أنا بالطبع. يسألونني إن كان الأبناء الكِريدِش يَستَمنون أو يمارسون الجنس مع حيوانات المزرعة أو اللواط مع بعضهم البعض، ويقصدونني أنا بالطبع.

هل فعلت هذا؟ هل كنت هكذا؟

يسألني الأغراب في وجهي إن كنت لا أزال لم أفقد عُذريَّتي بعد.

لا أدري، نسيت، أو أن الأمر كله ليس من شأنك.

للعلم، كان أخي آدم برانسن أكبر مني بثلاث دقائق وثلاثين ثانيةٍ فقط، لكن هذا قد يساوي سنواتٍ كاملة بالمقاييس الكِريدِشِيَّة، إذ لا تعترف تعاليم الكنيسة الكِريدِشِيَّة بمن يُنهي السِّباق في المركز الثاني.

في كلِّ عائلةٍ يُطلَق اسم آدم على أول الأبناء، وكان من المفترَض أن يرث آدم برانسن أرضنا في مستعمرة مقاطعة الكنيسة. أما جميع الأبناء الذين يأتون بعد آدم فيُطلَق عليهم اسم تندر، وفي عائلة برانسن يجعلني هذا واحدًا من ثمانية تندر برانسن آخرين على الأقل، أطلَقهم أبواي في العالم الخارجي ليكونوا مُبشِّرين عاملين.

بالنسبة للبنات، فيُطلَق عليهن كلهن اسم بيدي.

الأولاد تندر هُم من يعتنون بكلِّ شيء، والبنات بيدي يأتمرن بأمرك.

أعتقد أنه تخمين موفَّق أن الاسمين عبارة عن كلمتين عاميَّتين أو لفظتين مستعارَتين لاسمين تقليديَّين أطول، لكني لا أعرفهما.

أعرف أنه إذا اختار كبار الكنيسة بيدي برانسن لتتزوَّج آدم من عائلةٍ أخرى، فإن اسمها الأول -رُتبتها بالأحرى- يصبح في هذه الحالة أوثر. هكذا عندما تتزوَّج بيدي برانسن من آدم ماكستن، فإنها تصبح أوثر ماكستن. والدا هذا الآدم ماكستن كان اسمهما آدم وأوثر ماكستن أيضًا إلى أن يُنجِب ابنهما وزوجته طفلًا، وحينها يصبح اسمهما الزوجين ماكستن الكبيرين. مع معظم الأزواج، ومع الوقت الذي يُنجِب فيه الابن

الأول ابنه الأول، تكون الأم ماكستن الكبيرة قد ماتت غالبًا من فرط إنجابها طفلًا بعد طفلٍ بعد طفل.

جميع كبار الكنيسة تقريبًا رجال. من الممكن أن يصبح الرجل واحدًا منهم مع بلوغه الخامسة والثلاثين إذا كان سريعًا بما يكفي.

لم يكن الأمر بهذا التعقيد. في الحقيقة، كان لا شيء مقارنةً بالعالم الخارجي وما فيه من أنظمةٍ لتصنيف الآباء والأجداد وكبار الأجداد والأعمامِ والأخوال والعمّات والخالات وأبناء وبنات الأخ والأخت، حيث لكلٍّ من هؤلاء اسمه الأول الخاص. في الثقافة الكِريدِشِيَّة يقول اسمك للجميع من تكون وإلى أين تنتمي. تندر أو بيدي، آدم أو أوثر، أو أحد كبار الكنيسة. يُخبرك الاسم عن حياتك القادمة وموقعك فيها بالضبط.

يسألني الناس إن كنت قد شعرت بالغضب أبدًا لأنني فقدت الحق في أن تكون لديَّ ممتلكات أو أن أكوِّن عائلة، فقط لأن أخي سبقني إلى الحياة بثلاث دقائق وثلاثين ثانية، وقد تعلَّمت أن أجيبهم بالإيجاب. هذا ما يريد أن يسمعه الناس في العالم الخارجي. لكن ذلك ليس صحيحًا، فلم أشعر بالغضب قَط. إن هذا يشبه أن تشعر بالغضب لأنك وُلدت بأصابعٍ أطول من أن تسمح لك بأن تكون عازف كمان، يشبه أن تتمنَّى لو كان أبواك أطول أو أنحف أو أقوى أو أسعد. ثمَّة تفاصيل في الماضي لا تملك التحكُّم فيها. الحقيقة الثابتة أن آدم وُلِد أوَّلًا، ولربما كان يحسدني لأني سأخرُج وأرى العالم.

بينما كنت أحزم أمتعتي، كان آدم يتزوَّج من واحدةٍ من اللاتي اسمهن بيدي جليسن لم يلتقِ بها إلا لمامًا.

كان كبار الكنيسة كمجموعةٍ هُم من يحتفظون بجداول وخرائط مفصَّلة لكلٍّ آدم يتزوَّج أيَّ بيدي من أيِّ عائلةٍ، كي لا يتزوَّج من يُطلِقون عليهم في العالم الخارجي أبناء الأعمام والأخوال من بعضهم البعض

أبدًا. في كلِّ جيلٍ، عندما يبلغ كلُّ آدم السابعة عشرة من عمره، يلتقي كبار الكنيسة لتعيين زوجاتٍ لهم أبعد ما يكن عن تاريخ عائلاتهم قدر الإمكان، وفي كلِّ جيلٍ كان هناك موسم للزواج. كانت هناك أربعون عائلة تقريبًا في مستعمرة مقاطعة الكنيسة، وفي كلِّ جيلٍ كانت كلُّ عائلة تقريبًا تقيم حفلات الزفاف في البيوت. بالنسبة لكلِّ تندر أو بيدي، كان موسم الزواج شيئًا تراقبه من بعيد فقط.

إذا كنتِ بيدي، فإن الزواج كان شيئًا تحلمين بأن يحدث لكِ فقط. وإذا كنتَ تندر، فلا أحلام لكَ.

- 40 -

تأتيني المكالمات الليلة كما في كلِّ ليلة. القمر مكتملٌ بالخارج، والناس مُستعدُّون للموت بسبب الدرجات السيِّئة التي حصلوا عليها في المدرسة، بسبب اضطراباتهم العائلية، بسبب مشاكل من يصاحبونهم، بسبب وظائفهم التعيسة. كل هذا وأنا أحاول تقطيع شريحتين مسروقتين من الضأن على شكل جناحي الفراشة.

يتَّصلون بي من مُدُنٍ أخرى، ويسألني عامل السنترال إن كنت أقبل تحمُّل تكاليف المكالمة من فلان الفلاني الذي يَنشُد انتباهي الآن.

الليلة أجرِّب طريقة جديدة لأكل السلمون أون كروت؛ حركة جديدة مثيرة بالمعصم، بعض التنميق لجَعل من أعمل لديهم يُبهِرون بقيَّة الضيوف في حفل العشاء القادم.

الهاتف يرن مرَّة أخرى، ويتَّصل بي شاب يقول إنه سيرسب في امتحان الجَبر.

على سبيل التمرين أقول له أن يقتل نفسه.

تتَّصل بي امرأة تقول إن أطفالها يُسيئون الأدب.

دون تردُّد أقول لها أن تقتل نفسها.

تتَّصل امرأة لتسأل عن موعد بدء العرض الليلي للفيلم.

اقتلي نفسك.

– «أليس هذا رقم 555–1327، مجمَّع سينمات مورهاوس؟».

أقول لها: اقتلي نفسك، اقتلي نفسك، اقتلي نفسك!

تتَّصل فتاة وتسألني:

- «هل يؤلم الموت كثيرًا؟».

في الحقيقة يا عزيزتي، أقول لها، نعم، لكن ما يؤلم أكثر هو مواصَلة الحياة.

تقول:

- «كنت أتساءل فقط. لقد انتحر أخي الأسبوع الماضي».

لا بُد أنها فرتيليتي هوليس. أسألها كم كان عمر أخيها محاوِلًا أن أجعل صوتي أعمق ومختلفًا بحيث لا تتعرَّفه.

تجيب بأنه كان في الرابعة والعشرين دون أن تبكي أو أي شيء. بل إن صوتها لا يبدو حزينًا إلى هذه الدرجة أصلًا.

صوتها يجعلني أفكِّر في فمها، فيجعلني أفكِّر في أنفاسها، فتجعلني أفكِّر في نهديها.

رسالة كورنثوس الأولى 6:18: *«اهْرُبوا مِنَ الزِّنَا! فَكُلُّ خَطِيئَةٍ يَرْتَكِبُهَا الإِنْسَانُ هِيَ خَارِجَةٌ عَنْ جَسَدِهِ، وَأَمَّا مَنْ يَرْتَكِبُ الزِّنَا، فَهُوَ يُسِيءُ إِلَى جَسَدِهِ الْخَاصِّ»*.

بصوتي الجديد الأعمق أسألها أن تتكلَّم عمَّا تشعر به، فتقول:

- «لا أستطيع اتخاذ قرارٍ من حيث التوقيت. التِّرم الدراسي الربيعي على وشك الانتهاء، ووظيفتي أكرهها كثيرًا. عقد إيجار شقّتي يكاد ينتهي، ورُخصة القيادة تنتهي هي الأخرى الأسبوع القادم. إذا كنت سأفعلها حقًّا، فالآن يبدو لي الوقت المناسب للانتحار».

أقول لها إن هناك الكثير من الأسباب الوجيهة للحياة، وفي قرارة نفسي آمل ألا تطلب مني قائمةً بها. أسألها إن كان هناك من يشترِك معها في حزنها على أخيها، صديق قديم لأخيها مثلًا يستطيع مساعدتها في هذه المِحنة.

- «كلا».

أسألها إن كان هناك من يذهب لزيارة قبر أخيها سواها.

- «كلا».

أسألها: ولا شخص واحد؟ لا أحد غيرها يضع الزهور على القبر؟ ولا صديق قديم واحد؟

- «كلا».

من الواضح أنني أحدثت أثرًا عظيمًا عليها!

- «لا، انتظر. هناك ذلك الرجل غريب الأطوار».

أنا غريب الأطوار. رائع!

أسألها عمَّا تعنيه بغرابة الأطوار.

- «أتذكُر أتباع الطائفة الدينيَّة هؤلاء الذين انتحروا؟ كان هذا منذ سبعٍ أو ثمانِ سنواتٍ تقريبًا. لقد فعلَتها البلدة كلها. يومها دخلوا الكنيسة كلهم وشربوا سُمًّا، ووجدهم رجال الـFBI على الأرض ممسكين بأيدي بعضهم البعض وكلهم موتى. هذا الرجل ذكَّرني بهم. لم تكن ملابسه السخيفة هي السبب، بل شعره الذي يبدو أنه قصَّه بنفسه مُغلَق العينين».

كان هذا منذ عشر سنوات، وكل ما أريد أن أفعله الآن أن أغلق الخط.

سِفر أخبار الأيام الثاني 21:19: «...*تَسَاقَطَتْ أَمْعَاؤُهُ مِنْ جَرَّاءِ الدَّاءِ*..

- «ألو؟ أما زلت هنا؟».

نعم. وماذا أيضًا؟

- «لا شيء. كان هناك فقط عند قبر أخي يحمل باقة زهور».

أقول لها إن هذا بالضبط هو الشخص الذي تحتاج إلى اللجوء إليه في مثل هذه الظروف.

- «لا أظن».

أسألها إن كانت متزوِّجة.

- «كلا».

أسألها إن كانت تواعِد أحدًا.

- «كلا».

تعرَّفي عليه إذن، أقول لها، ودعي خسارتكما المشتركة تجمعكما معًا. قد يكون هذا تطوُّرًا كبيرًا في حياتك العاطفيَّة.

- «لا أظن. أولًا، إنك لم ترَ هذا الرجل. الحق أنني لطالما تساءلت إن كان أخي شاذًّا، وغريب الأطوار هذا والزهور التي يحملها أكَّد شكوكي. كما أنه ليس جذَّابًا».

مراثي إرميا 2:11: «...*جَاشَتْ أَحْشَائِي وَأُرِيقَتْ كَبِدِي عَلَى الأَرْضِ*..

أقول إنه من الممكن أن يقص شعره قَصَّة لائقة. يمكنك مساعدته. اعملي على تجديده.

- «لا أظن. إنه شديد القُبح. وبالإضافة إلى قَصَّة الشعر الشنيعة تلك، هناك هذان السالفان اللذان يكادا يصلان إلى فمه. هذا لا يشبه استخدام الرجال لبعض الشعر المُشذَّب كما تفعل امرأة بالماكياج لإخفاء حقيقة أن لديها نونة في الذقن مثلًا، أو أن عظام وجنتيها دقيقة للغاية. هذا الرجل بلا أيِّ ملامحٍ جيدة يمكن العمل عليها. ثم إنه شاذ!».

رسالة كورنثوس الأولى 11:14: «*أَمَا تُعَلِّمُكُمُ الطَّبِيعَةُ نَفْسُهَا أَنَّ إِرْخَاءَ الرَّجُلِ لِشَعْرِهِ عَارٌ عَلَيْهِ*».

أقول لها إنها لا تملك دليلًا على شذوذه.

- «وأيُّ دليلٍ تريد؟».

أقول لها أن تسأله. أليس من المفترَض أن تراه مرَّة أخرى؟

- «قلت له إنني سأقابله عند سرداب أخي الأسبوع القادم، لكني لا أدري. لم أكن أعني هذا حقًّا، وقلته لمجرَّد أن أبتعد عنه. كان مثيرًا للشفقة جدًّا، وأخذ يتبعني كظلِّي في الضَّريح طوال ساعةٍ كاملة».

أقول لها إنها يجب أن تقابله كما وعدت. فكِّري في ترڤور الميت المسكين، فكِّري في أخيك. ماذا كان ليقول إذا عرف أنك نبذت صديقه الوحيد المتبقِّي هكذا؟

- «كيف عرفت اسمه؟».

- «اسم من؟».

- «أخي، ترڤور. لقد قلت اسمه».

أقول لها إنها ذَكَرته لا بُد منذ قليل. ترڤور، في الرابعة والعشرين من عمره، انتحر الأسبوع الماضي، شاذ جنسيًّا (ربما)، كان لديه عشيق سري يائس يحتاج أن يضع رأسه على كتفها ويبكي.

- «تذكُر كلَّ هذا؟ إنك تجيد الإصغاء حقًّا. هذا مثير للإعجاب. كيف تبدو؟».

أقول لها إنني دميم، بشع. شعرٌ قبيح، ماضٍ قبيح، ولن يروق لها شكلي على الإطلاق.

أسألها عن صديق أخيها، أو عشيقه أو أرمله المحتمَل، هل ستقابِله الأسبوع القادم كما وعدت؟

- «لا أدري، ربما. قد ألتقي بالمغفَّل الأسبوع القادم إذا فعلت شيئًا من أجلي الآن».

أقول لها أن تتذكَّر فقط أن لديها فرصة أن تفعل شيئًا لأحدٍ حيال الوحدة التي يعانيها، إن لديها فرصة أن تمنح دعمها ورعايتها لرجلٍ يحتاج إلى حبها بشدَّة.

- «سُحقًا للحب!» تقولها بصوتٍ خفيضٍ يجاري انخفاض صوتي، ثم تضيف: «قُل لي شيئًا يثيرني».

- لا أعرف ما تعنيه...

- «تعرف ما أعنيه».

التكوين 3:12: ...*الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ*».

أقول لها إنني لست وحدي هنا، إنني محاطٌ بالمتطوِّعين الذين يتبرَّعون بوقتهم.

- «هلُم، العق حلمتيَّ».

أقول لها إنها تستغل طبيعتي الحانية، وأقول لها إنني يجب أن أغلق الخط الآن.

- «بقوة، ضاجعني بقوة! أوه بقوة! ضاجعني بقوة!».

تضحك وتقول:

- «العقني! العقني! العقني! العقني!».

أقول إنني سأغلق الخط الآن، لكني لا أفعل.

تقول فرتيليتي:

- «تعرف أنك تريدني. قل لي ما تريدني أن أفعله. تعرف أنك تريدني. اجعلني أفعل شيئًا رهيبًا».

وقبل أن أستطيع أن أسحب نَفْسي من المكالمة، تُطلق فرتيليتي هوليس صرخة ذُروة مدوِّيَّة قمينة بنجمة پورنو محترفة.

رسالة تيموثاوس الأولى 5:15: «*ذَلِكَ لأَنَّ بَعْضاً مِنْهُنَّ قَدِ انْحَرَفْنَ وَرَاءَ الشَّيْطَانِ فِعْلاً*».

ما أشعر به الآن أنني رخيصٌ مستغَل، قذرٌ مُهان، ملوَّثٌ ومخدوعٌ وملقى في إهمال.

ثم يرن الهاتف من جديد. إنها هي، لا بُد أنها هي، فلا أرفع السمَّاعة.

يرن الهاتف طوال الليل، وأجلس هنا شاعرًا بالخديعة ولا أجرؤ على الرد.

- 39 -

منذ عشر سنواتٍ تقريبًا كانت جلستي الأولى مع موظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة، وهي شخصيَّة حقيقيَّة لها اسم ومكتب، لكني لا أريد أن أوقعها في أيِّ مشاكل، فلديها ما يكفي من مشاكلها الخاصَّة بالطبع. لديها شهادة في العمل الاجتماعي، وتبلغ من العمر خمسة وثلاثين عامًا، ولا يمكنها الحفاظ على صاحبٍ لفترةٍ طويلة. منذ عشرة أعوامٍ كانت في الخامسة والعشرين، خرِّيجة حديثة منغمِسة في جمْع العملاء الذين كلَّفتها الحكومة بهم كجزءٍ من البرنامج الفدرالي للحفاظ على النَّاجين، الذي كان جديدًا تمامًا وقتها.

الذي حدث أن شُرطيًّا جاء إلى المنزل الذي كنت أعمل فيه وقتها. قبل عشر سنواتٍ كنت في الثالثة والعشرين من عمري، وكانت هذه هي وظيفتي الأولى، لأني كنت لا أزال أمارِس عملي بإخلاصٍ تام وقتها. كنت محدود المعرفة والخبرة. الأفنية المحيطة بالمنزل كانت دائمًا ذات لونٍ أخضر داكن نضر ومنسَّقة بنعومةٍ شديدة جعلتها تبدو كمعاطفٍ من المنك الأخضر. لم يكن هناك شيء داخل المنزل يبدو رخيص الثمن.

عندما تكون في الثالثة والعشرين، فإنك تحسب أنك تستطيع الحفاظ على هذا المستوى من الأداء إلى الأبد.

وراء الشُّرطي الواقف عند الباب الأمامي كان هناك اثنان آخران وموظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة يقفون بالقُرب من الرصيف إلى جوار سيارة شُرطة. لن تفهم أبدًا الراحة التي كان عملي يمنحني إياها حتى اللحظة التي

ستُفتح فيها الباب. طوال حياتي وأنا أعمل نحو هذا الهدف، نحو التعميد وحصولي على عملٍ في تنظيف البيوت في العالم الخارجي الشرير.

عندما أرسل من أعمل لديهم تبرُّعًا للكنيسة مقابل الشهر الأول من عملي كنت متألِّقًا حقًّا، كنت أشعر بأنني أساعد في صُنع جنَّةٍ على الأرض بحق.

مهما حدَّق الناس فيَّ باستغراب، كنت أرتدي زيَّ الكنيسة الإجباري في كلِّ مكان: القبَّعة والسروال الفضفاض الخالي من الجيوب والقميص الأبيض طويل الكُمين. ومهما كان الجو حارًّا، كنت أرتدي المعطف البُنِّي كلما خرجت، وبغضِّ النظر عن التعليقات السخيفة التي كان الناس يُلقونها على مسامعي.

يسألني أحدهم في متجر المعدَّات المعدنيَّة:

- «كيف يمكنك ارتداء قميص بأزرار؟».

لأنني لست من الآمش[1].

- «هل ينبغي أن ترتدي ملابس داخليَّة من نوعٍ خاص؟».

أظنه كان يتكلَّم عن المورمون[2].

- «ألا تخالف عقيدتك الحياة خارج مستعمرتك؟»

يتكلَّم عن المينونايت[3] غالبًا.

- «لم ألتقِ بواحدٍ من الهوترايت من قبل».

وما زلت لم تفعل.

---

(1) Amish: طائفة مسيحية نشأت أمريكا ويؤمن أفرادها بالانعزال عن العالم الخارجي.

(2) مجموعة دينية مسيحية أسسها جوزيف سميث في أمريكا.

(3) طائفة مسيحية تتبع المصلح الديني مينو سيمونز.

كان شعورًا طيبًا أن تكون مختلفًا عن بقيَّة العالم، متديِّنًا غامضًا. لم تكن كمن *«يُشعِلُ مِصْبَاحاً وَيَضَعُهُ فِي مَكَانٍ مَخفِيٍّ»*. كنت صالحًا مستقيمًا، الرجل التقي الوحيد الذي بسببه لا يُهلِك الله أهل سدوم وعمورة الجائلين بخطاياهم في مول ڤالي شوپنج پلازا. كنت منقِذ الجميع، سواءً يعون هذا أم لا تتصبَّب عرقًا في معطفك الصوفي ذي اللون السخيف كشهيدٍ يحترق على وتد.

الشعور الأروع أن تلتقي بمن يرتدي ملابس كملابسك. سواءً كان ما نلبسه سروالًا أو فستانًا بُنيًّا، كنا نرتدي جميعًا ذلك الحذاء الذي يُسمُّونه حذاء البطاطس. يجتمع كلاكما في محادثةٍ جانبيَّةٍ صغيرة لتبادُل كلماتٍ قليلة كان من المسموح لنا بأن نقولها لبعضنا البعض في العالم الخارجي. يمكنك أن تقول ثلاث أو أربع عباراتٍ فقط، لذا كان عليك أن تبدأ ببطء ولا تستعجل في الكلام. كان التسوُّق هو السبب الوحيد لخروجك بين الجموع، وكان هذا في حالة ائتمانك على النقود فقط.

إذا التقيت بأحدٍ من مستعمرة مقاطعة الكنيسة كان يمكنك أن تقول:

- «عسى أن تموت وقد قضيت حياتك كلها في الخدمة».

أو تقول:

- «المجد والثناء لله في هذا اليوم الذي نكدح فيه».

أو:

- «عسى أن تُدخِل جهودنا جميع من حولنا الجنة».

ويمكنك أن تقول:

- «عسى أن تموت وقد اكتمل عملك».

كان هذا هو الحد الأقصى لما يمكن تبادُله من كلام.

ترى تقيَّة أخرى من بنات مقاطعتك تُعاني الحَر في ملابس مستعمرة

الكنيسة التقليديَّة، فتُدير هذه الحفنة الضئيلة من الكلمات في رأسك. لم يكن مسموحًا لكما باللمس. لا عناق أو مصافحة. فقط تقول واحدةً من العبارات المسموح بها وتقول هي الأخرى، وهكذا إلى أن يقول كلٌّ منكما عبارتين وقد خفض رأسه، ثم يعود كلٌّ منكما إلى حال سبيله. كان هذا أصغر جزءٍ من أصغر جزءٍ من القواعد التي يجب أن تتذكَّرها. أثناء نشأتك في مستعمرة مقاطعة الكنيسة، كان نصف الدروس التي تتلقَّاها حول تعاليم الكنيسة وقواعدها والنصف الآخر عن الخدمات، التي تتضمَّن البستنة والإتيكيت والعناية بالأقمشة وتنظيف الأثاث الخشبي والحياكة والحيوانات الأليفة والحساب وإزالة البُقع، بالإضافة إلى دروس التسامُح.

تضمَّنت قواعد المعيشة في العالم الخارجي أن تكتب رسائل اعترافٍ أسبوعيَّة لكبار الكنيسة وأن تمتنع عن أكل الحلوى. التدخين والكحول ممنوعان كذلك. يجب أن يكون مظهرك لائقًا نظيفًا طوال الوقت. وسائل الترفيه المسموعة والمرئيَّة ممنوعة. العلاقات الجنسيَّة ممنوعة.

لوقا 20:35: «*أَمَّا الَّذِينَ حُسِبُوا أَهْلًا لِلْمُشَارَكَةِ فِي الزَّمَانِ الآتِي وَالْقِيَامَةِ مِنْ بَيْنِ الأَمْوَاتِ، فَلاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يُزَوَّجُونَ*».

كان كبار الكنيسة الكرِيدِشِيَّة يجعلون العزوبة تبدو بسهولة أن تختار ألا تلعب البيزبول أو شيئًا من هذا القبيل.

فقط قُل لا

وتستمر القواعد الأخرى بلا نهاية. حاشا لله أن ترقص، أو تأكل السُّكَّر المكرَّر، أو تُغنِّي. لكن أهم القواعد التي يجب أن تتذكَّرها على الإطلاق طوال الوقت كانت: إذا شعر أتباع مستعمرة مقاطعة الكنيسة بأن الله يستدعيهم له، فليبتهجوا. عندما تصير نهاية العالم وشيكة، فليحتفلوا. ثم يُسلِّم الكرِيدِش جميعًا أنفسهم لله، آمين.

ويجب أن تتبعهم...

لا تهم المسافة التي تفصلك عنهم، لا تهم المدَّة التي ظللت تعمل فيها خارج المستعمرة. وبما أن التعامل مع وسائل الإعلام بأنواعها كان ممنوعًا، فمن الممكن أن تمر سنوات كاملة قبل أن يعرف جميع الأتباع بالخلاص. هكذا سمَّته تعاليم الكنيسة.

الهرب إلى مصر، الهرب من مصر. يبدو لي أن الناس يهربون من مكانٍ إلى آخر طوال الوقت في الكتاب المقدَّس.

قد لا تعرف ما حدث لسنواتٍ طويلة، لكن بمجرَّد أن تعرف، فينبغي عليك أن تجد مسدَّسًا أو تشرب بعض السُّم أو تُغرِق نفسك أو تشنقها أو تقطع شرايينك أو تقفز من مبنى ما.

يجب أن تُسلِّم نفسك للفردوس...

لهذا السبب جاء إليَّ ثلاثة من رجال الشُّرطة وموظَّفة التحريِّات الاجتماعيَّة.

- «لن يكون سهلًا عليك أن يبلغك هذا الخبر». قالها الشُّرطي، وعرفت لحظتها أنهم رحلوا وتركوني.

كانت نهاية العالم، سِفر الرؤيا، الخلاص، وعلى الرغم من عملي كله وكلِّ المال الذي جنيته عملًا نحو خطتنا، لم تعد هناك جنة تقام على الأرض.

قبل أن أستطيع التفكير حتى، اقترَبت مني موظَّفة التحريِّات الاجتماعيَّة وقالت:

- «نحن نعرف ما أنت مبرمَج على فعله الآن، ومستعدُّون لاحتجازك ووضعك تحت الملاحظة كي نمنع هذا».

عندما أعلنت مستعمرة مقاطعة الكنيسة عن الخلاص، كان هناك نحو

ألف وخمسمئة من الكِريدِش المتناثرين في أنحاء البلاد المختلفة، وبعد مرور أسبوعٍ كان هناك ستمئة، وبعد عامٍ أصبح هناك أربعمئة. منذ ذلك الحين انتحر اثنان من موظَّفي التحريّات الاجتماعيَّة أنفسهم.

عثرت الحكومة عليَّ وأغلب النَّاجين الآخرين عن طريق رسائل الاعتراف التي كنا نُرسلها إلى الكنيسة. لم نكن نعرف أننا نكتب ونُرسل أجورنا لكبار الكنيسة الذين كانوا قد ماتوا بالفعل ورحلوا إلى الجنة. لم نكن نعرف أن موظَّفي التحريّات الاجتماعيَّة كانوا يقرأون كشوف الحساب التي نُقدِّمها بعدد المرَّات التي أطلقنا فيها سبَّة أو راودتنا الخواطر غير النقيَّة. الآن لم يكن هناك شيء أقوله لموظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة ولا تعرفه بالفعل.

عشر سنواتٍ مرَّت ولم تعد ترى أيًا من أتباع الكنيسة النَّاجين معًا. النَّاجون الذين تبقَّوا لم يعد هناك شيء مشترَك بينهم سوى الشعور بالخجل والاشمئزاز من أنفسهم. لقد أخفقنا في تقديم قرباننا المقدَّس الأسمى. نشعر بالعار من أنفسنا، والاشمئزاز من بعضنا البعض. النَّاجون الذين ما زالوا يرتدون ملابس الكنيسة يفعلون هذا للتباهي بألمهم. خيشٌ ورماد. لم يستطيعوا إنقاذ أنفسهم. كانوا ضعفاء. لقد تبدَّدت القواعد كلها ولم يعد هناك شيء يهم. بين عشيةٍ وضحاها صرنا على متن رحلةٍ بالقطار السريع إلى جهنم مباشرةً.

وكنت ضعيفًا بدوري...

هكذا جلست على المقعد الخلفي في سيارة الشُّرطة وإلى جواري موظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة التي قالت:

- «أنت ضحية بريئة لطائفةٍ ظالمة مستبِدَّة، لكننا هنا لمساعدتك على الوقوف على قدميك مرَّة أخرى».

كانت الدقائق تمر وتُبعِدني أكثر وأكثر عن ما كان يجدر بي أن أفعله.

تقول موظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة:

- «أفهم أن لديك مشكلة مع الاستمناء، فهل تريد أن تتكلَّم عنها؟».

كلُّ دقيقةٍ تمر تجعل قيامي بما وعدت به عند تعميدي أصعب وأصعب. أطلق النار على نفسك، اذبح نفسك، اخنق نفسك، اقطع شرايينك، اقفز من قمَّة مبنى.

كان العالم يمر خارج السيارة بسرعةٍ شديدة شوَّشت عينيَّ.

تقول موظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة:

- «كانت حياتك كابوسًا بائسًا حتى الآن، لكنك ستكون بخير. هل تسمعني؟ اصبر وستكون بخير».

كان هذا منذ عشر سنواتٍ تقريبًا، ولم أزل أنتظر.

التصرُّف السهل وقتها كان أن أعطيها مزية الشك.

اقفز بالزمن عشر سنواتٍ إلى الأمام وستجد أن كثيرًا لم يتغيَّر. عشر سنواتٍ من العلاج النَّفسي وأنا كما أنا تقريبًا. ليس هذا شيئًا جديرًا بالاحتفال على ما أعتقد.

ما زلنا معًا، واليوم جلستنا الأسبوعيَّة الخمسمئة ونيِّف، واليوم نجلس في حمَّام الضيوف الأزرق الذي يختلف عن حمَّام الضيوف الأخضر أو الأبيض أو الأصفر أو الأرجواني. نعم، من أعمل لديهم أغنياء لهذه الدرجة. تجلس موظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة على حافة المغطس وقد نقعت قدميها الحافيتين في بعض الماء الدافئ. حذاؤها موضوع على غطاء المرحاض مع كأس المارتيني التي تحوي أيضًا الجرندااين والثلج المجروش والسُّكَّر الناعم والرَّم الأبيض. بين كلِّ بضعة أسئلة تميل وقلم الحبر الجاف في يدها وتلتقط الكأس بها.

تقول لي إن صاحبها الأخير أصبح خارج الصورة.

حاشا لله أن تعرض عليَّ المساعدة في التنظيف.

ترشف من الكأس ثم تضعها وأنا أجيب على أسئلتها، تكتب على الورق الحكومي الأصفر الموضوع على ركبتيها، تسأل سؤالًا آخر، ترشف من الكأس. يبدو وجهها كأنه مرصوف تحت طبقة الماكياج.

لاري، باري، چيري، تيري، جاري؛ كلُّ أصحابها السابقين لا يختلفون عن بعضهم البعض في شيء. تقول إن قائمتَيْ عملائها الراحلين وأصحابها السابقين تستطيلان جنبًا إلى جنب.

تقول إن العدد انخفض أكثر هذا الأسبوع. مئة واثنان وثلاثون ناجيًا تبقَّوا في البلاد، لكن معدَّل الانتحار بدأ يقل.

طِبقًا لدفتر التنظيم اليومي، من المفترَض أن أنظِّف الملاط بين بلاط السيراميك الأزرق الصغير سداسي الأضلاع على الأرض، ما يساوي أكثر من ترليون ميل من الملاط تقريبًا. إذا تم فرد هذا الملاط جنبًا إلى جنب لامتدَّ من الأرض إلى القمر عشر مراتٍ على الأقل، وكله ملوَّث بالعَفَن الفطري الأسود. تُصيبني الأمونيا التي أغمس فيها فرشاة الأسنان وأنظِّف الملاط بها، مع رائحة دخَّان سجائر موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة، بالإرهاق وتجعل قلبي يدق في عنف.

ولعلي مجنون بعض الشيء. هناك الأمونيا والدخَّان من ناحية، وفرتيليتي هوليس لا تنفك تتَّصل بي في البيت. لا أجرؤ على الردِّ على الهاتف، لكني أعرف أنها هي.

تسألني موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة:

- «هل بادر أي شخص غريب بالاقتراب منك مؤخَّرًا؟».

تسألني:

- «هل تلقَّيت أي مكالماتٍ هاتفيَّة تحمل تهديدًا ما؟».

الطريقة التي تُلقي بها عليَّ الأسئلة ونصف فمها مزموم حول السيجارة تُذكِّرني بكلبٍ منبطح على بطنه يَلِغ في كأسٍ من المارتيني ويُزمجر في وجهك. سيجارة، رشفة، سؤال. تأخذ نفسًا وتشرب وتسأل. هكذا تُقدِّم عرضًا لجميع تطبيقات الفم البشري. لم تكن مدخِّنة من قبل، لكنها تقول لي إنها باتت أكثر فأكثر لا تطيق فكرة أن تعيش حتى سنٍّ متقدِّمة.

تقول وهي ترمق السيجارة الجديدة في يدها قبل أن تُشعِلها:

- «ربما لو كان هناك جزء واحد من حياتي بلا مشاكل».

ثم يبدأ شيء ما في إطلاق صفيرٍ مزعجٍ طويل إلى أن تضغط زرًّا في ساعتها لتوقفه، ثم تميل لتفتح حقيبتها الموضوعة على أرضية الحمَّام وتُخرج منها زجاجة بلاستيكيَّة.

- «إميپرامين. آسفة لأنني لا أستطيع أن أقدِّم لك واحدة».

حاوَلت الحكومة في بداية البرنامج معاملة جميع النَّاجين كالأطفال؛ بأن أعطتهم أدويةً كالزاناكس والپروزاك والڤاليوم والإميپرامين[1]، لكن الخطَّة أثبتت فشلًا ذريعًا عندما حاول عملاء كثيرون الحصول على حصَّتهم من الأدوية لثلاثة أو ستة أو ثمانية أسابيع -حسب وزن كلٍّ منهم- دُفعة واحدة وابتلعوها كاملةً، ثم ألحقوها بكأسٍ من السكوتش.

ومع أن الأدوية لم تكن تصلح للنَّاجين، فإنها كانت بمثابة هديَّة لموظَّفي التحريَّات الاجتماعيَّة.

تسألني:

- «هل لاحظت أحدًا يتبعك؟ أحدًا يحمل مسدَّسا أو سكِّينًا يتبعك ليلًا من محطَّة الحافلات إلى البيت؟».

(1) مجموعة أدوية مضادة للاكتئاب.

أحك الملاط بين ألواح السيراميك ليتغيَّر لونه من الأسود إلى البُنِّي ثم إلى الأبيض، وأسألها لِمَ تسألني عن كلِّ هذا.

- «لا يوجد سبب».

أقول لها أن لا، ليس هناك من يُهدِّدني بشيء.

- «حاولت الاتصال بك ثلاث مرَّات هذا الأسبوع ولم ترد. ماذا هناك؟».

أقول لها إن لا شيء هناك.

الحقيقة وراء عدم ردِّي على الهاتف هي أنني لا أريد أن أكلِّم فرتيليتي هوليس حتى ألتقيها شخصيًا. على الهاتف كانت هائجة جدًّا فلا أستطيع المخاطَرة بتكرار المكالمة الآن. إنني أنافس نفسي. لا أريدها أن تقع في حبي بصفتي صوتًا على الهاتف بينما تحاول التخلُّص مني كشخصٍ حقيقي في الآن نفسه. من الأفضل ألا نتكلَّم على الهاتف ثانيةً. إنني بصورتي الحقيقيَّة الحيَّة القبيحة البلهاء لا أستطيع الوصول إلى مستوى خيالاتها، لذلك لديَّ خطَّة -خطَّة شنيعة- لجعلها تكرهني وتقع في حبي في آنٍ واحد. الخطَّة هي ألا أجذبها لي، ألا أغريها.

- «هل يتعامل أحد غيرك مع طعامك عندما لا تكون في شقَّتك؟».

غدًا لقائي الثاني بفرتيليتي هوليس في الضَّريح، هذا إذا جاءت، ثم يدخل الجزء الأول من خطتي حيِّز التنفيذ.

- «هل تلقَّيت أيَّ بريدٍ به تهديدات أو لا يمكنك تفسيره؟ هل تسمعني أصلًا؟».

أسألها مجدَّدًا عن سبب كلِّ هذه الأسئلة، ثم أقول لها إنني سأشرب زجاجة الأمونيا هذه لو لم تُخبِرني بما يحدُث.

تنظر في ساعتها وتنقُر بالقلم على أوراقها وتجعلني أنتظر حتى تأخذ نفسًا آخر من سيجارتها وتنفخ الدخَّان.

أناولها فرشاة الأسنان وأقول لها أن تنظِّف بعض الملاط إذا كانت تريد مساعدتي حقًّا، فتضع شرابها وتأخذ الفرشاة وتبدأ في حكِّ بوصة من الملاط في الجدار المغطى بالسيراميك إلى جوارها. تتوقَّف وتُلقي نظرةً ثم تحكُّ مرَّة أخرى، ثم تنظر من جديد وتقول:

- «رباه! إنه ينظُف حقًّا. انظر كيف أصبح نظيفًا».

ما زالت قدماها منقوعتين في الماء في المغطس، لكنها تتحرَّك لتبلغ الجدار بصورةٍ أفضل وتواصل الحك.

- «يعلم الله أنني نسيت الشعور الذي يمنحك إياه إنجاز شيءٍ ما».

لم تلاحِظ أنني توقَّفت وجلست القرفصاء أراقبها وهي تهاجم طبقات العَفَن.

تقول وهي تحك في اتجاهاتٍ مختلفة لتتبع العَفَن حول كلِّ لوحٍ أزرق صغير من السيراميك:

- «اسمع، قد لا يكون أيٌّ من ذلك صحيحًا، لكن هناك احتمال أنك في شيءٍ من الخطر».

ليس من المفترَض أن تُخبِرني بهذا، لكن بعضًا من حالات انتحار النَّاجين يثير الشكوك. أغلبية حالات الانتحار عاديَّة مملَّة حسب قولها، لكن ثمَّة بعض الحالات الغريبة هنا وهناك. في إحدى الحالات أطلق أحدهم، وهو أيمن، النار على نفسه بيده اليُسرى، وفي حالةٍ أخرى شنقت امرأة نفسها بحزام معطف الحمَّام، لكن إحدى ذراعيها كانت مخلوعة وهناك كدمات على معصميها.

تقول وهي لا تزال تحكُّ الملاط:

- «هاتان ليستا الحالتين الوحيدتين، لكن هناك نمطًا معيَّنًا».

لم يُلقِ أحد في البرنامج الكثير من الانتباه للأمر في البداية، فالانتحار هو الانتحار، خصوصًا في هذه الكثافة السُّكَّانية. لا تأتي حالات انتحار

النَّاجين فرادى، ومن شأن حالةٍ واحدةٍ أو اثنتين أن تُفضيا إلى عشرين حالةٍ أخرى مثلًا، تمامًا كما تفعل القوارض عندما تنتحر في البحر.

يسقط الورق الحكومي الأصفر منها على الأرض وتقول:

- «الانتحار مُعدٍ حقًّا».

يُظهِر نمط حالات الانتحار الزائف الجديدة تلك أنها غالبًا ما تقع بعد أن تنتهي موجة من الحالات الطبيعيَّة. أسألها عمَّا تعنيه بحالات الانتحار الزائف وأرشف من كأس المارتيني خلسةً فأجد أن له طعمًا غريبًا كغسول الفم.

- «جرائم قتل. نعتقد أن أحدهم يقتل النَّاجين ويجعل الأمر يبدو كانتحار».

هناك شك أنه عندما ينخفض معدَّل حالات الانتحار الحقيقيَّة تبدأ جرائم القتل لرفع هذا المعدَّل مرَّة أخرى. بعد جريمتَيّ قتلٍ أو ثلاث تظهر كانتحار يبدو الانتحار جذَّابًا من جديد، ومن ثم يبادر عدد آخر من النَّاجين إلى الانتحار بدورهم.

- «من السهل أن تتخيَّل قاتلًا -قد يكون شخصًا واحدًا أو فِرقة كاملة- من أتباع كنيستكم يعمل على التأكُّد من دخولكم الجنَّة معًا. أعرف أنه افتراض سخيف مغرق في الپارانويا، لكنه منطقي كذلك».

الخلاص...

- لماذا تُلقي عليَّ كل هذه الأسئلة إذن؟

- «لأن ناجين أقل وأقل ينتحرون هذه الأيام. المعدَّل الطبيعي لحالات الانتحار العادية في تناقُص، وأيًّا كان من يفعل هذا سوف يقتل مرَّة أخرى كي يرتفع المعدَّل من جديد. هذا النمط منتشر في البلاد كلها».

تحكُّ الملاط بفرشاة الأسنان وتغمسها في الأمونيا، ثم تواصل الحكَّ والسيجارة مشتعلة في يدها الأخرى.

- «لا يوجد نمط واحد باستثناء الأوقات التي تقع فيها هذه الجرائم. هناك رجال ونساء، شباب وكبار. يجب أن تتوخَّى الحذر لأنه من الممكن أن تكون الضحيَّة التالية».

الشخص الجديد الوحيد الذي التقيت به منذ شهور هو فرتيليتي هوليس.

أسأل موظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة، لأنها امرأة وما إلى ذلك، كيف تريد النساء أن يبدو الرجل؟ ما الذي تبحث عنه في شريك الجِنس؟

تترك وراءها أثرًا غير منتظمٍ من الملاط الأبيض النظيف، وتقول:

- «ما يجب أن تتذكَّره أنه قد يكون لكلٍّ هذا تفسير طبيعي. قد لا يكون هناك من سيقتلك، وقد لا يكون هناك شيء على الإطلاق يستدعي القلق».

- 38 -

جزءٌ من عملي أن أرعى الحديقة، لذا أرشُّ كلَّ شيءٍ -بما في ذلك الأعشاب والنباتات الحقيقيَّة- بضِعف الكمِّيَّة الموصَى بها من السُّم، ثم أسوِّي أحواض السالڤيا والخِطْميِّ. الشكل الذي أسعى إليه هذا الموسم هو شكل الحدائق الصغيرة المحيطة بالأكواخ. العام الماضي كان حديقة أحواض زَرْع فرنسية، وقبله حديقة يابانية كلها من النباتات البلاستيكيَّة. كلُّ ما عليَّ هو انتزاع الزهور كلها من أحواضها وتنسيقها، ثم وضعها مرَّةً أخرى في الأرض بتنسيقٍ جديد، ما يجعل العملية سريعة سهلة. الزهور التي بهت لونها تُعالَج قليلًا بالسپراي الأحمر أو الأصفر. القليل من الورنيش الشفَّاف أو سپراي الشعر يحول دون اهتراء خيوط الزهور المصنوعة من الحرير من الأطراف.

تحتاج زهرتا الألفيَّة الصناعيَّة وأبو خنجر البلاستيكيَّة إلى تنظيفهما من الغبار بمياه الخرطوم، ويحتاج الورد البلاستيكي المثبَّت بأسلاك إلى الهياكل المسمومة الميتة لأحواض الورد الأصليَّة لبعض الرائحة.

ثمَّة بعض الطيور زرقاء اللون تمشي على العشب بطريقةٍ تجعلها تبدو كأنها تبحث عن عدسةٍ لاصقةٍ ضائعة.

هكذا أفرغ البخَّاخة من السُّم وأملأها بثلاثة جالونات من الماء ونصف زجاجةٍ من عطر إترنيتي من كالڤن كلاين لأرشُّ بها الورد، وأرشُّ زهور الساشا ديزي الصناعيَّة بڤانيليا مخفَّفة بالماء من المطبخ. زهور النجمة الصناعيَّة تُعطَّر بوايت شولدرز، أما معظم النباتات الأخرى فأستخدم معه

معطِّر جو برائحة الزهور، وأوراق الزعتر الليموني أرشُّها بسپراي تلميع الأثاث برائحة الليمون.

جزءٌ من الاستراتيچية التي سأتبعها مع فرتيليتي هوليس أن أبدو قبيحًا عن عمد، وتلويث نفسي بأوساخ الحديقة مجرَّد بداية. ما زلت أحتاج إلى المزيد. من الصعب أن تُوسِّخ نفسك في الحديقة مع ذلك عندما لا تلمس الأرض تقريبًا، لكن رائحة السُّم عالقة بملابسي، وأنفي لوَّحته الشمس قليلًا. أستخدم سلك زهرة كالا ليلي بلاستيكيَّة لتقطيع كُتلة جامدة من التُّربة وأفركها على رأسي، وأغرس التراب تحت أظفاري.

حاشا لله أن أحاول أن أبدو في مظهرٍ جيِّد أمام فرتيليتي. أسوأ استراتيچية يمكنني اتباعها على الإطلاق الآن أن أحاول تحسين شكلي. سيكون خطأً كبيرًا أن أتأنَّق، أن أبذل أفضل ما لديَّ وأمشِّط شعري، ولربما أقترض بعض الثياب الفاخِرة من الرجل الذي أعمل لديه، قميص قطني ملوَّن مثلًا، وأغسل أسناني وأضع ما يُسمُّونه مزيل العَرَق، ثم أدخل ضريح كولومبيا التذكاري في موعدي الثاني مع فرتيليتي هوليس وأنا لا أزال قبيحًا مع فارق أنني حاولت أن أبدو أفضل بالفعل وفشلت.

ها أنا ذا إذن. ليس في الإمكان أبدع مما كان. خذيني أو اتركيني.

كأني لا أبالي برأيها...

كلا، ظهوري بشكلٍ جيد ليس جزءًا من الخطَّة. خطَّتي أن أبدو كإمكانيَّة غير مُستغلَّة. المظهر الذي أسعى إليه هو الطبيعي، الحقيقي، المادة الخام. ليس اليائس المثير للشفقة، بل الغني بالإمكانات. ليس المنظر الجائع. أريد أن أبدو كأنني أستحق المجهود. مغسول لكن غير مكوي، نظيف لكن غير مصقول، واثق لكن متواضِع.

أريد أن أبدو صادقًا. الحقيقة لا تتألَّق أو تلمع.

إنه عرض عملي للعدوانيَّة السلبيَّة.

الفكرة التي لديَّ أن أجعل القُبح يعمل لصالحي، أن أضع أساسًا للمقارَنة التي سوف تتم بين ما أنا عليه الآن وما سأكونه. قبل وبعد. الضفدع والأمير.

الساعة الثانية بعد الظُّهر يوم الأربعاء، وطِبقًا لدفتر التنظيم اليومي من المفترَض أن أدوِّر السجَّادة الإيرانية في غرفة الضيوف الورديَّة كي لا تبدو عليها علامات القِدَم. مساحة السجادة 12 × 16 قدمًا. لتفعل هذا عليك أن تنقل الأثاث كله إلى غرفةٍ أخرى، تطوي السجَّادة، تطوي بطانة السجَّادة، تُنظِّف الغبار بالمكنسة الكهربائيَّة، تمسح الأرضيَّة، تَلِفَّ البطانة وتفردها، ثم تدوِّر السجَّادة وتفردها وتعيد الأثاث كله إلى مكانه. طِبقًا للدفتر، من المفترَض ألا يستغرق هذا مني أكثر من نصف ساعة. لكني بدلًا من كلِّ هذا أكتفي بأن أنفش الأماكن التي تحمل آثار الحركة عليها، وأحل العقدة التي ربطها من أعمل لديهم في طرف السجَّادة، وأعقد واحدةً أخرى بدلًا منها في الطرف الآخر، لتبدو كأنها دُوِّرت إلى الناحية المقابلة من الغرفة. أحرِّك الأثاث كله قليلًا وأضع مكعبات ثلجٍ على البُقَع الغائرة التي تركها في السجَّادة، وهكذا سيذوب الثلج وتنتفشُ هذه البُقَع مرَّةً أخرى.

أمرِّغ حذائي في التراب، وأمام مرآة المرأة التي أعمل لديها أضع الماسكارا داخل طاقتي أنفي حتى يبدو شعر الأنف كثيفًا متشابكًا، ثم ألحق بالحافلة.

يضم برنامج الحفاظ على النَّاجين أيضًا اشتراك حافلة مجانيًّا كلَّ شهر. على ظهر الاشتراك كُتب بحروفٍ حكوميَّة كبيرة «ملك لوزارة الموارد البشرية. لا يجوز استخدامه لغير صاحبه».

أردِّد لنفسي طوال الطريق إلى الضَّريح أنني لا أكترث لمجيء فرتيليتي من عدمه.

تسرد قائمة من أدعية الكنيسة نصف المنسيَّة نفسها في عقلي الذي ليس إلا خليطًا مهروسًا من الأدعية القديمة والردِّ عليها.

عسى أن أقدِّم دائمًا خدمة كاملة مُطلَقة.
فلتكُن في كلِّ واجبٍ عليَّ رحمة لي.
في كدِّي يكمن خلاصي.
عسى ألا تُبدَّد جهودي.
عسى بثمار عملي أن أنقذ العالم.

لكن ما أفكِّر فيه حقًّا هو أن أرجوكِ، أرجوكِ، أرجوكِ، كوني هناك يا فرتيليتي هوليس.

تدخل من الباب الأمامي للضريح لتسمع التوزيعات الرخيصة المعتادة لمقطوعاتٍ موسيقيَّة جميلة حقيقيَّة، كي تجعلك تشعر بأنك لست وحدك إلى هذا الحد، وهي عشر أغانٍ تتكرَّر بالموسيقا فقط دون غِناء، ولا يُشغِّلونها إلا في أيامٍ معيَّنة. بعض الأروقة القديمة في جناحَي السَّكينة والأمل الجديد لا تُشغَّل فيها الموسيقا أبدًا، ولا تسمعها في أيِّ مكانٍ إلا إذا أنصتَّ لها جيدًا.

إنها موسيقا كورق الحائط، الغرض منها منفعي بحت، موسيقا مثل الپروزاك والزاناكس الغرض منها أن تتحكَّم في ما تشعر به، موسيقا كمعطِّر الجو.

أمشي في جناح السَّكينة ولا أرى فرتيليتي، فأمشي في الإيمان والبهجة والصَّفاء ولا أجدها هناك كذلك. أنتشل باقة من الورد البلاستيكي من أمام قبر أحد الموتى كي لا أقابلها خاوي الوفاض.

أدخل في حالةٍ من الكراهية والغضب والخوف والاستسلام، لكن هناك، عند السرداب رقم 678 في جناح القناعة، أرى فرتيليتي هوليس بشعرها الأحمر. أقف إلى جوارها، وتنتظر هي 240 ثانية قبل أن تلتفت لي وتُلقي التَّحيَّة.

لا يمكن أن تكون هذه الفتاة نفسها التي كانت تُسمِعني صرخات الأورجازم على الهاتف.

أرُد التحية.

في يدها باقة من الزهور البرتقاليَّة الصناعيَّة، لطيفة بما يكفي لكن ليست شيئًا قد أُتعِب نفسي لأسرقه. فستانها اليوم من ذلك القماش المطرَّز الذي يصنعون منه الستائر، ذو نقوشٍ بيضاء على خلفيَّةٍ بيضاء. يبدو مصنوعًا من مادَّةٍ صَلبة مقاوِمة للَّهَب والبُقَع والتجعُّدات. تبدو محتشمةً كأُمِّ عروسٍ ليلة زفافها بتنُّورة الفستان ذات الطيَّات وكمَّيه الطويلين، وتقول:

- «هل تفتقده أنت أيضًا؟».

لا شيء فيها يوحي بالتضحية أو الاستشهاد.

أفتقد من؟

تقول وهي حافية القدمين على الأرض الرخاميَّة:

- «ترڤور».

آه، صحيح، ترڤور، عشيقي السِّرِّي. نسيت.

أقول أن أجل، أنا أيضًا أفتقده.

يبدو شعرها كأنه قد جُمِع من حقلٍ ووُضِع في كومةٍ على رأسها ليجف.

- «هل حكى لك عن الرحلة البحريَّة التي ذهبنا فيها معًا؟».

كلا.

- «كانت مخالِفة للقانون بالكامل».

ترفع عينيها من السرداب رقم 678 إلى السقف حيث تأتي الموسيقا من السمَّاعات الصغيرة المتاخِمة للسماء والملائكة المرسومة.

- «جعلني آخذ دروس رقصٍ معه أولًا، وتعلَّمنا جميع رقصات القاعات الكبرى، التشا-تشا والفوكس-تروت، الرومبا والسوينج والڤالس. الڤالس كانت سهلة».

تعزف الملائكة موسيقاها فوقنا لدقيقة وتُخبرها بشيءٍ ما، فتُصغي فرتيليتي هوليس إليها.

- «تعال». تقولها وتلتفت إليَّ وتأخذ زهوري وزهورها وتضعها إلى جوار الحائط. «ترقص الڤالس، أليس كذلك؟».

- ليس كذلك.

تقول وهي تهز رأسها متعجِّبةً:

- «لا أصدِّق أنك تعرف ترڤور وتجهل رقص الڤالس».

في مخيَّلتها هناك صورة لي وترڤور ونحن نرقص، ونضحك، ونمارس الجِنس. هذا هو العائق الذي أواجهه؛ هذا وحقيقة أنني قتلت أخاها.

تأمرني بأن أفتح ذراعيَّ، فأفعل.

تدنو مني وتقف في مواجَهتي تمامًا، ثم تضع يدها على مؤخِّرة عنقي وتُمسِك يدي بالأخرى وتجذبها بعيدًا عنا وتقول:

- «خُذ يدك الأخرى وضعها على سوتياني».

فأفعل.

- «على ظهري!» تقولها وتتملَّص مني، ثم تضيف في صبر:

- «ضع يدك على ظهري حيث يلتقي قِفل السوتيان بعمودي الفقري».

فأفعل.

تُريني كيف أخطو إلى الأمام بقدمي اليُسرى، ثم قدمي اليُمنى، ثم أوازيهما معًا لتفعل هي المثل في الاتجاه المعاكس.

- «اسمها خطوة البوكس. والآن ركِّز مع الموسيقا».

تعدُّ واحد، اثنان، ثلاثة، وتعزف الموسيقا واحد، اثنان، ثلاثة.

نعدُّ مرَّة أخرى وأخرى ونخطو مع العدّ، ونرقص. تميل علينا الزهور من كلِّ سرداب، ويصير الرخام تحت أقدامنا أملسَ، ونرقص. يأتينا الضوء من الخارج عبر النوافذ الملوَّنة، والتماثيل ساكنة في محاريبها، وتخرج الموسيقا من السمَّاعات ضعيفة ويتردَّد صداها على الرخام إلى أن تسيل حولنا في مدٍّ وجَزْرٍ وتحملنا بين أنغامٍ وأوتارٍ، ونرقص.

تقول فرتيليتي وقد فردت ذراعها على طول ذراعي:

- «ما أذكره عن الرحلة هو وجوه آخر مجموعة من المسافرين وهُم يُنزلونهم في قوارب النَّجاة مرورًا بنوافذ قاعة الرقص. كانت سترات النَّجاة البرتقاليَّة تصنع ما يُشبه الإطار حول رؤوسهم فبدت كأنها مقطوعة وموضوعة على وسائد برتقاليَّة. كانوا يُحملقون فينا، ترڤور وأنا، ونحن ما زلنا داخل قاعة الرقص وقد بدأت السفينة في الغَرَق».

- كانت على سفينة غارقة؟

- «كان اسمها أوشن إكسكروشن. حاول ترديد الاسم ثلاث مرَّات بسرعة».

- وكانت السفينة تغرق؟

- «كم كانت جميلة! قالت وكيلة السفريَّات ألّا نعود باكيين إليها، وحذرتنا من أنها سفينة فرنسية قديمة بيعت مؤخَّرًا لثريٍّ ما في جنوب إفريقيا. كانت مُصمَّمة على طراز الآرت دِكو المعماري وفي حالةٍ مزرية، وذكَّرتني ببناية كرايسلر في نيويورك وهي طافية على جانبها وتُبحر في المحيط على ساحل أمريكا الجنوبية الأطلنطي، وقد حملت عشراتٍ من الأرچنتينيين أبناء الطبقة الدُّنيا والوسطى وزوجاتهم وأطفالهم. يا للأرچنتينيين هؤلاء! جميع كشَّافات الضوء على الجدران كانت

من الزجاج الوردي المشكَّل كماساتٍ عملاقة. كلُّ شيءٍ على السفينة كان مصبوغًا بهذا اللون الوردي، والسجَّاد كان مبقَّعًا وباليًا في بعض الأجزاء».

نرقص في مكاننا، ثم نبدأ في الدوران.

خطوة، وواحد، اثنان، ثلاثة. إلى الأمام وإلى الخلف. نرفع كعبينا معًا في تناغُم مثالي ونخطو خطوة، اثنتين، ثلاثًا، وأدور وفرتيليتي هوليس مائلة تُعانِقها ذراعي. وندور مرَّة أخرى وأخرى، ومرَّة أخرى، ومرَّة أخرى...

وتحكي فرتيليتي عن قوارب النَّجاة التي رحلت وتركت السفينة تواجِه مصيرها في تلك الأمسية الكاريبية الهادئة. غروب الشمس يبتلع القوارب، والنَّاجون في سترات النَّجاة البرتقاليَّة يندبون مجوهراتهم وأدويتهم الغارقة، بعضهم يرسم علامة الصليب.

فرتيليتي وأنا، واحد، اثنان، ثلاثة... ڤالس، اثنان ثلاثة... في أنحاء الرواق الرخامي ندور.

في قِصَّتها رقصت فرتيليتي وترڤور على الأرضيَّة الماهوجني المنحدِرة، وقد مالت قاعة الرقص التي كان اسمها ڤرساي مع غرق مقدِّمة السَّفينة، وارتفعت المؤخِّرة بالمراوح الرباعيَّة في هواء المساء. اندفعت مجموعة من الكراسي المذهَّبة لتتجاوزهما وتتجمَّع تحت تمثال لديانا ربَّة القمر الإغريقيَّة، والتَوَتْ الستائر المطرَّزة حول النوافذ. كانا آخر مسافرَيْن على متن الأوشن إكسكروشن.

كان البخار لا يزال يعمل لأن الثُّريَّات الورديَّة -وكانت مثل الثُّريَّات العاديَّة بالضبط، لكن التي على السَّفينة كانت معلَّقة بثباتٍ كالكُتَل الجليديَّة في الجبال. -كانت تتألَّق، وكانت الميكروفونات تملأ السَّفينة بموسيقا جيَّاشة، وأخذت نغمات الڤالس تذوب في بعضها البعض بينما تدور فرتيليتي مع ترڤور وتدور وتدور.

وتدور فرتيليتي معي وتدور وتدور، ونخطو في مكاننا وننزلق في انسجامٍ على أرضيَّة الضَّريح.

أسفل سطح السَّفينة كان البحر الكاريبي يرتفع في قاعة العشاء تريانون ليجعل حواف مائة مفرش مائدة تطفو.

كان التيَّار يجرف السَّفينة وقد ماتت محرِّكاتها كلها، والماء الأزرق الدافئ ممتدًّا إلى الأفق في كلِّ اتجاه.

كان الماء إذ قلَّ في موضع يجعل الأرضيَّة الماهوجني الشبيهة برُقعة الشطرنج تبدو بعيدةً. النظرة الأخيرة على قارَّة أطلانطس والمياه المالحة ترتفع حول التماثيل والأعمدة الرخاميَّة، وترڤور وفرتيليتي يرقصان الڤالس مرورًا بالحضارة المفقودة والمنقوشات المطليَّة بالذَّهب وموائد القصور الفرنسية. ارتفع مستوى المياه بزاويةٍ منحدِرة على لوحاتٍ بالحجم الطبيعي لملكاتٍ اعتمرن التيجان، بينما تميل السَّفينة وتُسقِط المزهريات ما بها من زهور -ورد وأوركيد وأعوادٍ من الزنجبيل- إلى جوار زجاجات الشامپانيا، ويمرق ترڤور وفرتيليتي ناثِرَيْن المياه.

كل هذا وهيكل السَّفينة المعدني يرتعد ويُصدِر أصوات تصدُّع.

أسألها إن كانت تنوي أن تقتل نفسها غرقًا، فتجيب وقد أراحت رأسها على صدري وأخذت تتنفَّس رائحة السُّم التي تفوح مني:

- «لا تكن سخيفًا. ترڤور لم يسبق له أن أخطأ قَط، وتلك كانت المشكلة».

- أخطأ في ماذا بالضبط؟

كان ترڤور هوليس يحلم، هكذا قالت لي. كان يحلم بأن هذه الطائرة أو تلك سوف تسقط، ويحاول تحذير شركة الطيران لكن أحدًا لم يكن يُنصِت له. ثم تسقط الطائرة وتستدعيه الـFBI للاستجواب، فمن السهل أن تُصدِّق أنه إرهابي عن كونه يتمتَّع بقدراتٍ نفسيَّة خارقة. وصلت الأحلام إلى

درجةٍ من السوء جعلته لا يستطيع النوم. لم يكن يجرؤ على قراءة الصُّحُف أو مشاهَدة التليفزيون، خشية أن يرى تقريرًا عن مصرع مئتي ضحيَّة في حادث سقوط طائرة كان يعرف أنه سيقع ولن يستطيع منعه.

لم يستطع إنقاذ أحد.

- «أمنا انتحرت لأن الأحلام نفسها كانت تأتيها. الانتحار تقليد عائلي قديم لدينا».

أقول لنفسي ونحن ما زلنا نرقص إن هناك شيئًا مشترَكًا بيننا على الأقل.

- «كان يعرف أن السَّفينة ستغرَق في منتصف الرحلة تقريبًا. سينقطع صمام ما وتملأ المياه غُرَف المحرِّكات وبعض الغُرَف العامَّة الكبيرة. كان يعرف من أحلامه أن السَّفينة ستكون لنا فقط طوال ساعات، وسنجد كلَّ ما نشتهيه من طعامٍ وشراب، ثم سيأتي أحدهم ويُنقِذنا في النهاية».

ما زلنا نرقص، وأسألها إن كان هذا هو سبب انتحاره -الأحلام- والموسيقا هي الإجابة الوحيدة التي أتلقَّاها لمدَّة دقيقة.

تقول فرتيليتي ورأسها على صدري:

- «لا تتخيَّل كم كانت التجربة جميلة. القاعات الغارِقة والپيانو تحت الماء والأثاث طافٍ حولنا. هذه أجمل ذكرى أحملها على الإطلاق».

نرقص مرورًا بتماثيلِ لقدِّيسين من ديانةٍ أخرى. بالنسبة لي هُم ليسوا أكثر من صخورٍ مُشكَّلة كأشخاصٍ مبالَغ في شأنهم.

- «كانت مياه الأطلنطي شديدة الصَّفاء وهي تنصبُّ علينا من السُّلَّم الكبير. خلعنا أحذيتنا وأخذنا نرقص فقط».

ما زلنا نرقص ونعد من واحد إلى ثلاثة، وأسألها إن كانت ترى أحلامًا مشابهة.

- «إلى حدٍّ ما. ليس كثيرًا. طوال الوقت تقريبًا الآن. أكثر مما أرغب في الحقيقة».

أسألها: هل ستقتل نفسها كما فعل أخوها؟

تجيب بالنَّفي وهي ترفع رأسها وتبتسم لي.

ونرقص، واحد، اثنان، ثلاثة.

- «لا يمكن أن أطلِق النار على نفسي أبدًا. سأستخدم الحبوب غالبًا».

في شقَّتي لديَّ مخزون من مضادَّات الاكتئاب التي صرَفتها لي الحكومة، ناهيك عن مُحسِّنات المزاج والمُسكِّنات وخلافه، وكلها موضوعة في طبق الحلوى فوق الثلاجة إلى جوار سمكتي الذهبيَّة.

نرقص، واحد، اثنان، ثلاثة...

تقول إنها تمزح فقط.

ونرقص...

وتضع رأسها على صدري من جديد وتقول:

- «كلُّ شيءٍ يعتمد على درجة السوء التي ستصل إليها أحلامي».

- 37 -

ليلتها عدتُ أرد على الهاتف مرَّة أخرى.كان هذا بعد أن كنت أشعر بهياجٍ جِنسيٍّ شديد يُجبِرني على الذهاب إلى وسط المدينة بحثًا عن شيءٍ ما أسرقه. لا أفعل هذا في سبيل المال بل لبلوغ الذُّروة. لا بأس. تقول موظَّفة التحرِّيات الاجتماعيَّة إنه لا بأس بهذا، إنها وسيلة لإشباع الرغبة الجِنسيَّة، طبيعيَّة تمامًا. إنك تجد ما تريده، تتابعه وتدرسه، ثم تختطفه وتجعله ملكك، وعندما تفرغ منه تمامًا يمكنك أن تتخلَّص منه. موظَّفة التحرِّيات الاجتماعيَّة هي من جعلتني أبدأ ممارسة السرقة من المحال أصلًا.

تقول موظَّفة التحرِّيات الاجتماعيَّة إنني مثال لمريض هوس السرقة -الكلپتومانيا- كما يقول الكتاب، واستشهدَت في هذا بعدَّة دراسات. قالت لي إنني أسرق لأمنع أيَّ أحدٍ من سرقة عضوي الذَّكري (فينخل، 1945). السرقة حافز لا أستطيع التحكُّم فيه (جولدمان، 1991). أسرق بسبب اضطراباتي المزاجيَّة (ماكإلروي وآخرون، 1991). ولا يهم ما أسرقه، سواءً كان حذاءً أو شريطًا لاصقًا أو مضرب تنس.

المشكلة الوحيدة الآن أن السرقة نفسها لم تعد تُعطيني ذلك الإحساس القديم بالنشوة.

لعل السبب أنني قابلت فرتيليتي.

ولعلي قابلت فرتيليتي لأنني بدأت أصاب بالملل من حياة الجريمة المعوِّضة عن الجِنس هذه.

مؤخَّرًا لم أعد أسرق حتى، ليس بالتعريف الرسمي التقليدي على الأقل. وبدلًا من سرقة البضائع، أمشي في وسط المدينة إلى أن أجد إيصالًا من أحد المحال تخلَّص منه أحدهم. تأخذ الإيصال وتدخل المحل الذي جاء منه وتتظاهَر بأنك تتسوَّق إلى أن تجد أحد المشتريات التي على الإيصال وتتجوَّل بها في المكان قليلًا، ثم تعيدها وتأخذ ثمنها بواسطة الإيصال. طبعًا تصلح هذه الطريقة أكثر في المحال الكبيرة حيث يسرد الإيصال قائمة المشتريات. لا تستخدم الإيصالات القديمة أو المتَّسخة. لا تستخدم الإيصال نفسه مرَّتين. حاول أن تُغيِّر المحال التي تمارس فيها هذا النشاط.

مقارَنة هذه الحيلة بالسرقة الحقيقيَّة هي بالضبط كمقارنة الاستمناء بممارسة الجِنس.

وبالطبع تعرف المحال كلَّ شيءٍ عن هذا النوع من الاحتيال.

من الأساليب الجيدة الأخرى أن تتسوَّق ومعك كوب كبير به مشروب غازي يُمكنك إسقاط الأشياء الصغيرة فيه، أو أن تبتاع علبة طلاءٍ رخيصة ثم تفتح الغطاء وتُسقط شيئًا غالي الثمن فيها، وسيحجب المعدن الذي صُنِعَت منه العلبة الأشعَّة السينيَّة عن اكتشاف ما بداخلها. اليوم، بدلًا من أن أبحث عن إيصال، أمشي فقط محاوِلًا أن أقرِّر الخطوة التالية من خطَّتي لجعل فرتيليتي لي، لأن تكون ملكي. ثم لربما أتخلَّص منها في ما بعد. لا بُد أن أستغل أحلامها الرهيبة هذه، ومن المفترَض أن يكون رقصنا معًا أداةً أستخدمها.

رقصت مع فرتيليتي طوال فترة الظهيرة تقريبًا، ومع تبدُّل الموسيقا علَّمتني أساسيَّات التشا-تشا، ثم أرتني أساسيَّات الفوكس-تروت.

قالت لي إن العمل الذي تمارسه شديد البشاعة، بل أسوأ من أيِّ شيءٍ يمكنني أن أتخيَّله.

وعندما سألتها ما عملها...

ضحكَت.

أمشي في وسط المدينة وأعثر على إيصالٍ لتليفزيون ملوَّن، الشيء الذي من المفترَض أن يجعلني أشعر كأنني عثرت في الحقيقة على تذكرة يانصيب رابحة، لكنني ألقي الإيصال في سلَّة المهملات.

لعل أكثر ما راق لي في الرقص هو القواعد، ففي العالم الذي يمكن أن يحدث فيه أي شيء وكل شيء، تجد في الرقص قواعد محدَّدة صارمة. الفوكس-تروت خطوتان بطيئتان وأخريان سريعتان، والتشا-تشا خطوتان بطيئتان وثلاث خطواتٍ سريعة. تصميم الرقصة والالتزام به ليس مطروحًا للنقاش.

تلك هي القواعد، ولن تتغيَّر هذه الرقصة أو تلك مرَّة كلَّ أسبوع.

بالنسبة لموظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة، عندما بدأنا معًا منذ عشر سنوات، لم أكن محتالًا أو لصًّا كاليوم. أولًا كنت مصابًا بالوسواس القهري. كانت قد نالت شهادتها للتو ولا تزال تملك كُتُبها التي تحمل الدليل على هذا، وقالت لي إن مرضى الوسواس القهري إما يتفقَّدون الأشياء أو يُنظِّفونها (راشمان وهودچسن، 1980)، وطِبقًا لكلامها كنت من النوع الثاني.

الحقيقة أنني كنت أحب التنظيف فقط، لكنني كنت مدرَّبًا طوال حياتي على الطاعة. كلُّ ما فعلته هو أنني حاولت أن أجعل تشخيصاتها البلهاء تبدو سليمة. كانت تُخبِرني هي بالأعراض وأبذل أنا قصارى جهدي كي أتقمَّصها وأجعلها تُعالِجني منها.

بعد الوسواس القهري عانيت من اضطراب ما بعد الصدمة.

ثم من رهاب الخلاء.

ثم من اضطراب الخوف.

تمشي قدماي على الرصيف مشية الڤالس بخطوةٍ بطيئة ثم خطوتين سريعتين، وأعد واحد، اثنان، ثلاثة في رأسي. كلما نظرت بين الحمائم سترى الإيصالات في كلِّ مكانٍ على الرصيف. أمشي في وسط المدينة وألتقط إيصالًا آخر أجد أنه سيعود عليَّ بـ173 دولارًا نقدًا، ثم أتخلَّص منه.

طوال الشهور الثلاثة الأولى تقريبًا من لقائي بموظَّفة التحريِّات الاجتماعيَّة كنت أعاني من تعدُّد الشخصيَّة الفصامي؛ لأنني رفضت أن أحكي لها عن طفولتي.

وبعدها عانيت من اضطراب الشخصيَّة الانعزاليَّة؛ لأنني لم أرغب في الانضمام إلى مجموعتها العلاجيَّة الأسبوعيَّة.

ثم، لأنها رأت أنني سأكون بمثابة حالةٍ دراسيَّةٍ جيِّدة، أصبت بمتلازمة الكورو، التي تجعلك مقتنعًا بأن حجم عضوك الذكري يصغر ويصغر إلى أن يختفي فتموت (فابيان، 1991؛ تسنج وآخرون، 1992).

ثم إنها قرَّرت أنني مصاب بمتلازمة الدهات، التي تجعلك في قلقٍ دائم من خسارتك حيواناتك المنويَّة كلها إذا احتلمت أو تبوَّلت (تشادا وأهوچا، 1990). تقوم هذه المتلازمة على اعتقادٍ هندوسي قديم، يقول إن خَلْق قطرة واحدة من نخاع العظام يحتاج إلى أربعين قطرة من الدم، وإن قطرة المَنِي الواحدة تحتاج أربعين قطرة من نخاع العظام (أختر، 1988). قالت إنه لا عجب أنني مُتعَب طوال الوقت.

يجعلني المَنِي أفكِّر في الجنس، فيجعلني أفكِّر في العقاب، فيجعلني أفكِّر في الموت، فيجعلني أفكِّر في فرتيليتي هوليس.

كنا نفعل ما قالت موظَّفة التحريِّات الاجتماعيَّة إنه تداعٍ حُر.

في كلِّ جلسة كانت تُشخِّصني بمشكلةٍ جديدة تحسب أنني مصاب بها، وتعطيني كتابًا كي أدرس الأعراض، ومع حلول موعد الجلسة التالية كنت أتقمَّص الأعراض بعد أن حفظتها عن ظهر قلب.

في أسبوعٍ أعاني من هوس إشعال الحرائق، وفي الأسبوع التالي من اضطراب الهويَّة الجنسيَّة.

قالت لي إنني استعرائي، فكشفت لها عن مؤخِّرتي في الأسبوع التالي.

قالت إنني أعاني من قصور الانتباه، فأخذت أغيِّر موضوع الكلام.

كنت مصابًا برهاب الأماكن المغلَقة، فالتقينا في مكانٍ في الخارج.

أمشي في وسط المدينة وتتحوَّل قدماي إلى الخطوتين البطيئتين فالخطوات الثلاث السريعة فالخطوتين البطيئتين للتشا-تشا، وفي رأسي تتردَّد الأغاني العشر نفسها التي سمعناها طوال وقتنا في الضَّريح، وأتجاوز إيصالًا آخر راقصًا التشا-تشا.

أعطتني موظَّفة التحريِّات الاجتماعيَّة كتابًا اسمه (الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النَّفسيَّة)، كما أعطتني كثيرًا من كُتُبها القديمة كي أقرأها، وبداخلها صور الموديلات الذين تلقَّوا مالًا مقابل أن يبدوا سعداء؛ بأن يحملوا أطفالًا عراة فوق رؤوسهم أو يمشوا متعانقي الأيدي على الشاطئ عند الغروب. في الصور التعيسة كان الموديلات يأخذون مالًا مقابل أن يحقنوا أنفسهم بالمخدِّرات وهُم جالسون وحدهم إلى مائدةٍ ومعهم شرابٌ ما. وصل الأمر إلى حدٍّ كان يجعل موظَّفة التحريِّات الاجتماعيَّة تُلقي الكتاب على الأرض، وأيًّا كانت الصفحة التي يسقط عليها مفتوحًا، فهذا هو المرض الذي سأحاول أن أبحث عنه طوال الأسبوع.

كنا سعيدين قانعين بهذه الطريقة، لفترةٍ من الوقت على الأقل. كانت تشعر بأنها تُحرِز تقدُّمًا معي كلَّ أسبوعٍ، وكان معي نصٌّ مكتوب يُخبرني

كيف أتصرَّف. لم يكن هذا مملًّا، وأعطتني عددًا من المشاكل الزائفة أكبر من أن يُعطيني فرصة التفكير في أيِّ شيءٍ حقيقي. في كلِّ أسبوعٍ كانت موظَّفة التحرِّيات الاجتماعيَّة تُعطيني التشخيص، فيصبح تكليفي الجديد.

في عامنا الأول معًا لم أجد ما يكفي من الوقت لأفكِّر في الانتحار.

أجرينا اختبارات ستانفورد-بينيت[1] لنعرف كم عُمر مخي، واختبار وشلر[2]، ومقياس مينيسوتا متعدِّد الأوجه للشخصيَّة، واختبار بِك للاكتئاب، وغيرها وغيرها.

عرفت موظَّفة التحرِّيات الاجتماعيَّة كلَّ شيءٍ عني باستثناء الحقيقة.

كل ما هنالك أنني لم أرغب في العلاج.

أيًّا كانت مشاكلي الحقيقيَّة، فلم أرِد علاجًا لها. لا شيءَ من الأسرار الصغيرة التي بداخلي أراد أن يعثر عليه أحد ويُفسِّر طلاسمه، سواءً بالخرافات أو بطفولتي أو بالكيمياء. كان منبع خوفي هو السؤال: وما الذي سيتبقَّى بعد هذا؟ وهكذا لم يتعرَّض أيٌّ من أحقادي أو مخاوفي إلى ضوء النهار قَط. لم أملك أيَّ رغبةٍ في العثور على حلٍّ لاضطراباتي النَّفسيَّة، ولم أتكلَّم أبدًا عن عائلتي الميتة. قالت إن عليَّ التعبير عن غضبي، أن أجد حلًّا له، أن أرمي به ورائي.

عالَجتني موظَّفة التحرِّيات الاجتماعيَّة من ألف عَرَضٍ وعَرَضٍ لم يكن أيها حقيقيًّا، ثم أعلنت أنني صِرتُ سويًّا، وكانت شديدة الفخر والسعادة.

---

(1) اختبار لقياس ذكاء الأفراد، وضع في جامعة ستانفورد بناء على اختبار وضعه العالم الفرنسي ألفريد بينيت.

(2) اختبار ذكاء وضعه العالم الأمريكي ديفيد وشلر.

ها هي قد أعادتني إلى ضوء النهار وقد شُفيت.

لقد التأمت جراحك، انطلق، تحرَّك، إنك لمعجزة لعِلم النَّفس الحديث.

انهض...

الدكتورة فرانكنشتاين ووحشها...

العَرَض الجانبي الوحيد الآن أنني أسرق. ما قرأته في (مقدِّمة في الكلپتومانيا) كان أفضل من أن أتجاهله، حتى الليلة على الأقل.

اليوم أمشي في وسط المدينة بعد عشر سنواتٍ وألتقط إيصالًا آخر من على الأرض ثم أتخلَّص منه. بعد عشر سنواتٍ من مواراة مشاكلي كي لا تعبث موظَّفة التحرِّيات الاجتماعيَّة بها، كل ما عليَّ فعله هو أن أرقص التشا-تشا مع فتاةٍ ما فأجد رغبتي المزمنة في السرقة اختفت. اضطرابي الوحيد الذي عزفت عن إخبارها به عالَجته فتاة غريبة.

كل ما فعلناه هو الرقص. تكلَّمت فرتيليتي عن أخيها وكيف كانت الـFBI تراقِب هاتفه، فتسمع صوت الكليك-كليك-كليك إياه المميِّز لشرائط تسجيل الحكومة في خلفيَّة المكالمة كلما هاتفته. كانت تعرف أن ترڤور سينتحر من قبل أن يفعل، إذ كان هذا حلمها الأول بالمستقبَل. رقصتُ وفرتيليتي لفترةٍ أطول ثم أعلنت أنها ستغادر، لكن ليس قبل أن تعد بأن نلتقي الأربعاء القادم في المكان نفسه والوقت نفسه. ستكون هناك.

الليلة أنتقل من عمود إنارة إلى آخرٍ بخطوة الفوكس-تروت، وفي عقلي أسمع أنغام الڤالس، وذِكرى فرتيليتي هوليس بين ذراعيَّ ورأسها مستريحٌ على صدري لا تفارِقني. هكذا أعود إلى شقَّتي، وقبل أن أبلغها أسمع الهاتف يرن بالفعل بلا توقُّف. لعله شخص يعاني من الفصام أو الپارانويا أو البِدوفيليا.

أريد أن أقول للمتَّصل إنني مررتُ بهذا، فعلتُ ذاك.

ولعلها فرتيليتي تريد أن تتكلَّم معي عن رقصة اليوم وقد استعدَّت لإعطائي انطباعها الثاني عني.

لعلها ستُخبِرني بالشيء الشنيع الذي تفعله مقابل المال.

بمجرَّد أن تنفتح أبواب المصعد أركض إلى الشقة لأجيب الهاتف.

ألو؟

ما زال باب الشقَّة مفتوحًا ورائي. السَّمَكة تحتاج إلى طعام، والستائر مفتوحة وقد بدأ الظلام يهبط بالخارج، فيمكن لأيِّ أحدٍ أن يرى الشقَّة من الداخل.

يقول رجل على الطرف الآخر من الخط:

- «عسى أن تُقدِّم دائمًا خدمة كاملة مُطلَقة».

فأجيب بدون تفكير:

- «المجد والثناء لله في هذا اليوم الذي نكدح فيه».

فيقول:

- «عسى أن تُدخِل جهودنا جميع من حولنا الجنَّة».

فأسأل: من المتَّصِل؟

ويجيب:

- «عسى أن تموت وقد اكتمل عملك».

ويُغلِق الخط.

- 36 -

ثمَّة طريقة لتلميع معدن الكروم بماء الصودا. لتنظيف مقابض السكاكين المصنوعة من العاج أو العظام، تُفرَك بعصير الليمون والملح. لإزالة لمعة الكواء عن بذلة، يُبلَّل القماش بخليطٍ من الماء والأمونيا، ثم تُكوى البذلة تحت قماشة مبلَّلة.

السر وراء طهي البيف بورچينو المثالي هو إضافة بعض قِشر البرتقال.

لإزالة بُقَع الكرز، تُفرَك بثمرةٍ ناضجةٍ من الطماطم ثم تُغسَل بالطريقة العاديَّة.

الفكرة ألا تصاب بالذعر...

لاحتفاظ السراويل بطيَّةٍ مثاليَّة، تُقلب إلى الخارج وتُفرَك الطَّيَّة من الداخل بقطعةٍ من الصابون، ثم يُقلَب السروال إلى الداخل مرَّةً أخرى ويُكوى بالطريقة العاديَّة.

الفكرة أن تظل مشغولاً

على الرغم من أن القاتل اتَّصل بي، إلا أنني ما زلت أفعل كلَّ شيءٍ أفعله كالمعتاد.

الفكرة ألا تسمح لخيالك بأن يسرح بعيدًا...

لا أستطيع النوم وأنظِّف طوال الليل. أضع صينيَّة من الأمونيا في الفرن لتنظيفه. من الأساليب الأخرى للحفاظ على طيَّة سروالك أن تُبلِّل قماش الكواء بالماء والخل. أُخرِج قذارة الحديقة من تحت أظفاري. سوف أختنق من رائحة الأمونيا إذا لم أفتح النافذة.

حسن، هناك شيء آخر.

موظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة مفقودة. أتَّصل بها كلَّ عشر دقائق في مكتبها ولا تردّ عليَّ رسالة مسجَّلة منها. للمرَّة الأولى منذ عشر سنواتٍ أتَّصل بها وكل ما أسمعه هو «الرجاء ترك رسالة بعد سماع الصفَّارة».

أقول إن المعتوه الذي أخبرتني عنه اتَّصل بي.

أتَّصل بمكتبها ليلًا كلَّ عشر دقائق.

الرجاء ترك رسالة بعد سماع الصفَّارة.

يجب أن توفِّر لي حماية.

وآلة الرَّد على المكالمات لديها لا تجعلني أكمِل الرسالة إلى آخرها، فأعاود الاتِّصال.

الرجاء ترك رسالة بعد سماع الصفَّارة.

أحتاج إلى حراسةٍ مسلَّحة من الشُّرطة على مدار الساعة.

الرجاء ترك رسالة بعد سماع الصفَّارة.

أحدهم قد يكون في الطُّرقة الخارجيَّة، وأنا أريد دخول الحمَّام.

الرجاء ترك رسالة بعد سماع الصفَّارة.

القاتل الذي أخبرْتِني عنه يعرف من أكون. لقد اتَّصل بي ويعرف أين أسكن. إن رقم هاتفي معه.

الرجاء ترك رسالة بعد سماع الصفَّارة.

اتَّصلي بي، اتَّصلي بي، اتَّصلي بي!

الرجاء ترك رسالة بعد سماع الصفَّارة.

إذا وجدوني منتحرًا صباح الغد، فأنا في الحقيقة قُتِلت.

الرجاء ترك رسالة بعد سماع الصفَّارة.

إذا وجدوني ميتًا بعد أن قام أحدهم بشواء رأسي في الفرن، فالسبب أنها لا تتفقَّد رسائلها أبدًا.

الرجاء ترك رسالة بعد سماع الصفَّارة.

أقول للآلة إن هذا حقيقي، إنها ليست أوهامًا أو ضلالات. لقد عالجتني منها، أليس كذلك؟

الرجاء ترك رسالة بعد سماع الصفَّارة.

هذا ليس خيالًا، ولست أهلوس. لكِ أن تُراهِني على هذا.

الرجاء ترك رسالة بعد سماع الصفَّارة.

ثم ينتهي شريط التسجيل...

أظل مستيقظًا طوال الليل أصغي إلى كلِّ صوتٍ وقد حرَّكت الثلاجة وسددت بها باب الشقَّة. أريد دخول الحمَّام لكن ليس إلى درجةٍ تجعلني أخاطِر بحياتي. يتحرَّك الناس في الطُّرقة الخارجيَّة لكن لا أحد منهم يتوقَّف ولا أحد يلمس مقبض الباب طوال الليل. يرن الهاتف ويرن، وأضطر للردِّ في كلِّ مرَّة عسى أن تكون مكالمة من موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة، لكنها ليست هي في كلِّ مرَّة، بل موكب البؤس الإنساني التقليدي: الفتيات الحامل دون زواج، أصحاب المعاناة المزمِنة، المدمنون. عليهم الإدلاء باعترافاتهم بأسرع ما يمكن لأنني لا أريد أن يظل الخط مشغولًا طويلًا.

كلُّ مكالمةٍ أتلقَّاها تملأني بالبهجة والرُّعب، بما أن المتَّصل قد يكون موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة أو القاتل.

في خِضَمِّ هلعي تتَّصل فرتيليتي وتقول:

- «هذه أنا. ظللت أفكِّر فيك طوال الأسبوع. أردت أن أسألك إن كان لقاؤنا يخالف القواعد أو ما شابه. أريد أن أراك حقًّا».

ما زلت أرهف سمعي لأي خطوات أقدامٍ وأنا أتوقَّع أن أرى ظلًّا

يحجب الضوء المتسرِّب من تحت عتبة الباب، وأرفع ستارة النافذة لأرى إن كان هناك أحد على سُلَّم الحريق. أسألها: ماذا عن صديقها؟ ألم يكن من المفترَض أن تلتقي به مرَّة أخرى اليوم؟

- «آه، هو. بلى، رأيته اليوم».

وماذا؟

- «تفوح منه رائحة العطر النسائي وسپراي الشعر. لست أرى ما رآه أخي فيه فعلًا».

العطر وسپراي الشعر كانا من عملي مع الزهور الصناعيَّة، لكني لا أستطيع أن أخبرها بذلك.

- «وكان هناك طلاء أظفار أحمر مخدوش على أظفاره».

كان الطلاء الأحمر الذي لمَّعت به الورد.

- «ولا يجيد الرقص إطلاقًا».

مقتلي الآن قد يكون مبالغةً لا شكَّ فيها.

«وأسنانه غريبة الشكل. ليست مسوَّسة أو عفنة، لكن صغيرة معوجَّة».

يمكنك أن تطعنني بسكِّينٍ في قلبي الآن وستجده متوقِّفًا بالفعل.

- «ولديه هاتان اليدان المقزِّزتان الشبيهتان بيدي قِرد».

مقتلي الآن سيكون نسيمًا ربيعيًّا أرحِّب به.

- «أعتقد أن هذا معناه أن قضيبه صغير للغاية».

إذا واصَلت فرتيليتي الكلام سيقل عدد عملاء موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة واحدًا مع حلول الصباح.

- «هو ليس بدينًا جدًّا. أعني أنه ليس فيلًا، لكنه مع ذلك بدينًا أكثر من اللازم».

آملًا أن يكون هناك قنَّاص في الخارج، أفتح ستارة النافذة وأقف فيها بكامل جسدي البدين المقزِّز. أرجوكم، أريد أحدًا ببندقيَّة وعدسة. أطلق عليَّ النار هنا، في قلبي الكبير البدين، في قضيبي الضئيل.

- «إنه ليس مثلك في شيء».

أظنها ستندهش من كمِّ التشابه بيننا.

- «أنت شديد الغموض».

أسألها: لو كان هناك شيء واحد يمكنها تغييره في رفيق الضَّريح، فماذا يكون؟

- «أن يكف عن إزعاجي فقط، فيُريحني من عناء قتله».

حسن، لست وحدك يا عزيزتي. تفضلي، كوني ضيفتي. خذي رقمًا وقفي في الصَّف.

تقول وقد انخفض صوتها وصارت به بَحَّة:

- «لكن انس أمره. اتَّصلت لأنني أريد أن أصل بك إلى الذُّروة. قل لي ما تريدني أن أفعله. اجعلني أفعل شيئًا شنيعًا».

الفُرصة تطرق الباب...

ها هو الجزء الثاني من خطَّتي الكُبرى.

سأذهب إلى الجحيم بسبب هذا، لكني أقول لها إن هذا الرجل الذي تكرهه، أريدها أن تُضاجِعه حتى يطير صوابه ثم تحكي لي كلَّ شيء.

- «مستحيل».

سأغلِق الخط إذن.

- «مهلًا. ماذا لو اتَّصلت بك وقلت كلَّ هذا كذبًا؟ قد ألفِّق القِصَّة كلها ولن تعرف».

أقول لها إنني سأعرف.

- «مستحيل أن أنام مع ذلك الأحمق».

- ماذا لو قبّلته فقط إذن؟

- «لا».

- ماذا لو خرجت معه فقط إذن؟ يمكنها الخروج معه ذات نهارٍ على الأقل. أخرِجيه من الضَّريح وقد يبدو أفضل في نظرك. اذهبا في نزهة. افعلا شيئًا ممتعًا.

- «وهل ستُقابلني عندها؟».

- بكلٍّ تأكيد.

- 35 -

توقظني الشمس حيث ربضت بجوار الموقد وقد قبضت على سكِّين الجزارة. ما أشعر به الآن يجعل فكرة مَقتلي لا بأس بها أبدًا. ظهري يؤلمني، وعيناي كأنك شققتهما بموسى.

أرتدي ملابسي وأذهب إلى العمل جالسًا في المقعد الأخير من الحافلة حيث لا يستطيع أحد الجلوس ورائي بسكِّين أو سهمٍ مسموم أو سِلك بيانو.

أجد سيَّارة موظَّفة التحريِّات الاجتماعيَّة مركونة عند المنزل الذي أعمل به، وعلى العُشب تتجوَّل مجموعة من الطيور الحمراء. السماء زرقاء كما تتوقَّعها تمامًا، ولا شيء يبدو خارج المألوف. داخل المنزل أجد موظَّفة التحريِّات الاجتماعيَّة جاثية على أربعٍ تحك سيراميك المطبخ بخليطٍ قويٍّ للغاية من المُبيِّض والأمونيا يجعل الهواء حولها مفعمًا بالسُّموم التي تجعل عينيَّ تدمع.

تقول وهي تُنظِّف السيراميك:

- «آمل أنك لا تمانِع. قرأت في دفترك أنك ستفعل هذا اليوم، فجئت مبكِّرةً قليلًا».

المُبيِّض + الأمونيا = غاز الكلورين المميت.

أسألها والدموع تجري على وجهي إن كانت قد تلقَّت رسائلي. أغلب أنفاسها تلتقطها من خلال سيجارة، فلا بُد أن العادم لا يؤثِّر فيها على الإطلاق.

- «لا، لم أذهب اليوم وأبلغتهم أنني مريضة. كلُّ هذا التنظيف مُرضٍ حقًّا. هناك قهوة وبعض الكعك الذي خبزته. استرحْ».

أسألُ: ألا تريد أن تسمع كلَّ ما لديَّ عن مشاكلي؟ تُدوِّن بعض الملاحظات؟ لقد اتَّصل بي القاتل ليلة أمس وظللت مستيقظًا طوال الليل. لقد اختارني ليقتلني. لكن حاشا لله أن تكفَّ عن تنظيف الأرضية وتنهض لتتَّصل بالشُّرطة من أجلي.

تقول وهي تُسقِط الفرشاة في الدلو:

- «لا تقلق. لقد وثب معدَّل الانتحار وثبة كبيرة ليلة أمس. لهذا لم أستطع مواجَهة المكتب اليوم».

الطريقة التي تحك بها الأرضية ستجعلها مستحيلة التنظيف بعد ذلك، فمجرَّد أن تزيل الطبقة اللامعة لأرضيَّةٍ مصنوعةٍ من خامة الڤاينل بمادة مؤكسِدة -كالمُبيِّض- فقد انتهى الأمر. عندما تنتهي ستصبح الأرضية كلها مسرِّبة للسوائل، وستعلق البُقَع بكلِّ شيء. طبعًا لن أقول لها شيئًا من ذلك، فهي تحسب أنها تقوم بعملٍ ممتاز.

أسألها: كيف يحافظ معدَّل الانتحار المرتفِع على حياتي؟

- «ألا تفهم؟ لقد فقدنا أحد عشر عميلًا ليلة أمس، وتسعة في الليلة التي قبلها، وثلاثة عشر في الليلة التي قبلها. ما نواجهه الآن هو اكتساح».

إذن؟

- «بأعدادٍ كهذه كل ليلة، إذا كان هناك قاتل، فإنه لن يحتاج لقتل أحد».

وتبدأ في الغناء. لعل تأثير غاز الكلورين المميت قد بدأ. تحك الأرض بحركةٍ راقصةٍ صغيرة كي تتماشى مع غنائها، وتقول:

- «قد لا يبدو هذا لائقًا، لكني أهنِّئك».

أنا آخِر الكِريدِش.

- «أنت على وشك أن تُصبِح النَّاجي الأخير».

أسألها كم تبقَّى منا، فتجيب:

- «واحد في هذه البلدة، وخمسة على مستوى البلاد».

أقول لها أن نلعب كالأيام الخوالي. دعينا نفتح (الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النَّفسيَّة) وننتقي طريقة جديدة لي أُجَن بها. هيا بنا، على سبيل استعادة الذكريات. أحضري الكتاب.

تتنهَّد وتنظر إلى انعكاس وجهي الغارق في الدموع في بِركة الماء المتَّسِخ على الأرض وتقول في ملل:

- «اسمع، إن لديَّ عملًا حقيقيًّا أقوم به هنا. كما أن الكتاب ضائع، لم أرَه منذ عدَّة أيام».

وتواصل الحكَّ وتضيف:

- «ولا أفتقده في الحقيقة».

حسن، أعترف بأن هذه السنوات العشر كانت صعبة. إنها تشعر بالضغط. كل عملائها تقريبًا ماتوا. لقد احترَقَت تمامًا وترى أنها فاشلة. إنها تعاني مما يصفونه بالعجز المُكتَسَب.

تقول وهي تحك الأرض بقوَّةٍ في آخر بُقعةٍ لا يزال الڤاينل فيها سليمًا:

- «بالإضافة إلى أنني لا أستطيع أن أظل أمسك يدك كالأطفال إلى الأبد. لا يمكنني أن أمنعك إذا أردت أن تقتل نفسك، ولن يكون هذا خطأي. سجلاتي كلها تقول إنك سعيد سوي، ولدينا الاختبارات. هناك دليل دامغ يُثبِت كلَّ هذا».

العادم يجعل الدموع تسيل من عينيَّ أكثر وأكثر.

تقول:

- «اقتل نفسك أو لا تقتل نفسك، لكن كُفَّ عن تعذيبي. إنني أحاول مواصلة حياتي».

تقول:

- «الناس في أمريكا يقتلون أنفسهم كل يوم، وليس من الضروري أن تسوء المشكلة لمجرَّد أنني أعرف واحدًا منهم».

تقول:

- «ألا تحسب أن الوقت قد حان لتتولَّى أمر نفسك؟».

- 34 -

كانت الشائعة تقول إن عليك أن تعتصر ضفدعة حتى الموت بيدك العارية، وأن تأكل دودة أرضٍ حيَّة. كي تُثبت أنك تتحلَّى بالطاعة تمامًا كالنبي إبراهيم عندما أمره الله بالتَّضحية بابنه، عليك أن تقطع إصبعك الخنصر بالبلطة.

هكذا كانت تقول الشائعة على كلِّ حال.

بعد ذلك، عليك أن تقطع خنصر أحدٍ آخر.

لم تكن ترى أحدًا بعد أن يتم تعميده، ومن ثم لم تكن تعرف إن كان لا يزال يحتفظ بخنصره أم لا، ولم يكن بإمكانك أن تسأله إن كان قد اعتصر ضفدعة حتى الموت أم لا

بمجرَّد تعميدك تركب شاحنة وتغادر المستعمرة ولا تراها مرَّة أخرى أبدًا. تتجه الشاحنة إلى العالم الخارجي الشرير حيث وظيفتك الأولى الجاهزة لك بالفعل، العالم الخارجي الكبير بكلِّ ما فيه من خطايا جديدة رائعة. وكلما أبليت بلاءً أحسن في الاختبارات، كلما حصلت على وظيفةٍ أفضل.

كان كبار الكنيسة يُخبِرونك من البداية إن كنت شديد البدانة أو شديد النحول بالنسبة لطولك، ويُخصِّصون كامل العام السابق لتعميدك كي تصبح مثاليًّا من جميع النواحي. تُعفَى من العمل في البيت كي تحضر الدروس الخاصَّة طوال اليوم؛ دروس الإنجيل ودروس التنظيف والإتيكيت والعناية بالأقمشة، وأنت تعرف الباقي. إذا كنت بدينًا تأكل طعامًا خاصًّا لتفقد الوزن، وإذا كنت نحيلًا تأكل فقط.

طوال العام السابق للتعميد، كل شجرة تراها وكل صديق وكل شيء تحيط به هالة تقول لك إنك لن تراه ثانيةً أبدًا.

من خلال ما درست، كنت تعرف نوع الاختبارات التي ستخضع لها، وفيما عدا هذا كانت شائعة أخرى تقول إن هناك المزيد مما لا نعرفه سيحدث.

عرفنا من الشائعات المتناقَلة أنك ستكون عاريًا كما ولدتك أمك في أحد مراحل التعميد، وسيضع أحد كبار الكنيسة يده عليك ويطلب منك أن تسعل، ثم يضع كبير آخر إصبعه في فتحة شرجك، بينما يُتابِعك كبير ثالث ويُدوِّن النتائج على بطاقة.

لم نكن نعرف كيف من المفترَض أن نستذكِر لاختبار المثانة!

كنا نعرف أن التعميد يتم في قبو دار الاجتماعات. كانت البنات تذهبن إلى التعميد في الربيع في حضور نساء الكنيسة فقط، والأولاد في الخريف ومعهم الرجال فقط، يأمرونك بأن تقف عاريًا على الميزان ويطلبون منك أن تتلو آية من الكتاب المقدَّس.

أيوب 14:5: *«فَإِنْ كَانَتْ أَيَّامُهُ مَحْدُودَةً، وَعَدَدُ أَشْهُرِهِ مَكْتُوباً لَدَيْكَ، وَعَيَّنْتَ أَجَلَهُ فَلاَ يَتَجَاوَزُهُ»*.

ويجب أن تتلوها عاريًا.

سِفر المزامير 101، مزمور داود، الآية الثانية: *«أَسْلُكُ بِتَعَقُّلٍ فِي طَرِيقِ الْكَمَالِ. مَتَى تَأْتِي يَارَبُّ لِمَعُونَتِي؟ أَسْلُكُ فِي وَسَطِ بَيْتِي بِاسْتِقَامَةِ قَلْبِي»*.

يجب أن تتعلَّم كيف تصنع أفضل المناشِف لمسح الغبار (تُنقَع الخرقة في زيت التربنتينة المخفَّف، ثم تُعلَّق لتجف)، وأن تعرف كيف تُثبِّت عمود بوابة طوله ستة أقدام كي يتحمَّل بوابة عرضها خمسة أقدام. يعصُب كبير آخر من كبار الكنيسة عينيك ويعطيك عيِّناتٍ من الأقمشة لتتحسَّسها لتعرف أيها مصنوع من القطن أو الصوف أو مزيجٍ من القطن والألياف.

يجب أن تتعرَّف على أنواع نباتات الزينة والبُقَع والحشرات وتُصلح أدوات المطبخ الصغيرة وتكتب الدعوات بخطٍّ أنيقٍ منمَّق.

خمَّنَّا نوعيَّة بعض الاختبارات التي سنمر بها من المواضيع التي درسناها في المدرسة، أما البعض الآخر فجاءت أخباره من بعض الأولاد الذين لم يكونوا يتحلون بالكثير من الذكاء.أحيانًا قد يُسرِّب لك أبوك معلومة من الباطن كي تُحرِز نتائج أفضل وتحصل على وظيفةٍ أفضل بدلًا من حياةٍ من البؤس، ثم تُخبر أصدقاءك فيُخبر أصدقاؤك بعضهم البعض، وهكذا تجد أن الجميع يعرفون المعلومة نفسها في النهاية. لم يكن أحدنا يريد أن يكون سببًا في إحراج عائلته، ولم يكن أحدنا يريد أن يقضي حياته في إزالة العفن المتراكم على الأسقُف والجدران.

يجعلك كبار الكنيسة تقف في مكانٍ تقرأ منه رسمًا بيانيًّا موضوعًا في نهاية قاعة الاجتماعات لقياس قوَّة بصرك، ثم يُعطونك خيطًا وإبرة ويحسبون الوقت الذي تقوم فيه بخياطة زرٍّ مقطوع.

كنا نعرف نوع الأعمال التي سنقوم بها في العالم الخارجي الشرير مما كان الكبار قالوه لإخافتنا أو إلهامنا، لا أدري. كي يجعلوننا نبذل جهدًا أكبر في العمل كانوا يحكون لنا عن وظائفٍ رائعةٍ في حدائقٍ أكبر من أيِّ شيءٍ نتخيَّله في هذا الجانب من العالم، وعن وظائفٍ في قصورٍ تجعلك تنسى أنك داخل مكان له حدود من فرط ضخامتها. تلك الحدائق هي مُدُن الملاهي، والقصور هي الفنادق.

وكي يجعلوننا نستذكِر أفضل وأفضل، كانوا يحكون لنا عن وظائفٍ تقضي فيها سنواتٍ في تنظيف البالوعات أو حرق النفايات أو رشِّ السُّموم. قالوا لنا إن هناك وظائف شنيعة حقًّا تجعلك تركض لتقابل الموت القادم لك في منتصف الطريق. وهناك وظائف تصيبك بمللٍ مقيم تجعلك تصيب نفسك بعِلَّةٍ ما فقط كي لا تعمل.

هكذا كنت تحفظ كلَّ ما تتعلَّمه طوال عامك الأخير في مستعمرة مقاطعة الكنيسة عن ظهر قلب.

الجامعة 10:18: *«مِن جَرَّاءِ الْكَسَلِ يَنْهَارُ السَّقْفُ، وَبِتَرَاخِي الْيَدَيْنِ يَسْقُطُ الْبَيْتُ»*.

مراثي إرميا 5:5: *«دَاسَ مُضْطَهِدُونَا أَعْنَاقَنَا، أَعْيَيْنَا وَلَمْ نَجِدْ رَاحَةً»*.

لمنع اللحم المقدَّد من التجعُّد، يوضع في المجمِّد لبضع دقائق قبل تحميره.

يُمرَّر مكعب ثلج على وجه رغيف اللحم كي لا يتشقَّق وهو يُخبز.

للحفاظ على تموُّج الدانتيل، تُكوى بين ورقتين من الورق الشمعي.

انشغلنا بالتعليم، إذ كانت هناك مليون حقيقة وتفصيلة علينا أن نتذكَّرها، وحفظنا نصف العهد القديم.

حسبنا أن كل هذا التعليم سيجعلنا أذكياء، لكن ما فعله هو العكس بالضبط.

مع كلِّ هذه الحقائق الصغيرة التي تعلَّمناها لم نجد وقتًا للتفكير قَط، ولم يُفكِّر أحدنا كيف ستكون الحياة ونحن ننظِّف وراء أحد الغرباء كلَّ يوم. نغسل الأطباق طوال اليوم، نُطعم أطفالهم، نجزّ الحشائش طوال اليوم، نطلي المنازل عامًا بعد عام، نكوي ملاءات الأسِرَّة.

إلى أبدِ الآبدين...

عمل بلا نهاية...

كلّ واحد منّا كان راغبًا أيما رغبة في اجتياز الاختبارات بتفوُّق، لكننا لم نُفكِّر لحظة في الحياة بعد التعميد.

كل واحد كان قلقًا من أسوأ مخاوفه، اعتصار الضفادع وأكل الدود والسُّم والوظائف الحقيرة، فلم نتخيَّل كم ستكون الحياة مملَّة حتى إذا نجحنا وحصلنا على وظائفٍ جيِّدة.

نغسل الأطباق إلى الأبد...
نُلمِّع الفضيات إلى الأبد...
نجز الحشائش...
كرِّر.

في الليلة السابقة للتعميد أخذني أخي آدم إلى الشُّرفة الخلفيَّة في منزل عائلتي ليقص شعري، وفي الوقت نفسه كانت كلُّ عائلةٍ لها ابن في السابعة عشرة من عمره تقص شعره القَصَّة ذاتها بالضبط، وفي العالم الخارجي الشرير يعرفون هذا باسم التوحيد القياسي للمنتجات. قال لي أخي ألا أبتسم، وأن أقف منتبهًا وأجيب على أيِّ سؤالٍ بصوتٍ واضح، وفي العالم الخارجي يعرفون هذا باسم التسويق.

كانت أمي تضع ملابسي في حقيبةٍ لآخذها معي، وتظاهَر كلنا بالنوم تلك الليلة.

قال لي أخي إن ثمَّة خطايا في العالم الخارجي الشرير لا تعرف الكنيسة عنها ما يكفي لتحريمها، فلم أطق الانتظار.

وكان تعميدنا في الليلة التالية، وفعلنا كلَّ شيءٍ توقَّعناه، ثم لا شيء. فقط عندما تصير مستعدًّا لبتر إصبعك وإصبع الولد الواقف إلى جوارك لا يحدث أي شيء. بعد أن جهّزوك وتحسَّسوك ووزنوك واختبروك في الإنجيل والأعمال المنزليَّة يقولون لك أن ترتدي ملابسك.

هكذا أخذت حقيبتك وخرجت من دار الاجتماعات إلى الشاحنة المنتظِرة بالخارج، وانطلقت الشاحنة في قلب الليل إلى العالم الخارجي الشرير حيث لن يراك أحد تعرفه ثانيةً أبدًا. لم تعرف أبدًا الدرجات التي حصلت عليها، وحتى لو عرفت أنك أبليت بلاءً حسنًا، فلم يكن هذا الإحساس الجيد ليستمر معك طويلًا، فهناك عمل ينتظرك بالفعل.

حاشا لله أن تصاب بالملل وترغب في ما هو أكثر.

كانت تعاليم الكنيسة أن تقضي ما تبقَّى من حياتك في مزاولة العمل نفسه، في الوحدة نفسها، دون أن يتبدَّل شيء. كل يوم. هذا هو النجاح. تفضَّل بتسلُّم الجائزة.

تجز الحشائش...

وتجز الحشائش...

وتجز الحشائش...

والآن كرِّر.

إنها دعابة كبيرة لا أكثر.

- 33 -

على متن الحافلة في الطريق إلى موعدنا الثالث، أجلس وفرتيليتي أمام رجلٍ ما، عندما نسمع من مذياع أحدهم المفتوح أن درجة الحرارة اليوم 80 أو 90 فهرنهايت، وهي درجة حرارة مرتفعة للغاية بالنسبة لشهر يونيو في أيِّ مكان، ونافذة الحافلة مفتوحة وتأتي منها رائحة المرور بالخارج لتصيبني بالغثيان قليلًا، والمقاعد ساخنة تمامًا كأيِّ شيءٍ تلمسه في الجحيم. كان استقلال الحافلة إلى وسط المدينة فكرة فرتيليتي. إنها الظهيرة، لذلك لا تجد في الشوارع إلا العاطِلين أو ذوي الوظائف الليليَّة أو المجانين مرضى متلازمة توريت. إنه موعد خروجنا معًا طالما ترفض أن تنام معي أو تُقبِّلني حتى. مستحيل، قالت.

لا أعرف مَنْ الجالس في المقعد ورائنا. لم يكن أحدًا جديرًا بالملاحَظة، مجرَّد رجلٍ أشقر يرتدي قميصًا. إذا ضغطت عليَّ أكثر، فقد أقول إنه قبيح كذلك. لا أذكر حقًّا. تمر الحافلة بالضَّريح كلَّ خمس عشرة دقيقة، وقد ركبناها للتو بعد لقائنا عند السرداب رقم 678 ككلِّ مرَّة.

أذكُر الدعابة، فهي دعابة قديمة. تمر بيوت المدينة بنا خارج الحافلة وراء سيَّاراتٍ مركونة بطول الأرصفة وبين أسوارٍ معدنية تُحدِّد ملكيَّة هذا من ذاك، ويضع الأخ المازِح رأسه بيني وبين فرتيليتي ويهمس:

- «ما الأصعب من تمرير الجَمَل من ثُقب الإبرة؟».

إنك تجد هذه الدعابات في كلِّ مكان، ومهما كانت تعوزها الطرافة فسوف تسمعها مرغَمًا.

لا يرد أينا، فيقول هامسًا:

- «الحصول على تأمينٍ على الحياة لأحد أتباع الكنيسة الكِريدِشِيَّة».

الحقيقة أن لا أحد يضحك على هذه الدعابات سواي، ولا أضحك عليها إلا كي أتكيَّف مع المجتمع حولي. أكثر ما يُقلِقني من وجودي في مكانٍ عام أن يلاحظ الناس أنني ناجٍ. لقد تخلَّصت من ملابس الكنيسة منذ سنوات، فحاشا لله أن أبدو كواحدٍ من هؤلاء المخابيل الحمقى في منطقة الغرب الأوسط الذين قتلوا أنفسهم جميعًا لأنهم حسبوا أن إلههم يدعوهم إلى الديار.

أمي وأبي وتوأمي آدم وبقيَّة إخوتي وأخواتي كلهم موتى تحت الأرض، مادَّة خصبة لإلقاء النكات، لكني حيٌّ ولا يزال عليَّ أن أحيا في هذا العالم وأنسجم مع الناس من حولي.

ولهذا أضحك...

لأنني يجب أن أفعل شيئًا، أصدِر بعض الضجَّة -أصيح، أصرخ، أبكي، أسبّ، أعوي- فأضحك. كلها أساليب مختلِفة للتَّنفيس عن المشاعر.

هذه الدعابات في كلِّ مكانٍ اليوم، ويجب أن تفعل شيئًا كي لا تقضي وقتك كله في البكاء، ولهذا أكون صاحب أصخب ضحكة.

يهمس الأخ المازح:

- «لماذا عَبَرَ الكِريدِشي الطريق؟».

لعله لا يُكلِّمنا أصلًا.

- «لأنه لم ينجح في جعل أيِّ سيَّارةٍ تصدمه».

هدير الحافلة وراء الجميع إذ يدفعها المحرِّك في المؤخِّرة ويُخرِج دخَانًا كريه اللون والرائحة.

اليوم تنتشر كل هذه الدعابات بسبب الجريدة. من مكاني أرى العنوان الرئيس أسفل طيَّة الصفحة الأولى التي يقرأها خمسة أشخاص يطالِعون جريدة اليوم: «عدد النَّاجين من طائفة الانتحار الجماعي في انحدار».

يقول المقال إن الستار يكاد يُسدَل على مأساة الانتحار الجماعي لأتباع الكنيسة الكِريدِشِيَّة التي وقعت منذ عشرة أعوام، ويقول إن آخر النَّاجين من الكنيسة الكِريدِشِيَّة، الطائفة التي اتَّخذت وسط نبراسكا مستقرًّا لها وانتحر أعضاؤها جماعةً بدلًا من مواجهة تحريات الـFBI وإثارة انتباه العامَّة—يقول إن ستة فقط منهم تبقَّوا. لا يذكرون أيَّ أسماء، لكن لا بُد أنني واحد من نصف الدستة الذي تبقَّى على قيد الحياة. هناك تكملة للمقال في صفحةٍ داخليَّة، لكنك لا تحتاجها لمعرفة الخُلاصة. عندما تقرأ بين السطور ستجد أن لسان حال كاتب المقال هو: فليذهبوا إلى حيث ألقت.

ليس هناك شيء مكتوب عن حالات انتحارٍ مشكوك في كونها قتلًا، لا شيء عن احتمال وجود قاتل يتتبَّع الستة الباقين.

ويهمس الأخ المازح:

- «مَن الكِريدِشي ذو الشعر الأشقر؟».

أرُدُّ عليه في سريرتي قائلًا إنه الكِريدِشي الميت. لقد سمعت كلَّ هذه الدعابات من قبل.

- «مَن الكِريدِشي ذو الشعر الأحمر؟».

الميت.

- «مَن الكِريدِشي ذو الشعر البُنِّي؟».

الميت.

- «ما الفارق بين الكِريدِشي والجثَّة؟».

ساعاتٍ فقط.

- «ما الذي صرخ به الكِريدِشي عندما مرَّت به عربة نقل الموتى؟».

تاكسي!

- «كيف تتعرَّف على الكِريدِشي في حافلةٍ مزدحمة؟».

يجذب أحدهم الحبل ليرن الجرس وتتوقَّف الحافلة عند المحطة التالية.

وفجأةً تلتفت إليه فرتيليتي وتصيح:

- «كفى!».

صوتها عالٍ يجعل الناس يلتفتون إلينا من وراء جرائدهم.

- «إنك تمزح في الانتحار، في الموت. تُلقي دعاباتٍ عن أناسٍ أحبَّهم ذووهم وماتوا. اخرس إذن!».

صوتها عالٍ حقًّا وهي تقول هذا، وعيناها لامعتان رماديَّتان وإن بَدَتا فضِّيَّتين. أتساءل إن كانت فرتيليتي كِريدِشِيَّة في الأصل، أو لعلها لا تزال منزعجة من انتحار أخيها، فرد فعلها مبالغ فيه كثيرًا. في هذه اللحظة توقَّفت الحافلة ونهض الأخ المازح ليترجَّل. كأننا في كنيسةٍ بالضبط: المقاعد المصطفَّة والممر في المنتصف. يرتدي أخونا هذا سروالًا فضفاضًا من الصوف البُنِّي لا يمكن أن يرتديه إلا أحد النَّاجين في هذا الحَر وقد تقاطعت حمَّالتا السروال على ظهره وطوى السترة الصوفيَّة البُنِّيَّة على ذراعه. يتحرَّك في ممر الحافلة، ثم يتوقَّف لحظةً وبعض الركَّاب ينزلون ويمس حافة قبَّعته المصنوعة من القَش. يبدو مألوفًا للغاية، لكن وقتًا طويلًا قد مضى. تفوح منه رائحة العَرَق والصوف والقَش المميِّزة للمَزارع.

لا أذكر من أين أعرفه، لكني أذكر صوته، صوته فوق كتفي وفي هاتفي.

«عسى أن تموت وعملك مكتمل».

وجهه هو الوجه الذي أراه في المرآة.

ودون أن أفكِّر أهتف باسمه بأعلى صوتي.

آدم! آدم برانسن!

يسألني:

- «هل أعرفك؟».

لكني أجيب بالنَّفي.

يتحرَّك صفُّ النازلين مُبعِدًا إياه أكثر، لكنه يقول:

- «ألم نكبُر معًا؟».

وأجيب بالنَّفي.

الآن يقف عند باب الحافلة ويصيح:

- «ألستَ أخي؟».

وأصيح بالنَّفي.

ويختفي هو...

لوقا 22:34: *«...حَتَّى تَكُونَ قَدْ أَنْكَرْتَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَعْرِفُنِي!»*.

وتعود الحافلة إلى نهر الطريق...

لا يمكنني أن أصفه إلا بأنه قبيح، يبدو كغُرَباء الأطوار، زائد الوزن بعض الشيء، فاشل، مثير للشفقة في أفضل الأحوال، ضحيَّة، أخي الأكبر بثلاث دقائق، كِريدِشي أصيل.

طِبقًا للغة جسدها، فإن كُتُب علم النفس كانت لتصف فرتيليتي الآن بأنها غاضبة مني لأني ضحكت. ساقاها منعقدتان عند الرُّكبة والكاحل، وتنظر من النافذة في تركيز كأن هناك فارقًا بين مكانٍ ومكان.

وطِبقًا لدفتر التنظيم اليومي، فمن المفترَض أن أكون منشغلًا الآن بتلميع أرضيَّة غرفة الطعام، ثم أنظِّف البالوعات وأنظِّف بُقعةً ما في ممر السيَّارة، بالإضافة إلى تقشير الهليون الأبيض من أجل العشاء الليلة. لا يجدر بي الخروج في موعدٍ مع الجميلة الغاضبة فرتيليتي هوليس حتى

لو كنت قد قتلت أخاها، وحتى لو كان صوتي على الهاتف يثيرها جِنسيًّا حين أنها لا تطيقني شخصيًّا.

الحقيقة أنه لا يهم ما يجدر بي أن أفعله أو يفعله أيُّ ناجٍ آخر، فكلُّ ما تربَّينا عليه يقول إننا فاسِدون أشرار ملوَّثون.

هواء وسط المدينة الذي يتحرَّك في الحافلة معنا ساخن كثيف مختلِط بأشعَّة الشمس والجازولين المحترِق. تمر بنا الزهور المزروعة في الأرض، وورود من المفترَض أن تكون لها رائحة، حمراء وصفراء وبرتقاليَّة، متفتِّحة عن آخرها لكن بلا تأثير.

كلُّ شيءٍ يمكننا أن نفعله هو خطأ طالما ما زلنا أحياء.

ما تشعر به هو أنك لا تملك أيَّ تحكُّم، أنه يتم نقلك من مكانٍ إلى آخر لا أكثر.

لا شيءَ صحيحًا يمكنني فِعله، وأخي التوأم يسعى إلى قتلي.

تبدأ مباني وسط المدينة في التكوُّم على الأرصفة وتتباطأ حركة المرور. ترفع فرتيليتي ذراعها وتجذب الحبل، فيقول الجرس: دينج! وتتوقَّف الحافلة ونترجَّل منها أمام واحدٍ من المتاجر متعدِّدة الأقسام. رجال ونساء صناعيُّون يقفون في الواجهات يرتدون أحدث الملابس، يبتسمون، يضحكون، يتظاهَرون بأنهم يقضون وقتًا مَرِحًا. أعرف كيف يشعرون بالضبط.

الملابس التي أرتديها عبارة عن سروالٍ تقليدي وقميص كاروهات، لكنهما ملك الرجل الذي أعمل لديه. كنت قد قضيت الصباح كله في الطابق العلوي أجرِّب تشكيلاتٍ مختلفة من الملابس وأهرع إلى الطابق السفلي حيث تقوم موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة بتنظيف أغطية المصابيح القماشية بالمكنسة الكهربائيَّة لأسألها عن رأيها.

ثمَّة ساعة كبيرة فوق باب المتجر تنظر إليها فرتيليتي وتقول:

- «أسرِع. يجب أن نكون هناك في الثانية على الأكثر».

وتضع يدي في يدها الباردة الجميلة الجافَّة حتى في هذه الحرارة، ونندفع عبر الأبواب إلى الهواء المكيَّف والطابق الأول الحافل بأكوام السِّلع على الطاولات أو داخل الخزائن الزجاجيَّة المغلَقة.

تقول فرتيليتي وهي تحتوي يدي وتضغط عليها ساحبةً إياي:

- «إلى الطابق الخامس».

نرتقي السلالم الكهربائيَّة. الطابق الثاني، ملابس الرجال. الطابق الثالث، ملابس الأطفال. الرابع، ملابس الآنسات. الخامس، ملابس السيدات.

نسمع هذا النوع المألوف من الموسيقا المسجَّلة القادمة من فتحاتٍ في السقف. إنها موسيقا التشا-تشا. خطوتان بطيئتان وثلاث خطواتٍ سريعة. هناك خطوة متقاطِعة ثم تدور الراقصة تحت ذراع الراقص كما علَّمتني فرتيليتي.

ليس هذا اللقاء الذي توقَّعته. الملابس مطويَّة على الرفوف أو معلَّقة على المشاجب، والبائعون متأنِّقون يخطون هنا وهناك ويعرضون المساعدة. لا شيء من هذا لم تسبق لي رؤيته.

أسألُ: هل تريدين الرقص هنا؟

- «لا تستعجِل رزقك».

في البدء كانت رائحة الدخَّان...

تشير فرتيليتي إليَّ أن أتبعها إلى غابةٍ من الفساتين الطويلة المعروضة للبيع.

ما حدث بعد ذلك أن الأجراس بدأت في الدقِّ واندفع الناس نحو السلالم الكهربائيَّة التي توقَّفت عن العمل، فهُرعوا نازلين عليها كما السلالم العاديَّة. ينزلون على سلالم الصعود فيبدو لي هذا خطأً تمامًا

كأنه مخالَفة القانون. تُفرِغ إحدى البائعات خزانتها في كيسٍ، وتنظر عبر الطابق إلى مجموعةٍ من الواقفين عند أحد المصاعد يتطلّعون إلى لوحة الأرقام ويحملون أكياسًا كبيرة لامعة مليئة بالمشترَيات.

ما زالت أجراس الإنذار تدقُّ والدخان كثيف جدًّا.

تصيح البائعة:

- «لا تستخدموا المصاعد. إنها تتوقَّف إذا كان هناك حريق. استخدموا السلالم».

ثم تهرع نحوهم عبر متاهة الفساتين المعلَّقة وقد دسَّت الكيس تحت ذراعها كما يفعل اللاعب الظَّهير في كرة القدم، وتسوقهم نحو باب الخروج.

ثم لا يتبقَّى إلا أنا وفرتيليتي، وتومض المصابيح مرَّاتٍ أخيرة قبل أن تنطفئ تمامًا.

في الظلام يحيط بنا الدخَّان وحكَّة المخمل المقصوص وبرودة الحرير ونعومة القطن وخشونة الصوف في الفساتين المعلَّقة، وأشعر ببرودة يد فرتيليتي التي تضم يدي وهي تطلب مني ألا أقلق، وفي وجوهنا تلمع لافتات الخروج الخضراء في الظلام.

وتدقُّ الأجراس...

- «حافظ على هدوئك».

وتدقُّ الأجراس...

- «في أيِّ لحظة الآن».

ثم ينطلق الوميض البرتقالي الزاهي في الظلام على الجانب الآخر من الطابق محيلًا كلَّ شيءٍ إلى أشكالٍ غريبة من البرتقالي والأسود، وتتحوَّل الفساتين والسراويل المعلَّقة هنا وهناك إلى أشباحٍ آدميَّة ذات أذرعٍ وسيقانٍ ينفجر منها اللهب، ونجد ألف شبحٍ محترقٍ يزحف نحونا،

والأجراس تدقُّ بصخبٍ شديدٍ يُشعِرك بالهلع، لكن يد فرتيليتي الباردة هي الشيء الوحيد الذي يُبقيني في مكاني ويُحافِظ على رباطة جأشي.

- «في أيِّ لحظة الآن».

الحرارة قريبة تشعر بها تلفحك، والدخَّان كثيف يجعلك تتذوَّقه على لسانك، وعلى بُعد أقلِّ من عشرين قدمًا تبدأ الفزَّاعات الأنثويَّة المُشكَّلة من الفساتين المعلَّقة على المشاجب في الاحتراق والسقوط على الأرض. يصبح التنفُّس عسيرًا، ولا أستطيع إبقاء عينيَّ مفتوحتين.

والأجراس تدقُّ...

أشعر بملابسي جافَّة تكاد تحترق على جسدي. النار بهذا القُرب إذن.

تقول فرتيليتي:

- «أليس هذا رائعًا؟».

أرفع يدي لتصنع حاجزًا من البرودة بين وجهي ورفِّ الملابس المصنوعة من الرايون القريب منا. هذه هي الطريقة الأفضل لاختبار نوعيَّة القماش، أن تسحب منه خيطًا وتضعه على اللهب، فإذا لم يحترق فهو صوف، وإذا احترق ببطء فهو قطن، وإذا اشتعل في الحال مثل السراويل القريبة منا التي تأجَّجت تمامًا فهو قماش صناعي، پوليستر أو رايون أو نايلون.

تقول فرتيليتي:

- «الآن».

ثم يسود البرد قبل أن أعرف السبب وأشعر بالبلل يغمرني فجأةً. الماء ينهمر من السقف، ويخفق الضوء البرتقالي أقل فأقل إلى أن يتلاشى تمامًا، ويختفي الدخَّان من الهواء رويدًا رويدًا. واحدًا تلو الآخر تضيء الكشَّافات لتُرينا ما تبقَّى من ظلالٍ ضخمة من الأبيض والأسود، وتتوقَّف الأجراس عن الدقِّ، وتعود موسيقا التشا-تشا.

تقول فرتيليتي:

- «رأيت كلَّ هذا يحدث في حُلم. لم نكن في خطرٍ حقيقي أبدًا».

تمامًا كما حدث معها وترڤور على متن السَّفينة نصف الغارقة.

- «الأسبوع القادم سينفجر مخبز شهير. هل تريد أن نذهب ونتفرَّج؟ لقد رأيت ثلاثة أو أربعة أشخاص على الأقل يلقون مصرعهم».

شعري وشعرها وملابسي وملابسها خالية تمامًا من أيِّ حروقٍ أو آثار حروق.

دانيال 3:27: *«فَوَجَدُوا أَنَّ النَّارَ لَمْ تُؤْذِ أَجْسَامَهُمْ، وَلَمْ تَحْتَرِقْ شَعْرَةٌ مِنْ رُؤُوسِهِمْ، وَلَمْ تَشِطْ ثِيَابُهُمْ، وَلَمْ تَعْلَقْ بِهِمْ رَائِحَةُ النَّارِ»*.

أفكر أنني مررتُ بهذا، وفعلتُ ذاك...

- «أسرع». تقولها فرتيليتي وهي تضع يدي في يدها. «سيصل رجال المطافئ خلال دقائق. دعنا لا نضيِّعُ رقصة التشا-تشا هذه».

واحد، اثنان، تشا تشا تشا... نرقص، ثلاثة، أربعة، تشا تشا تشا...

الحطام وأذرع وسيقان الملابس المحترقة المتشابكة حولنا على الأرض والمياه لا تزال تسقط وكلُّ شيءٍ مبتلٌّ عن آخره، ونرقص، واحد، اثنان، تشا تشا تشا.

وفي هذا الوضع بالضبط يجدنا رجال الإطفاء.

- 32 -

سوف تنفجر محطة وقود الأسبوع القادم، وهناك متجر للحيوانات الأليفة به المئات من طيور الكناري التي ستهرب كلها. لقد رأت فرتيليتي كلَّ هذا في حُلمٍ وراء حُلم. هناك فندق به ماسورة تُسرِّب المياه في هذه اللحظة بالتحديد، وطوال أسابيع والمياه تسيل إلى داخل الجدران لتتسبَّب في ذوبان الجِص وإصابة الخشب بالعَفَن والمعدن بالصدأ، وفي الثالثة وأربع دقائق عصر الثلاثاء القادم سوف تسقط الثُّريَّا الكريستال العملاقة المعلَّقة في منتصف سقف اللوبي. في حُلمها رأت فرتيليتي كريستالات الثُّريَّا تهتز وتُحدِث جلبةً أولًا، ثم يتساقط بعضٌ من غبار الجِص وتسقط قطعة معدنية صدئة من الثُّريَّا على شكل سهمٍ وتحط على السجَّادة إلى جوار رجلٍ عجوز يحمل أمتعته، فيلتقطها ويديرها في راحة يده ناظرًا إلى الصدأ والمعدن اللامع المتبدِّي من داخل الجزء المكسور منها. تتوقَّف امرأة تجر حقيبتها ذات العجلات إلى جواره وتسأله إن كان واقفًا ينتظر دوره في الصَّف.

يقول العجوز: لا، وتقول المرأة: شكرًا، ويضرب موظف الاستقبال الجرس ويصيح طالبًا مجيء أحد خدم الفندق إلى مكتبه، فيتقدَّم واحد منهم.

وفي هذه اللحظة تهوي الثُّريَّا.

أحلام فرتيليتي دقيقة إلى هذه الدرجة، وكلما تكرَّر الحلم تبحث عن تفصيلةٍ جديدة. المرأة ترتدي بذلة حمراء تتألَّف من سُترة وتنُّورة ذات حزامٍ ذهبي ذي شكل سلسلة من كريستيان ديور، والعجوز له

عينان زرقاوان، واليد التي يحمل بها القطعة التي سقطت من الثريًا بها خاتم زفافٍ ذهبي. خادم الفندق له أذن مثقوبة، لكنه لا يُعلِّق فيها القِرط. تقول فرتيليتي إن وراء مكتب الاستقبال هناك ساعة باروك فرنسية معقّدة الشكل داخل غلافٍ من الرصاص المطلي بالذَّهب عليه أشكال محار ودلافين تُثبِّت وجه الساعة التي تشير عقاربها إلى الثالثة وأربعِ دقائق.

أخبرَتني فرتيليتي بكلِّ هذا بعينين مغلقتين، ولا أدري حقًّا إن كانت تتذكَّره بالفعل أم تختلِقه فقط.

رسالة تسالونيكي الأولى 5:20: «*لاَ تَحْتَقِرُوا النُّبُوءَاتِ*».

سوف تومض الثُّريًّا وتنطفئ في اللحظة التي تسقط فيها، ما سيجعل كلَّ الواقفين أسفلها ينظرون إلى أعلى، لكنها لا تعرف ما سيحدث بعد هذا. دائمًا ما تستيقظ في هذه اللحظة وينتهي الحُلم هنا، عندما تهوي الثُّريَّا أو تسقط الطائرة أو يخرج القطار عن القضبان أو يضرب البرق أو يبدأ الزلزال.

بدأت فرتيليتي تضع تقويمًا بالحوادث القادمة أرتني إياه، كما أريتها دفتر التنظيم اليومي الذي يحتفظ به من أعمل لديهم. ينتظرنا الأسبوع القادم انفجار المخبز وهروب طيور الكناري وحريق محطة الوقود والثُّريَّا الساقطة في الفندق.

تقول فرتيليتي أن أختار ما أشاء، وسوف نحزم بعض الطعام معنا ونجعله يومًا للمرح.

المفترَض أن أقوم الأسبوع القادم بجزِّ الحشائش مرَّتين وتلميع أدوات المدفأة النحاسيَّة وتفقّد تاريخ الصلاحيَّة على كلِّ شيءٍ في المجمِّد وتدوير الأطعمة المعلَّبة في حجرة المؤن وشراء هديَّتين لعيد زواج الرجل والمرأة اللذين أعمل لديهما كي يُعطيهما كلٌّ منهما للآخر. كلّ هذا من المفترَض أن أفعله، لكني أقول لفرتيليتي أن لا بأس، سأكون معها.

كان هذا بعد أن وجدَنا رجال المطافئ نرقص التشا-تشا في الطابق الخامس المحترِق بلا أثرٍ لإصابة. بعد أن أخذوا شهادتنا وجعلونا نوقِّع استمارات تأمين تُعفيهم من المسؤوليَّة اصطحبونا إلى الشارع، وهناك أسأل فرتيليتي: لماذا؟

لماذا لا تتَّصل بأحدٍ وتُبلغ عن الكارثة المرتقَبة؟

تهز كتفيها في لامبالاة وتقول:

- «لأن لا أحد يرغب في سماع الأخبار السيِّئة. كان ترڤور يحاول تحذيرهم كلما رأى حُلمًا كهذا، والنتيجة كانت وقوعه في المشاكل دائمًا».

تقول إن أحدًا لا يريد تصديق وجود موهبةٍ كهذه، لهذا كانوا يتَّهمون ترڤور بأنه إرهابي أو مصاب بجنون الحرائق.

مهووس بإشعال الحرائق طِبقًا لكتاب (الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النَّفسيَّة).

لو كنا في قرنٍ آخر لاتَّهموه بالشعوذة.

وهكذا انتحر ترڤور...

... بمساعدةٍ صغيرة من العبد لله.

- «لهذا السبب لم أعُد أقول لأحدٍ شيئًا. ربما أتكلَّم إن كان هناك ملجأ أيتام سيحترق، ربما، لكن هؤلاء الناس قتلوا أخي، فلِمَ يجدر بي أن أسدي لهم أيَّ خدمات؟».

يمكنني أن أنقِذ أرواح الناس الآن بأن أخبرها بالحقيقة، بأنني قتلت أخاها، لكني لا أفعل. فقط نجلس في محطَّة الحافلات صامتَيْن إلى أن تلوح حافلتها من بعيد، فتكتب لي رقم هاتفها على إيصالٍ وجدته على الأرض (يمكنه أن يعود عليَّ بأكثر من ثلاثمئة دولار إذا أخذته إلى المتجر ومارست حيلتي إياها). تقول لي فرتيليتي أن أختار الكارثة التي

تروق لي وأتَّصل بها، ثم تحملها الحافلة بعيدًا، إلى العمل أو العشاء أو إلى عالم الأحلام.

طِبقًا لدفتر التنظيم اليومي، من المفترَض أن أكون الآن منشغِلًا بمسح الغبار عن سيقان الموائد، ثم قصِّ الأوراق التالفة في سياج أشجار الحديقة، ثم جزِّ الحشائش، ثم غسيل السيَّارات، ثم كيِّ بعض الملابس. من المفترَض أن أفعل كل هذا، لكني أعرف أن موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة تقوم بعملي بدلًا مني.

طِبقًا لدليل الاضطرابات النَّفسيَّة، من المفترَض أن أدخل أحد المحال الآن وأسرق شيئًا، أن أفرغ بعض الطاقة الجِنسيَّة المكبوتة لديَّ.

طِبقًا لفرتيليتي، من المفترَض أن أحزم بعض الطعام لنأكله ونحن نتفرَّج على بعض الغرباء إذ يلقون حتفهم. أستطيع أن أتخيَّلنا جالسَيْن على أريكةٍ مخمليَّة صغيرة في لوبي الفندق نرشف الشاي عصر يوم الثلاثاء ونُشاهِد العرض من مقعدنا الأمامي.

طِبقًا للكتاب المقدَّس، من المفترَض أن...! لا أدري.

طِبقًا لتعاليم الكنيسة الكِريدِشِيَّة، من المفترَض أن أكون ميتًا.

لا أجد أيًّا من الخيارات المذكورة أعلاه جذَّابًا، لذا أتمشَّى فقط في وسط المدينة. تفوح رائحة المخبوزات الطازجة من المخبز الذي سوف ينفجر خلال خمسة أيام حسب كلام فرتيليتي. في خلفيَّة متجر الحيوانات الأليفة تُرفرِف مئات من طيور الكناري من جانبٍ إلى جانبٍ في أقفاصها المزدحمة إلى أن تتحرَّر كلها الأسبوع القادم. ثم ماذا؟ أريد أن أقول لها أن تبقى في الأقفاص، إن هناك أشياء أفضل من الحرِّيَّة، وأشياء أسوأ من قضاء حياة طويلة مملَّة في بيت أحد الغرباء ثم الموت ودخول جنة الكناري.

يضخ العمال الوقود في المحطَّة التي تقول فرتيليتي إنها ستنفجر وقد

بدت عليهم السعادة -أو عدم التعاسة- دون أن يتصوَّر أيهم أنه خلال أسبوع سيكون ميتًا أو عاطلًا عن العمل، حسب توزيع الورديَّات.

يحل الظلام بسرعةٍ شديدة.

خارج الفندق، وعبر واجهة اللوبي الزجاجيَّة السميكة، أرى الثُّريَّا جاثمة في مكانها الحالي في السقف فوق ضحيَّةٍ وراء ضحيَّة: امرأة تحمل جروًا صغيرًا، أسرة من أمٍّ وأبٍّ وثلاثة أطفالٍ صغار. الساعة وراء مكتب الاستقبال تقول إنه لا يزال هناك وقت طويل بينهم وبين الثالثة وأربع دقائق عصر الثلاثاء القادم. يمكنك الوقوف هناك لأيامٍ وأيامٍ وستكون في أمان، لكن ليس لثانيةٍ واحدةٍ أطول من اللازم. يمكنك الدخول مارًّا بالبوَّابين في ملابسهم الموشَّاة بالجدائل الذَّهبيَّة وتقول للمدير إن الثُّريَّا سوف تسقط.

كل من يحبهم سيموتون.

هو نفسه سيموت ذات يوم.

سوف يأتي بنا الله لنمثِل أمامه ويُصدِر حكمه علينا.

سوف تُلقي به خطاياه في الجحيم.

يمكنك أن تخبر الناس بالحقيقة، لكن لا أحد منهم سيُصدِّقك حتى يقع الحادث، حتى يفوت الأوان. أما في الوقت الحالي فلن تُفضي الحقيقة إلا لإثارة غضبهم عليك وإيقاعك في مشاكل أنت في غنى عنها.

وهكذا تعود إلى بيتك.

هناك عشاء يجب أن تجهِّزه، قميص تكويه للغد، حذاء تُلمِّعه، أطباق تغسلها، وصفات طعام جديدة تتعلَّمها.

هناك شيء اسمه حساء الزفاف يتطلَّب ستة أرطال من نخاع العظام. لحوم أعضاء الحيوانات منتشرة جدًّا هذا العام، ومن أعمل لديهم يريدون

أن يأكلوا على أحدث صيحةٍ في عالم الطعام. كلى، كبد، مثانة، أمعاء بقرة محشوَّة بالجرجير والشَّمرة كما لو أنه طعام مُجتَر. يريدون أكل حيواناتٍ محشوَّة بأغرب الحيوانات الأخرى طرًّا. دجاج محشو بالأرانب، سمك محشو باللحم المقدَّد، إوز محشو بالسلمون.

هناك أشياء كثيرة يجب أن أتدرَّب عليها حتى أجيدها تمام الإجادة عندما أعود إلى المنزل.

أغطِّي شريحة من لحم الشواء بقطعٍ من دُهن حيوانٍ آخر لأحميه من الاحتراق أثناء الطهي، وهذا ما يجدني الهاتف عليه عندما يرن.

إنها فرتيليتي بالطبع.

- «كنت محقًّا بشأن غريب الأطوار».

أسألها: كيف؟

- «صاحب ترڤور هذا، إنه في حاجةٍ إلى أحدٍ حقًّا. لقد خرجت معه كما طلبت وكان هناك أحد أتباع الطائفة الدينيَّة إياها معنا على الحافلة. لا بُد أنهما توأمان، فهما متشابهان للغاية».

أقول لها إنها ربما تكون مخطئة، فأتباع الطائفة الدينية هؤلاء ماتوا. كانوا مجانين وأغبياء والآن معظمهم تحت الأرض. كل ما آمنوا به اتَّضح أنه خطأ.

- «ذلك الرجل الآخر على الحافلة سأله إن كانا قريبين، لكن صاحب ترڤور أنكر هذا».

إذن فهما ليسا قريبين، أقول، فلا أحد يعجز عن تعرُّف أخيه التوأم.

- «وهذا هو الجزء المحزِن من الأمر، فقد تعرَّف عليه بالفعل، وقال اسمه. براد أو تيم تقريبًا».

آدم.

أسألها: وما المحزِن في هذا؟

- «لأن إنكاره كان شديد الوضوح ومثيرًا للشفقة. من الواضح جدًّا أنه يحاول التظاهُر بأنه شخص عادي سعيد. شعرت بحزنٍ وأسفٍ شديدٍ عليه فأعطيته رقم هاتفي. أريد أن أساعده على أن يتقبَّل ماضيه، كما أن لديَّ شعورًا بأنه في طريقه إلى خراءٍ كثير».

أسألها: ما الذي تعنيه بالخراء؟

- «بؤس، مصيبة. ما زال هذا الشعور ضبابيًّا إلى حدٍّ كبير. كارثة، ألم، قتل جماعي. لا تسألني كيف أعرف، فهذه قِصَّة طويلة».

أحلامها. محطة الوقود، المخبز، طيور الكناري، الفندق، والآن أنا.

- «اسمع، ما زال علينا أن نتكلَّم عن لقائنا، لكن ليس الآن».

- لماذا؟

- «لأني مشغولة جدًّا بسبب وظيفتي اللعينة الآن، لذلك إذا اتَّصل بك شخص اسمه دكتور أمبروزي يسأل عن جوين، فقل إنك لا تعرفني. قل له إننا لم نلتقِ قَط، اتفقنا؟».

جوين؟

أسألها: من يكون دكتور أمبروزي؟

تقول فرتيليتي، أو تقول جوين:

- «هذا اسمه فقط. هو ليس طبيبًا حقيقيًّا، لا أعتقد هذا. يمكنك أن تعتبره وكيل الحجز الخاص بي. ليس هذا هو العمل الذي أرغب في ممارسته، لكني متعاقِدة معه».

أسألها: وما العمل الذي تقوم به بموجِب العقد؟

- «ليس شيئًا غير قانوني أو ما شابه. كلُّ شيءٍ تحت السيطرة... إلى حدٍّ كبير».

- ماذا إذن؟

وتُخبِرني، فتبدأ صفَّارات الإنذار في العواء في رأسي.

ما أشعر به الآن أنني أتضاءل وأتضاءل.

صفَّارات الإنذار والأجراس وأضواء الخطر في كلِّ مكانٍ حولي.

وما أشعر به الآن أنني أحقر فأحقر.

***

السيِّدات والسَّادة، أنا هنا في قمرة القيادة على متن الرحلة 2039، وقد انطفأ أول المحرِّكات الأربعة. إنها بداية النهاية.

- 31 -

جزءٌ من محاوَلتها الحيلولة دون انتحاري، أن تخلط موظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة لي كأسًا أخرى من الچين والتونيك بينما أتكلَّم على الهاتف. ثمَّة مُنتِج من برنامج *The Don Williams Show* ينتظر على الخط الثاني، وكل مصابيح الخطوط الأخرى تومض بلا توقُّف. شخصٌ ما من برنامج *Barbara Walters* ينتظر على الخط الثالث. الأولويَّة الآن لعثوري على شخصٍ يتعامل مع كلِّ هذا الصخب، فالأطباق المتخلِّفة عن الإفطار مكوَّمة في حوض المطبخ ولن تغسل نفسها بنفسها طبعًا.

الأولويَّة الآن لعثوري على وكيل أعمالٍ جيد.

الأسِرَّة لا تزال غير مرتَّبة بالطابق العلوي، ويجب إعادة طلاء الحديقة.

على الهاتف لا ينفك واحد من كبار وكلاء الأعمال يسأل: ماذا لو لم أكن النَّاجي الأخير؟ فأقول له إنني هو لا بُد. لم تكن موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة لتأتي لتتناول معي إفطارًا من الچين والتونيك لو لم يكن هناك انتحار آخر ليلة أمس. على طاولة المطبخ فردَت أمامي جميع ملفَّات الحالات الأخرى. يمكنك الآن أن تحكم على البرنامج الفدرالي للحفاظ على النَّاجين بالفشل التام. في الحقيقة، موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة التي تخلط لي الچين والتونيك هي التي في حاجةٍ إلى من يمنعها من الانتحار.

تُتابِعني موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة بعينيها طوال الوقت كي تتأكَّد من ألا أفعلها وأنتحر أنا أيضًا، وكي أبعدها عن طريقي أجعلها تُقطِّع

ليمونة. اخلطي لي شرابًا طازجًا، أقول، وإلا قتلت نفسي. أقسم إنني سأدخل الحمَّام وأفتح شراييني كلها بالموسى.

تُحضِر لي شرابًا جديدًا حيث جلسنا إلى طاولة المطبخ وتسألني إن كنت أريد المساعدة في التعرُّف على بعض الجثث، ما يُفترَض أن يساعِدني على إغلاق هذه الصفحة من حياتي نهائيًّا. تقول إنهم قومي رغم كلِّ شيء، لحمي ودمي، أهلي وأصدقائي ومعارفي.

تفرد الصُّور الحكوميَّة نفسها التي أصبح عمرها عشرة أعوام على الطاولة، ومن الصُّور يرمقني مئات من الموتى المرصوصين جنبًا إلى جنبٍ في صفوفٍ على الأرض وقد اسودَّ جلدهم كله بفعل السيانايد وانتفخوا إلى درجةٍ جعلت ملابسهم الداكنة الفضفاضة تضيق عليهم. من التُّرابِ وإلى التُّرابِ نعود. من المفترَض أن تكون عملية إعادة التدوير كلها بهذه السهولة، لكنها ليست كذلك أبدًا. الجثث مُمدَّدة وقد تصلَّبت وبدأت تتعفَّن، وموظَّفة التحريِّات الاجتماعيَّة تحاول جعلي أنقِّب عن مشاعري بداخلي لأنني أكبت حزني على حدِّ تعبيرها.

هل أحب أن أراجع الصور وأتعرَّف على هؤلاء الموتى؟

إذا كان هناك قاتل بالفعل، تقول، فيمكنني أن أدلها على الشخص الذي من المفترَض أن تكون صورته هنا لكنها ليست كذلك.

شكرًا، أقول لها، لكن لا، شكرًا. دون أن أنظر أعرف أن آدم برانسن لن يكون ميتًا في أيٍّ من صُورها.

أسألها وهي تجلس إن كانت تمانع أن تُسدِل الستائر. ثمَّة سيَّارة ڤان بالخارج تابعة لشبكةٍ إخباريةٍ ما تُصوِّر ڤيديو عبر نافذة المطبخ لتبثه فيما بعد عبر الأقمار الصناعيَّة، وأطباق الإفطار المتَّسخة في الحوض ليست الشيء الذي أريده أن يظهر معي في الأخبار الليلة. الأطباق المتَّسخة في

الحوض، أنا وموظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة جالسان إلى طاولة المطبخ مع الهاتف، أوراقها مفرودة على المفرش الأبيض والأصفر الكاروهات، والچين والتونيك في يدينا في العاشرة صباحًا.

سوف يقول صوت مذيع النشرة الإخباريَّة كيف أن النَّاجي الأخير من آخر طائفةٍ انتحاريَّة في أمريكا، طائفة الكِريدِش، خاضع للملاحَظة بعد سلسلة الانتحارات المأساويَّة الأخيرة التي أتت على بقيَّة أتباع الطائفة واحدًا بعد الآخر.

ثم قَطْع إلى فقرة إعلانية.

تُقلِّب موظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة بين ملفات آخر عملاءٍ لها. برانون، ميت. ووكر، ميت. فيليپس، ميت. كلهم موتى. كلهم.. ما عداي.

فتاة ليلة أمس، النَّاجية الأخرى الوحيدة عداي من مستعمرة مقاطعة الكنيسة الكِريدِشِيَّة، أكلت طينًا. صدِّق أو لا تُصدِّق، لكن ثمَّة اسمًا لما فعلته هو چيوفاجي، وهو ما كان شائعًا بين الأفارقة الذين جيء بهم إلى أمريكا كعبيد. لعل (شائعًا) ليست الكلمة الصحيحة. جلست الفتاة القرفصاء في حديقة المنزل الذي عملت فيه طوال أحد عشر عامًا، والتهمت الطين من حوض الزهور بملعقة. كلُّ هذا مذكور في تقرير موظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة. ثم إن شيئًا اسمه تهتُّك المريء حدث لها، ثم شيئًا اسمه التهاب الصِّفاق، ومع شروق الشمس كانت قد غادرت عالمنا.

الفتاة السابقة لها ماتت ورأسها في الفرن، والولد السابق لها جزَّ عنقه. هذا ما علَّمتنا إياه العقيدة الكِريدِشِيَّة بالضبط. ذات يومٍ سوف تُدمِّرنا شرور ملوك العالم -يا للحزن!- وستزحف علينا جيوش العالم -يا للأسى!- وعندها يجب على أبناء الله الأنقى أن يُسلِّموا أنفسهم له -آمين!- بأيديهم.

الخلاص...

نعم، وعلى كلِّ من لا يُسلِّم نفسه لله مع الراحلين الأوائل أن يتبعهم في أقرب وقتٍ ممكن.

هكذا طوال السنوات العشر المنصرِمة وأتباع الكنيسة الكِريدِشِيَّة المتبقِّين على قيد الحياة -الرجال منهم والنساء، الخادمات والبستانيون وعمال المصانع- في كلِّ أنحاء البلاد ينحرون أنفسهم واحدًا تلو الآخر على الرغم من برنامج الحكومة الموضوع للحفاظ على حياتهم.

باستثنائي أنا...

أسأل موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة: هل تمانع في ترتيب الأسِرَّة؟ إذا اضطررت لترتيب سريرٍ آخر أقسم إنني سأدس رأسي في الخلّاط، لكني أعدها أنها ستجدني حيًّا عندما تعود إذا وافقت، فتصعد إلى الطابق العلوي، وأشكرها.

أول شيءٍ فعلته بعد أن أخبرتني موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة بأن أتباع الكنيسة الكِريدِشِيَّة أصبحوا موتى جميعًا وما إلى ذلك هو أنني بدأت التدخين. أذكى شيء فعلته في حياتي على الإطلاق هو أنني صرت مدخِّنًا. عندما جاءت لتُلقي عليَّ تحية الصباح وتُخبرني بأن النَّاجية الأخرى انتحرت ليلة أمس جلست في المطبخ وعجَّلت بانتحاري الشخصي بشرابٍ قوي. تنصّ تعاليم الكنيسة على أن أقتل نفسي، لكنها لا تذكُر شيئًا عن جعله موتًا لحظيًّا متعجِّلًا.

ما زالت الجريدة ملقاة عند عتبة الباب، والأطباق في الحوض غير مغسولة، أما من أعمل لديهم فقد غادروا للفرار من دائرة الضوء بعد سنواتٍ قضيتها في إعادة شرائط الپورنو التي يستأجرونها إلى بدايتها وتنظيف أوساخهم. هو يعمل في بنك وهي تعمل في بنك. لديه سيَّارة

ولديها سيَّارة. يملكان هذا المنزل الكبير الجميل، ويملكانني لترتيب الأسِرَّة وجزِّ الحشائش. الحق أقول إنهما غادرا غالبًا كي لا يعودا ذات ليلةٍ ويجداني منتحرًا على أرضيَّة المطبخ.

ما زالت خطوط الهاتف الأربعة تتلقى الاتِّصالات.

برنامج *The Don Williams Show* وبرنامج *Barbara Walters*. يقول وكيل الأعمال أن أشتري مرآة يد لأتمرَّن فيها على أن أبدو مُخلِصًا بريئًا.

يحمل أحد الملفَّات على الطاولة اسمي، والصفحة الأولى منه تحمل جميع المعلومات الأساسيَّة عن الأفراد الموثَّقين الذين نجوا من كارثة مستعمرة الكنيسة الكِريدِشِيَّة.

يقول وكيل الأعمال: حملتك الإعلانية الخاصَّة.

يقول وكيل الأعمال: برنامجك الديني الخاص.

من المعلومات الموثَّقة في الملف أنه لأكثر من مائتي عام اعتبر الأمريكيون الكِريدِش أكثر قوم يتمتَّعون بالتَّقوى والورع والعمل الجاد والتهذيب والوعي على وجه الأرض.

يقول وكيل الأعمال: مليون دولار كدُفعةٍ أولى مقابل حقوق نشر قِصَّة حياتك في طبعةٍ فاخرة.

تذكُر إحدى صفحات الملف الأخرى كيف قام مأمور مَحَلّي منذ عشر سنواتٍ بالحصول على إذن لتفتيش مستعمرة مقاطعة الكنيسة الكِريدِشِيَّة. كانت هناك اتهامات بإساءة معاملة الأطفال. جاء البلاغ المجنون عن طريق مجهولٍ زعم أن العائلات في مقاطعة الكنيسة تنجب أطفالًا وأطفالًا وأطفالًا بلا حساب، وأن لا أحد من هؤلاء الأطفال له وثائق رسميَّة لدى الحكومة؛ لا شهادات ميلاد، لا أرقام ضمان اجتماعي، لا شيء. كل هؤلاء المواليد جاءوا إلى الحياة داخل مستعمرة الكنيسة

ولم يتلقَّ أيّ منهم التعليم إلا في مدارسها، ولا أحد منهم كان مسموحًا له بالزواج وإنجاب الأطفال عندما يكبر، وعندما يبلغون السابعة عشرة من عمرهم يتم تعميدهم كأتباعٍ بالغين للكنيسة وإرسالهم إلى العالم الخارجي. كلُّ هذا أصبح من المعلومات العامَّة.

يقول وكيل الأعمال: شرائط ڤيديو للتمارين الرياضيَّة.

يقول وكيل الأعمال: ظهور حصري على غلاف مجلة (پيپول).

كان أحدهم قد سرَّب هذه الشائعات المجنونة إلى إدارة حماية الأطفال، وإذا بالمأمور يقود حملة من شاحنتين مليئتين بالجنود إلى مستعمرة الكنيسة الكِريدِشِيَّة في بولستر كاونتي، نبراسكا، لعدِّ الرؤوس والتأكُّد من أن كلَّ شيءٍ رسمي. ثم إن المأمور اتصل بالـFBI.

يقول وكيل الأعمال: ظهور مدفوع الأجر في توك شو.

علمت الـFBI أن الكِريدِش كانوا يعتبرون الأطفال الذين يُخرجونهم إلى العالم مُبشِّرين عاملين، وكان التحقيق الحكومي هو ما أطلق على الأمر كله تسمية الرَّقيق الأبيض، أما التليفزيون فاختار اسم طائفة الأطفال العبيد. عندما يبلغ هؤلاء الأطفال السابعة عشرة من عمرهم يُسلِّمهم المشرفون الكِريدِش في العالم الخارجي أعمالهم المتَّفَق عليها، والتي يتلقُّون أجورهم عنها نقدًا وليس بشيكات. أعمال مؤقَّتة بلا تعاقُد يمكنها الاستمرار لسنواتٍ وسنوات.

اختارت الصُّحُف اسم كنيسة السُّخرة.

كانت الكنيسة تضع النقود في جيبها، بينما يحصل العالم الخارجي على جيشٍ كامل من الخادمات والبستانيين وغاسلي الأطباق وعمال الدهان المُخلِصين الذين تربَّوا على الإيمان بأن السبيل الوحيد للنجاة بالروح هو العمل حتى الموت مقابل لا شيء سوى غرفةٍ وسرير.

يقول وكيل الأعمال: عمود ثابت في جريدة.

عندما تحرَّك رجال الـFBI لإلقاء القبض على المشتبَه بهم، وجدوا سُكَّان مستعمرة الكنيسة كلهم داخل دار الاجتماعات. من المحتمَل أن الشخص نفسه الذي سرَّب تلك القِصَّة الحمقاء عن الأطفال العبيد ومحصول المال الوفير الذي يأتي منهم هو نفسه الذي سرَّب للمستعمرة الأخبار عن الغزو الحكومي الوشيك. كلُّ مزرعة في بولستر كاونتي كانت مهجورة، وسوف يعرف الناس في ما بعد أن كل بقرة وخنزير ودجاجة وحمامة وقطة وحمار هناك كانوا موتى بدورهم. حتى الأسماك الذَّهبيَّة كانت مسمومة في أحواضها. كل مزرعة كِريدِشِيَّة صغيرة ببيتها الأبيض وزريبتها الحمراء كان الصمت يُخيِّم عليها مع مجيء جنود الحرس الوطني. كل حقل بطاطس كان فارغًا يكتنفه الصمت تحت السماء الزرقاء والسُّحُب القليلة.

يقول وكيل الأعمال: سهرة تليفزيونية خاصة ليلة الكريسماس.

طِبقًا للمذكور في الملف -الذي أطالعه هنا مُشعِلًا سيجارة جديدة عند طاولة المطبخ وموظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة تُرتِّب الأسِرَّة بالأعلى- فإن نشاط إرسال المُبشِّرين العاملين إلى العالم الخارجي مستمر منذ أكثر من مئة عام، فاغتنى الكِريدِش أكثر فأكثر واشتروا المزيد من الأراضي وأنجبوا المزيد من الأطفال، الذين أخذ المزيد والمزيد منهم يختفون من وادينا كل عام. ترحل البنات في الربيع والأولاد في الخريف.

يقول وكيل الأعمال: عطرك الخاص.

يقول وكيل الأعمال: طبعة من الأناجيل الموقَّعة بخطِّك.

كان المُبشِّرون مُنزَوين متوارين عن الأنظار في العالم الخارجي، ولم تُشغِل الكنيسة نفسها بدفع الضرائب. طِبقًا لتعاليم الكنيسة، فإن

أنبل منزلة يمكنك الوصول إليها هي أن تعمل وتأمل أن تعيش طويلًا بما يكفي لأن تعود على المستعمرة بمكاسب صخمة. كان من المفترَض أن تكون حياتك القادمة عبئًا؛ تُرتِّب أسِرَّة الآخرين، تعنى بأطفال الآخرين، تطهو الطعام للآخرين.

إلى أبدِ الآبدين...

عمل بلا نهاية...

كانت الخطة هي بناء جنَّة الكِريدِش رويدًا رويدًا بالاستيلاء على العالم بُقعةً بعد بُقعةٍ وفدَّانًا بعد فدَّان.

كان هذا إلى أن توقَّف رجال الـFBI على مسافة الثلاثمئة قدم الرَّسميَّة خارج دار اجتماعات مستعمرة مقاطعة الكنيسة. كان الهواء ساكنًا طِبقًا للتحقيق الرسمي في المذبحة، ولا صوت واحدًا خرج من الكنيسة.

يقول وكيل الأعمال: محاضرات مُلهِمة على شرائط كاسيت.

يقول وكيل الأعمال: فندق سيزر پالاس.

عندها بدأ الجميع في كلِّ أنحاء العالم في تسمية الكِريدِش بطائفة موت العهد القديم.

دخَّان السيجارة كثيف إلى درجةٍ تجعل من الممكن أن أتركه حبيسًا في صدري. بقية الشَّاردين مثلي موثَّقون في ملفَّات موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة. عميل البرنامج الفدرالي للحفاظ على النَّاجين رقم 63، بيدي پاترسن، السن 29 عامًا تقريبًا، انتحرت بشُرب محلول تنظيف بعد ثلاثة أيام من حادث مقاطعة الكنيسة.

عميل البرنامج الفدرالي للحفاظ على النَّاجين تندر سميثسن، السن 45 عامًا، انتحر بالقفز من واحدة من نوافذ المبنى الذي كان يعمل فيه كعامل نظافة.

يقول وكيل الأعمال: خط ساخن للراغبين في الخلاص.

الدخَّان ساخن كثيف بداخلي كما لو أن لديَّ روحًا.

يقول وكيل الأعمال: إعلانك التثقيفي الخاص.

جثث الكِريدِش سوداء منتفخة إثر استسلامهم للموت. حمل رجال الـFBL صفوفًا طويلة من الموتى من دار الاجتماعات وقد اكتسوا بالسواد بعد تناول السيانايد على عشائهم الأخير. هؤلاء الذين فضَّلوا الموت على مواجهة ما كان قادمًا إليهم في الطريق.

ماتوا معًا ككتلةٍ واحدةٍ وقد تشابكت أيديهم بشدَّة إلى حدٍّ جعل رجال الـFBL ينتزعون الأصابع من بعضها البعض انتزاعًا.

يقول وكيل الأعمال: سوبر ستار.

تنصُّ تعاليم الكنيسة على أنه يجدر بي الآن، وقد غابت موظَّفة التحريًات الاجتماعيَّة، أن أستلَّ سكِّينًا من حوض الأطباق المتَّسخة وأفتح به قصبتي الهوائيَّة، أن أُفرغ أحشائي على أرضية المطبخ.

يقول وكيل الأعمال إنه سيتولَّى مسألة البرنامجين.

ثمَّة ملف يحمل اسمي، فأكتب فيه: *«عميل البرنامج الفدرالي للحفاظ على النَّاجين رقم 84 فقد كلَّ من أحبَّهم بلا استثناء وكلَّ شيءٍ أعطى لحياته معنى. إنه مُرهَق وينام معظم الوقت وقد بدأ في التدخين وشُرب الكحول وفقد شهيَّته. نادرًا ما يستحم الآن ولم يحلق ذقنه منذ أسابيع»*.

منذ عشر سنواتٍ فقط كان ملح الأرض. جُل ما أراده هو دخول الجنة. اليوم يجلس وقد فقد كلَّ ما عمل لأجله في حياته. كل قواعده وقوانينه راحت.

ليس هناك جحيم، ليست هناك جنَّة.

ومع ذلك، تراوده الآن فكرة أن أيَّ شيءٍ ممكن.

الآن يريد كلَّ شيء.

أُغلِق الملف وأضعه وسط كومة إخوته.

بيني وبينه فقط، يسألني وكيل الأعمال، هل احتمال أنني سأقتل نفسي بدوري قريبًا وارد؟

أنظر عبر كأس الجين والتونيك إلى الوجوه الغائرة لكلِّ من عرفتهم في ماضيَّ في صور الحكومة. بعد لحظاتٍ كهذه تصبح حياتك كلها كسبًا غير مشروع.

أخلِط لنفسي شرابًا جديدًا.

أُشعِل سيجارة جديدة.

حقًّا لم يعد لحياتي معنى أو هدف. أنا حُر... بالإضافة إلى كوني وريثًا لعشرين ألف فدَّان في وسط نبراسكا الآن.

ما أشعر به الآن لا يختلف في شيءٍ عمَّا شعرت به منذ عشرة أعوامٍ عندما ركبت سيَّارة الشُّرطة مع موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة. مرَّة أخرى أصبحت ضعيفًا، ومع كلِّ دقيقةٍ تمر أبتعد عن الخلاص وأقترب من المستقبَل.

أقتل نفسي؟

شكرًا، لكن لا، شكرًا.

دعنا لا نستعجِل أيَّ شيءٍ ها هنا.

- 30 -

أقضي النهار كله في إخبار رجال الشُّرطة بأنني تركت موظَّفة التحرِّيات الاجتماعيَّة حيَّة تُنظِّف القرميد المحيط بالمدفأة في غرفة المعيشة. المشكلة أن المدخنة لا تنفتح جيدًا فيخرج الدخَّان من الأمام، ومن أعمل لديهم يُفضِّلون حرق الخشب المبتل.

أقول للشرطة إنني بريء، إنني لم أقتل أحدًا.

طِبقًا لدفتر التنظيم اليومي، كان من المفترَض أن أقوم بتنظيف القرميد بالأمس.

هكذا مضى يومي حتى الآن.

أولًا تُمطِرني الشُّرطة بالأسئلة عن سبب قتلي لموظَّفة التحرِّيات الاجتماعيَّة، ثم يتَّصل بي وكيل الأعمال ليعِدني بالعالم.

فرتيليتي، فرتيليتي، فرتيليتي خارج الصورة. لنقُل فقط إنني غير مستريح للطريقة التي تكسب بها قوتها، كما أنني لا أُحبِّذ معرفة كلِّ ما ينتظرني من مصائب في المستقبَل.

هكذا أحبس نفسي في الحمَّام الأخضر بالطابق الأرضي وأحاول استيعاب كلِّ ما حدث.

أقول في شهادتي للشُّرطة إنني وجدت موظَّفة التحرِّيات الاجتماعيَّة مُلقاةً على وجهها، ميتةً، أمام المدفأة في غرفة المعيشة، وهي لا تزال ترتدي سروالها الكاپري الأسود وقد تجمَّع جزء منه حول مؤخِّرتها من جرَّاء الطريقة التي سقطت بها. قميصها الأبيض غير مزرَّر وقد شمَّرت

أكمامه حتى مِرفقيها. الغرفة تختنق بغاز الكلورين المميت وهي لا تزال تعتصر الإسفنجة بيدها البيضاء الميتة.

قبل ذلك دخلت المنزل متسلِّقًا نافذة القبو التي تركناها غير موصدةٍ كي أستطيع الدخول والخروج من دون أن يُزعِجني الإعلاميون المرابطون في الخارج بكاميراتهم وأكواب قهوتهم واهتمامهم العملي، كأنهم يتلقَّون أجرًا كافيًا لأن يجعلهم يُبالون حقًّا، وكأن هذا لا يحدث مع كلِّ قِصَّةٍ يقومون بتغطيتها كل يومين.

وهكذا ها أنا حبيس داخل الحمَّام، بينما يسألني رجال الشُّرطة على الجانب الآخر من الباب إن كنت أُفرِغ معدتي، ويقولون إن الرجل الذي أعمل لديه يتكلَّم على الهاتف ويصرخ فيهم سائلًا عن توجيهاتٍ لأكل أحد أنواع السَّلطة.

يسألني رجال الشُّرطة: هل تشاجرت مع موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة؟

انظروا إلى صفحة الأمس في دفتر التنظيم اليومي، أقول لهم، وستجدون أنه لم يكن هناك أيُّ وقتٍ للشِّجار.

من بداية العمل وحتى الثامنة صباحًا كان من المفترَض أن أقوم بتزييت مفصَّلات النوافذ. الدفتر مفتوح إلى جوار الهاتف على طاولة المطبخ، وكان من المفترَض أن أعيد طلاء زخرفة السقف.

من الثامنة وحتى العاشرة كنت أنظِّف بُقَع الزيت في ممر السيَّارات، ومن العاشرة وحتى موعد الغداء كنت أشذِّب سياج الأشجار في الحديقة، ومن بعد الغداء وحتى الثالثة كنت أمسح الشُّرُفات بالماء، ومن الثالثة وحتى الخامسة كنت أغيِّر المياه في المزهريَّات كلها، ومن الخامسة وحتى السابعة كان من المفترَض أن أنظِّف القرميد المحيط بالمدفأة.

حياتي كلها حتى آخر لحظةٍ منها كانت مُقيَّدة بجدول، ولقد تعبت وسئِمت من كلِّ هذا.

لو كان لله دفتر تنظيم يومي يعمل وفقه لكنت مجرَّد مهمَّة أخرى فيه. توقيت النهضة الإيطالية يأتي بعد العصور المظلمة مباشرةً.

كلُّ شيءٍ يحدث لسبب.

كلُّ نزعة وصيحة ومرحلة ودورة.

سِفر الجامعة، الإصحاح الخامس، الآية من كذا إلى كذا.

توقيت عصر المعلومات يأتي بعد الثورة الصناعيَّة مباشرةً، ثم حُقبة ما بعد الحداثة، ثم فرسان رؤيا يوحنا الأربعة. المجاعات وحدثت، الأوبئة وانتشرت، الحروب واندلعت، الموت وحَصَدَ الملايين. وبين الأحداث الكبيرة، بين الزلازل والموجات المدِّيَّة والأعاصير والسيول، قدَّر الله لي ظهورًا شرفيًّا. ثم بعد ثلاثين عامًا أو عامٍ واحد ينتهي دوري طِبقًا لدفتر التنظيم الكوني.

يسألني رجال الشُّرطة على الجانب الآخر من باب الحمَّام: هل ضربتها؟ هل سرقت ملفَّات عملائها ودليل الاضطرابات النَّفسيَّة؟ إن ملفاتها كلها ضائعة.

أقول لهم إنها كانت تشرب وتتعاطى أدوية للأمراض النَّفسيَّة وتخلط المُبيِّض بالأمونيا في أماكنٍ مغلقة بلا تهويةٍ كافية. لا أدري كيف كانت تقضي وقت فراغها، لكنها تكلَّمت عن مُواعدتها لتشكيلةٍ كبيرة من الفشلة.

وهذه الملفَّات كانت معها بالأمس.

آخر شيءٍ قلته لها إنه لا يمكن تنظيف القرميد من دون استخدام تكنيك السَّفع بالرمال أولًا، لكنها كانت متأكِّدة من أن حمض الهيدروكلوريك سيفي بالغرض. لقد أقسم أحد أصحابها على هذا. عندما دخلت المنزل عبر نافذة القبو هذا الصباح كانت قد فارقت الحياة، وقد أغرق حمض

الهيدروكلوريك وغاز الكلورين نصف الحائط القرميدي الذي ظلَّ متَّسِخًا رغم كلِّ شيء، والفارق الوحيد الآن أنها أصبحَت جزءًا من الفوضى.

بين سروالها الكاپري الأسود وجوربها الأبيض القصير أرى عضلات رَبْلَة ساقيها بيضاء ناعمة، بينما استحال كلُّ شيءٍ كان أحمر فيها من قبل إلى اللون الأزرق: شفتاها وبشرتها وحافة كلِّ جِفن.

الحقيقة أنني لم أقتل موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة، لكنني سعيدٌ لأن أحدهم فعلها.

لقد كانت هي رابِطي الوحيد بالسنوات العشر الأخيرة من حياتي، الشيء الأخير الذي يربطني بالماضي.

الحقيقة أنك من الممكن أن تتيتَّم مرَّة أخرى وأخرى وأخرى.

والحقيقة أن هذا سيحدث لك لا مناص.

السر أن الألم سوف يقل في كلِّ مرَّةٍ عن المرَّة السابقة إلى أن تكف عن الشعور بأيِّ شيء.

ثِق بي...

أول خاطر راودني، عندما رأيتها ميتةً بعد السنوات العشر التي قضيناها في الكلام من القلب كل أسبوع، أن ها هو ذا شيء آخر عليَّ تنظيفه.

يسألني رجال الشُّرطة عبر باب الحمَّام: لماذا أعددت دورقًا من الداكيري بالفراولة قبل أن أتصل بهم؟

لأن ما لدينا من توت نَفَدَ طبعًا!

لأنه -ألا يرون هذا؟- لا فارق حقًّا. الوقت ليس عاملًا ضروريًّا.

فكِّر في هذا على أنه تدريب عملي. فكِّر في حياتك على أنها دعابة مريضة.

بمَ تصف موظَّفة التحرِّيات الاجتماعيَّة التي تكره عملها وتفقد كلَّ عملائها؟

ميتة.

بمَ تصف موظف الشُّرطة الذي يضعها في حقيبة الموتى الجلديَّة الكبيرة؟

ميت.

بمَ تصف مذيعة التليفزيون الواقفة أمام الكاميرا في الفناء الأمامي؟

ميتة.

لا يهم. الدعابة الحقيقيَّة أن خاتمتنا كلنا واحدة.

ينتظر وكيل الأعمال على خطِّ الهاتف الأول، ومعه ما يبدو لي كمستقبَلٍ جديد تمامًا يعرضه عليَّ.

الرجل الذي أعمل لديه يصرخ على الهاتف أنه في غداء عمل في أحد المطاعم، لكنه يتَّصل بي من هاتفه المحمول من الحمَّام لأنه لا يعرف كيف يأكل سلطة جمار النخيل. كأن هذا يهم حقًا.

أصرخ فيه أنني مثله تمامًا.

أعني أنني مختبئ مثله في الحمَّام.

ثمَّة نوع من البهجة الخبيثة ينتابك عندما تعرف أن الشخص الوحيد الذي يعرف أسرارك كلها مات أخيرًا. والداك، طبيبك، معالِجك النَّفسي، موظَّفة التحرِّيات الاجتماعيَّة. الشمس خارج نافذة الحمَّام تحاول أن تُرينا كم نحن أغبياء كلنا. كل ما عليك فعله هو أن تنظر حولك.

يُعلِّمونك في مستعمرة مقاطعة الكنيسة ألا ترغب شيئًا، ألا تشتهي

شيئًا، أن تكون سيماؤك الاعتدال، أن تكون تصرُّفاتك ولغة جسدك متواضعة، أن تكون نبرة كلامك بسيطة هادئة.

فانظر إلى الأثر الرائع الذي أحدثته فلسفتهم.

هُم موتى. أنا حي. موظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة ميتة. الكل موتى.

انتهت مرافَعتي أيها السادة.

معي هنا في الحمام أمواس أقطع بها شراييني، يود أشربه، حبوب نوم أبتلعها. لديك الخيار. عِش أو مُت.

كل نَفَس تلتقطه اختيار، كل لحظة تمر اختبار.

تكون أو لا تكون.

كل مرَّة لا تُلقي فيها نفسك من أعلى السلالم لديك خيار، كل مرَّة لا تُحطِّم سيارتك وأنت داخلها تعيد الالتحاق بالحياة.

لو تركت وكيل الأعمال يجعلني شهيرًا كما يعِد، فلن يتغير شيء مهم حقًّا.

بمَ تصف الكِريدِشي الذي يُقدِّم برنامج التوك شو الخاص به؟

ميت.

بمَ تصف الكِريدِشي الذي يتنقَّل في سيارة ليموزين ويأكل اللحم المشوي؟

ميت.

أيًّا كان الاتجاه الذي أسلكه، فليس لديَّ ما أخسره فعلًا.

طِبقًا لدفتر التنظيم اليومي، من المفترَض أن أحرق بعض الزنك في المدفأة لتنظيف المدخنة من السُّخام.

تُراقِب الشمس خارج نافذة الحمَّام، رجال المعمل الجنائي وهُم

يضعون موظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة داخل حقيبة الجثث الجلديَّة المثبَّتة بمحفَّة يدفعونها إلى سيَّارة الإسعاف التي لا تدور أضواؤها.

لمدَّةٍ طويلة بعد أن وجدتُها، وقفتُ إلى جوار الجثَّة أرشف من الداكيري بالفراولة وأرمقها وهي مزرقَّة ووجهها إلى أسفل. ليس من الضروري أن تكون فرتيليتي هوليس كي تتوقَّع حدوث هذا. كان شعرها الأسود بارزًا من تحت الباندانا الحمراء المربوطة حول رأسها، ومن فمها سال خيط من اللُّعاب على الأرض، وبدا جسدها كله مغطًّى بالجِلد الميت.

كان يمكنك تخمين أن هذا سوف يحدث منذ البداية، وهو ما سيحدث لنا جميعًا ذات يوم.

لم يعد حُسن السلوك يصلح، وحان وقت الشَّغَب.

هكذا أعددت دورقًا آخر من الداكيري وطلبت رجال الشُّرطة قائلًا لهم ألا يُسرِعوا، فلا أحد هنا سيتحرَّك من مكانه.

ثم إنني اتَّصلت بوكيل الأعمال. الحقيقة أن هناك دائمًا من يُخبِرني بما أفعله، سواءً كان كبار الكنيسة أو من أعمل لديهم أو موظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة، ولا أطيق فكرة أن أكون وحدي. لا أحتمل أن أكون حُرَّ التَّصرُّف.

قال وكيل الأعمال أن أنتظر وأُدلي بشهادتي لرجال الشُّرطة، ولحظة أن أغادر سأجد الليموزين تنتظرني.

ما زالت مُلصَقاتي المطبوعة بالأبيض والأسود في كلِّ مكانٍ في المدينة تقول للناس: «أعطِ لنفسك، لحياتك، فرصة أخرى. اتصل بي للمساعدة». ثم رقم الهاتف.

حسن، كلُّ هؤلاء اليائسين أصبحوا وحدهم الآن.

قال وكيل الأعمال إن الليموزين سوف تصحَبني إلى المطار، ومن

هناك ستحملني طائرة إلى نيويورك سيتي، حيث بدأ فريق من أشخاصٍ لم ألتقِ بهم قَط، أناسٍ من نيويورك لا يعرفون شيئًا عني، في كتابة سيرتي الذاتيَّة بالفعل. قال وكيل الأعمال إنهم سيُرسِلون لي الفصول الستة الأولى بالفاكس في الليموزين كي أحفظ تفاصيل طفولتي عن ظهر قلب قبل أن تبدأ المقابلات.

قلت لوكيل الأعمال إنني أعرف تفاصيل طفولتي كلها بالفعل، فقال على الهاتف:

- «لكن هذه النُّسخة أفضل».

نُسخة؟

- «بل إن لدينا نُسخة أفضل وأفضل من أجل الفيلم. من تريده أن يكون أنت؟».

- أنا أريد أن أكون أنا.

- «أقصد الممثِّل الذي سيُجسِّد شخصيَّتك».

أقول له أن يتمهَّل. ها هي الشُّهرة تتحوَّل إلى قدرٍ أقل من الحرِّيَّة وأكثر من جدولٍ للقرارات وتكليفٍ بعد تكليفٍ بعد تكليف. ليس الشعور مُحبَّبًا، لكنه مألوف.

ثم دخل رجال الشُّرطة من الباب الأمامي، وحملوا موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة الميتة من غرفة المعيشة بعد أن التقطوا صورًا للجثَّة من مختلَف الزوايا وطلبوا مني أن أضع شرابي كي يسألونني عن الليلة السابقة. عند هذا حبست نفسي داخل الحمَّام وأُصِبت بما تُطلِق عليه مراجع علم النَّفس اسم الأزمة الوجوديَّة.

يتَّصل الرجل الذي أعمل لديه من حمَّام المطعم ليسألني عن سَلَطة جمار النخيل فيكتمل يومي تمامًا.

أعيش أم أموت؟

أخرج من الحمَّام وأمرّ برجال الشُّرطة في طريقي إلى الهاتف، وللرجل الذي أعمل لديه أقول أن يستخدم شوكة السَّلَطة. اغرس الشوكة في كلِّ قطعة وقد وضعت الأسنان إلى أسفل وارفعها إلى فمك وامتص ما بها من عُصارة، ثم ضعها في جيب صدر بذلتك الثمينة التي اشتريتها من بروكس براذرز.

يقول إنه فهم، وعندها ينتهي عملي في هذا المنزل إلى الأبد.

أمسك الهاتف بيد، وبيدي الأخرى أشير لأحد رجال الشُّرطة أن يضيف المزيد من الرَّم إلى الدُّفعة الجديدة من الداكيري.

يقول لي وكيل الأعمال ألا أزعج نفسي بحزم أيِّ أمتعة، فهناك في نيويورك مصمِّم أزياء بدأ في تصميم مجموعةٍ كاملةٍ من الملابس الرياضيَّة دينيَّة الطابع المصنوعة من القطن الخالص وتبدو في مظهرها مصنوعة من الخيش، يريدون مني أن أقوم بالدعاية لها.

تُذكِّرني الملابس بالأمتعة، فتُذكِّرني بالفنادق، فتُذكِّرني بالثُّريَّات، فتُذكِّرني بالكوارث، فتُذكِّرني بفرتيليتي هوليس. هي الشيء الوحيد الذي أتركه ورائي. وحدها فرتيليتي قد تعرف أيَّ شيءٍ عني، حتى إذا كانت لا تعرف الكثير. ربما تعرف مستقبَلي، لكنها لا تعرف ماضيَّ. لا أحد يعرف شيئًا عن ماضيَّ.

باستثناء آدم ربما...

هذان الاثنان يعرفان عن حياتي أكثر مني.

طِبقًا لدفتر التحرُّكات، يقول وكيل الأعمال، فإن السيَّارة ستصل خلال خمس دقائق.

لقد حان الوقت لمواصَلة الحياة.

أو حان لإعادة الالتحاق بالحياة بالأحرى.

من المفترَض أن تكون هناك نظَّارة شمس تنتظرني في الليموزين. أريد أن أكون خفيًّا لكن بارزًا. أريد مقاعد من الجِلد الأسود ونوافذ تحجب الرؤية من الخارج. أقول لوكيل الأعمال إنني أريد حشودًا في المطار تُردِّد اسمي. أريد المزيد من المشروبات. أريد مدرِّب رياضة بدنيَّة خاصًّا. أريد أن أفقد خمسة عشر رطلًا من وزني. أريد أن يكون شَعري أكثر كثافة. أريد أن يبدو أنفي أصغر. أريد أسنانًا منتظِمة لامعة، نونة ذقن، عظام وجنة مرتفعة. أريد مانيكيرًا، وأريد أن أكتسب سُمرة.

وأحاول أن أتذكَّر كلَّ شيءٍ آخر لا يروق لفرتيليتي في مظهري.

- 29 -

في مكانٍ ما فوق نبراسكا أتذكَّر أنني تركت سمكتي، ولا بُد أنها جائعة.

من تقاليد الكِريدِش أن يكون لكلٍّ منا شيء يعتني به، كلبًا كان أو قطة أو سمكة. في معظم الأحيان يكون سمكة، مجرَّد شيء يحتاجك في البيت عندما تعود ليلًا، شيء يجعلك لا تعيش وحيدًا تمامًا.

السَّمكة شيء يجعلني أستقر في مكانٍ واحد. طِبقًا لتعاليم الكنيسة، فهذا هو سبب زواج الرجال من النساء وإنجاب النساء للأطفال، أن يكون هناك شيء تعيش حياتك حوله.

هذا جنون، لكنك تستثمر مشاعرك كلها في هذه السَّمكة الذَّهبيَّة الصغيرة، وحتى بعد 640 سمكة لا يمكنك أن تترك ذلك الشيء الصغير المسكين يموت جوعًا.

أقول لمضيفة الطائرة إنني يجب أن أعود، أما هي فتقاوِم يدي التي أطبقَت على مِرفقها.

ليست الطائرة إلا صفوفًا كثيرة من أناسٍ جالسين ذاهبين في اتِّجاهٍ واحد بعيدًا عن الأرض، وذهابي إلى نيويورك يُشبِه في مخيِّلتي الذهاب إلى الجنَّة إلى حدٍّ كبير.

غير ممكن، تقول المضيفة. سيدي، لا يمكن أن تتوقَّف الطائرة في أيِّ مكان. سيدي، بعد أن نهبط ربما. سيدي، ربما لديك من تُبلِغه بما تريد أن تفعله.

لكن ليس هناك أحد.

لا أحد سيفهم.

لا مُشرف البناية.

ولا الشُّرطة.

تجذب المضيفة مِرفقها بعيدًا عني في عُنفٍ وترمقني بنظرةٍ ذات مغزى واضح، ثم تبتعد.

كل من يمكنني الاتِّصال بهم عداها موتى.

هكذا أتَّصل بالوحيدة التي يمكنها مساعَدتي، أتصل بآخر إنسانةٍ أريد أن أكلِّمها، وترد عليَّ بعد أول رنَّة.

يسألها عامل السنترال إذا كانت تقبل تحمُّل تكاليف المكالمة، وعلى بُعد مئات الأميال مني تقول له فرتيليتي أن نعم.

ألقيت عليها التحيَّة فردَّتها، ولم يبدُ صوتها مندِهشًا لاتِّصالي إلى هذا الحد.

تسألني:

- «لِمَ لمْ أجدك عند سرداب ترڤور اليوم؟ كان بيننا موعد».

أقول إنني نسيت. حياتي كلها نسيانٌ في نسيان. هذه المهارة الأكثر قيمة التي أملكها.

أقول إنها سمكتي التي ستموت إذا لم يُطعِمها أحد. قد لا يكون هذا مهمًّا بالنسبة لها، لكن هذه السَّمكة تعني لي العالم كله. حاليًّا هذه السَّمكة هي الشيء الوحيد الذي أبالي به، وعلى فرتيليتي أن تذهب إلى شقَّتي وتُطعِمها، أو الأفضل أن تأخذها معها.

- «سمكتك. نعم، بالتأكيد».

نعم. ويجب إطعامها بصورةٍ يوميَّة. عُلبة الطعام الذي يروق لها

موضوعة إلى جوار الحوض فوق الثلاجة، وها هو العنوان.

تقول:

- «استمتع بكونك قائدًا دينيًّا عالميًّا».

تتَّسع المسافة أكثر فأكثر بيننا إذ تحمِلني الطائرة شرقًا. الفصول الأولى من سيرتي الذاتيَّة موضوعة على المقعد المجاور لي، ودعني أقول لك إنها شيء صادم تمامًا.

أسألها: كيف عرفَتِ؟

تقول:

- «إنني أعرف أكثر مما تحسب بكثير».

مثل ماذا؟ ما الذي تعرفه أيضًا؟

تسألني:

- «وما الذي تخشى أن أكون أعرفه؟»

على الجانب الآخر من السِّتار تقول المضيفة:

- «إنه قَلِق على سمكة!».

تضحك امرأة أخرى وتقول:

- «أهو معتوه؟».

بقدر ما أقول لفرتيليتي، أقول لطاقم الطائرة أيضًا إنه يتصادف أنني النَّاجي الأخير من طائفة دينيَّة انقرضت تمامًا أو كادت، فتقول فرتيليتي:

- «كم هذا لطيف!».

وأقول إنني لا أستطيع أن أراها ثانيةً أبدًا.

- «نعم، نعم، نعم».

أقول إنهم يريدونني في نيويورك غدًا، إنهم يُخطِّطون لشيءٍ كبير.

وتقول فرتيليتي:

- «طبعًا».

أقول إنني آسف لأنني لن أرقص معها مرَّة أخرى.

فتقول فرتيليتي:

- «بل ستفعل».

بما أنها تعرف الكثير، أسألها، ما اسم سمكتي؟

- «رقم 641».

المعجزات تقع بالفعل. إنها على حَق.

- «لا تحاول أن تُخفي سرًّا عني، فمع كلِّ هذه الأحلام التي أراها كلَّ ليلةٍ، لم يعُد هناك ما يُفاجِئني».

- 28 -

بعد الدَّرجات الخمسين الأولى من السلالم، أجد أن أنفاسي ذاتها أصبحت عديمة القيمة ولا تظل داخل رئتيَّ كفايةً. قدماي تطيران ورائي، وقلبي يرتطم بالأضلاع التي يقبع خلفها في صدري، وفمي من الداخل ولساني ملتصقان معًا من فرط جفاف لعابي. مكاني الآن على واحدةٍ من ماكينات تسلُّق السلالم التي قام وكيل الأعمال بتركيبها، تلك الماكينات التي تجعلك تتسلَّق وتتسلَّق دون أن تصل إلى أيِّ مكان ودون أن تبتعد عن الأرض. إنك حبيس في غرفتك بالفندق، وهذه هي تجربة كوخ العَرَق[1] الروحانيَّة على طريقة هذا الزمان، الطريقة الوحيدة للمرور بتجربةٍ روحانيَّة على غرار الهنود الحُمر دون أن نحيد عن جدولنا اليومي.

هل كان لِد زِبِلِن يتخيَّل أن هناك سُلَّمًا كهربائيًا إلى الجنة؟!

في حدود الطابق الستين يجعل العَرَق قميصي يتهدَّل حتى ركبتيَّ، وأشعر بأن بطانة رئتيَّ مشدودة ناتئة على وشك التمزُّق. نعم، تمزُّق في الرئتين، تمامًا كما يبدو إطار السيَّارة قبل أن ينفجر مباشرةً. ذلك هو إحساسي برئتيَّ الآن. أذناي تُذكِّراني بالمدفأة الكهربائيَّة أو مُجفِّف الشَّعر عندما يحرق طبقة من الغبار. لا مزاح ها هنا.

لماذا أفعل كلَّ هذا؟ لأن وكيل الأعمال قال إن هناك ثلاثين رطلًا مني

---

(1) كوخ على شكل قبة مصنوع من المواد الطبيعية، يستخدمه هنود أمريكا الشمالية للقيام بحمام بخار كنوع من التطهر الروحي.

تحول بيني وبين الشُّهرة.

إذا كان جسدك معبدًا مقدَّسًا، فمن الوارِد أن تؤجِّل أعمال الصيانة المطلوبة له لمدَّةٍ طويلة، أما جسدي أنا فيحتاج إلى شركة مقاولات كاملة.

بشكلٍ ما كان يجب أن أتوقَّع هذا.

تمامًا كما يعيد كلُّ جيلٍ اختراع المسيح، فإن وكيل الأعمال يُخضِعني لعمليَّة التجديد الشاملة هذه ذاتها. يقول وكيل الأعمال إن أحدًا لا يمكنه أن يَعبُد أو يُبجِّل أحدًا بكلِّ هذه الشحوم في جسده، إنه في أيامنا هذه لن يملأ الناس ستادًا كاملًا ويتلقَّون العظات من أحدٍ غير جميل. لهذا السبب تجدني أجري إلى لا مكان بسرعة 700 سُعر حراري في الساعة.

في حدود الطابق الثمانين أشعر كأن مثانتي قد هبطت إلى ما بين فخذيَّ. عندما ترفع الغلاف البلاستيكي عن شيءٍ سخَّنته في الميكروويف ويلسع البخار أصابعك في جزءٍ من الثانية، فهذه هي درجة حرارة أنفاسي الآن.

تصعد إلى أعلى وأعلى وأعلى ولا تصل إلى أيِّ مكان. إنه مجرَّد وهم التقدُّم، ما تريد أن تعتقد أنه خلاصك.

ما ينساه الناس باستمرار أن الرحلة إلى اللا مكان تبدأ بخطوةٍ واحدةٍ أيضًا.

طبعًا لا تأتي إليك روح ذئب البراري العظمى كما تفعل مع الهنود الحُمر، لكن في حدود الطابق الحادي والثمانين تبدأ تلك الأفكار العشوائيَّة التي تتكوَّن في طبقة الأوزون العليا، التي لا بُد أنك بلغتها الآن، في التجمُّع في رأسك، وتبدأ الأشياء السخيفة في أن تصبح مفهومة معقولة كما أخبرك وكيل الأعمال. هذا بالضبط هو ما تشعر به وأنت تُنظِّف المشواة من بقايا جِلد الدجاج المحترقة مُستخدِمًا الأمونيا،

فعندها يصير كلُّ شيءٍ سخيف في العالم -القهوة منزوعة الكافيين، الكحول، البيرة المجّانيَّة، السلالم الكهربائيَّة- منطقيًّا تمامًا؛ ليس لأنك ازددت ذكاءً فجأة، بل لأن الجزء الذكي من مُخّك ينال قسطًا من النوم في الحقيقة. إنه ذلك النوع من الحِكمة الزائفة، ذلك النوع من التنوير الذي يمنحك إياه الطعام الصيني ثم تنساه تمامًا بعد عشر دقائق عندما يصفو ذهنك مرَّة أخرى.

هل تعرف تلك الأكياس البلاستيكيَّة الصغيرة للغاية التي يُقدِّمون لك فيها الفول السوداني المحمَّص على متن الطائرة؟ أشعر كأن رئتيَّ قد أصبحتا بذلك الحجم بالضبط الآن. بعد خمسة وثمانين طابقًا يصبح الهواء بهذه النُّدرة. ذراعاك تنبضان كالمضخَّة، وساقاك تتعطَّلان مع كلِّ خطوةٍ جديدة. عند هذه المرحلة يصبح كلُّ خاطرٍ ينتابك بالغ العُمق.

هل تعرف الفقاعات التي تتكوَّن في قِدرٍ من الماء قبل أن يبدأ في الغليان؟ هكذا يصيبك الفهم الشامل لكلِّ شيءٍ فجأةً.

في حدود الطابق التسعين يصبح كلُّ شيءٍ خُلاصة الحكمة ومنتهاها.

الأمثلة تذوب ذات اليمين وذات الشمال.

كلُّ شيءٍ تقليدي يستحيل إلى مجازٍ قوي.

المعنى الأعمق لكلِّ شيءٍ في الدُّنيا أمام عينيك مباشرةً.

وكلُّ شيءٍ له مغزى مهم.

كلُّ شيءٍ شديد العُمق.

كلُّ شيءٍ واقعي تمامًا.

كلُّ شيءٍ قاله لي وكيل الأعمال أصبح منطقيًّا تمامًا الآن. على سبيل المثال، لو كانوا قد وضعوا يسوع المسيح في السجن دون وجود أحدٍ يُشاهِده أثناء عذابه، أكان ليصبح السبب في خلاصنا؟

مع كامل احترامي طبعًا...

طِبقًا لوكيل الأعمال، فإن أكبر عاملٍ يجعل منك قدِّيسًا هو قَدر التغطية الإعلاميَّة التي تحظى بها يا عزيزي.

في حدود الطابق المئة يصبح كلُّ شيءٍ أوضح من أيِّ وقتٍ سابق— الكون كله، وليس هذا بسبب الإندورفين. ارتفِع عن الطابق المئة وسوف تدخل في حالةٍ صوفيَّة.

تمامًا كما تسقط شجرة في غابة ولا يسمعها أو يراها أحد، أدرِك أنه لو لم يكن هناك أحد ليشهد آلام المسيح، فهل كنا سننال الخلاص؟

سِرّ الخلاص هو قَدر الاهتمام الذي ينالك، قَدر شُهرتك وجمهورك وانتشارك، تعرُّف الجموع على اسمك، المتابَعة الإعلاميَّة الدائمة لك.

الضجَّة التي حولك.

في حدود الطابق المائة يُبعثِر العَرَق شعرك في كلِّ مكان، والميكانيكا المملَّة التي يعمل بها جسدك تتَّضح تمامًا. تمتص رئتاك الهواء لتضعاه في دمك، ويضخ قلبك الدم إلى عضلاتك، وأوتار الرُّكبة تُجاهد كي ترفع ساقيك، فتكافح عضلات الفخذين لتحريكهما إلى الأمام. يحمل الدم الهواء والطعام ليحترق داخل أيًّا كان اسمه الذي يوجد في منتصف كلِّ خلية من عضلاتك. ليس الهيكل العظمي إلا وسيلة تمنع أنسجتك من التساقُط على الأرض، وليس العَرَق إلا وسيلة لتبريدك.

تنهمر الحقائق عليك من كلِّ اتجاه.

في حدود الطابق المائة وخمسة تجد أنك لا تُصدِّق أنك عبد لهذا الجسم، هذا الطفل الكبير الذي عليك إطعامه ووضعه في الفِراش وإدخاله الحمَّام. لا تُصدِّق أننا لم نخترع شيئًا أفضل من هذا، شيئًا لا يحتاج إلى كلِّ هذا المجهود أو يستهلك كلَّ هذا الوقت.

تُدرِك أن الناس يتعاطون المخدَّرات لأنها المغامرة الشخصيَّة الحقيقيَّة الوحيدة التي تبقَّت في عالمنا، بكلِّ ما فيه من وقتٍ محدود وأنظمةٍ وقوانين عليك الالتزام بها وممتلكاتٍ مُحدَّدة لا يمكنك تجاوُزها.

فقط في المخدِّرات أو الموت يمكننا أن نرى شيئًا جديدًا، لكن الموت يجعل خياراتك محدودةً للغاية.

تُدرِك أن لا طائل من فِعل أيِّ شيءٍ ما لم يكن هناك من يُشاهِدك، وتتساءل: لو كان عدد الحضور محدودًا عند الصَّلْب، فهل كانوا سيؤجِّلون موعده؟

تُدرِك أن وكيل الأعمال كان على حق. إنك لا ترى أبدًا تمثالًا أو لوحة لصَلب المسيح دون أن يكون شبه عارٍ فيها. لا ترى أبدًا المسيح بدينًا، ولا ترى شَعرًا على جسمه. كلُّ لوحةٍ أو تمثالٍ تراه يكون المسيح عاري الجذع ويكاد يصلح لتسويق نوعٍ جديدٍ من الجينز أو العطور الرجاليَّة.

الحياة كما قال وكيل الأعمال بالضبط. تُدرِك أنه لو لم يكن هناك من يُشاهِدك، فلربما من الحري بك أن تعود إلى بيتك وتبقى هناك، تُداعِب نفسك، وتُشاهِد التليفزيون.

في حدود الطابق المائة وعشرة تُدرِك أنك لو لم تكن على شرائط الڤيديو، بل ويُشاهِدك العالم كله على الهواء مباشرةً أيضًا، فإنك غير موجود أصلًا.

إنك تلك الشجرة التي سقطت في غابة ولا يبالي بها أحد مقدار ذَرَّة.

لا يهم ما تفعله إطلاقًا، فطالما لا يُلاحِظك أحد سيكون حاصل حياتك صفرًا، لا شيء، عَدَمًا.

سواءً كانت زائفة أم لا، فتلك هي الحقائق الكُبرى التي تعتمِل بداخلك.

تُدرِك أن عدم ثقتنا بالمستقبَل تجعل التخلّي عن الماضي عسيرًا. لا يمكننا التخلّي عن مفهومنا عن أنفسنا. كلُّ واحدٍ من هؤلاء الكبار الذين يتظاهرون بأنهم علماء آثار في المعارض ويبحث كلٌّ منهم عن أثرٍ من طفولته -ألعاب ورقيَّة، سُلَّم وثعبان، كاندي لاند، تويستر- يشعر بالرُّعب. تصبح القمامة رفاتًا مقدَّسًا، ميستري ديت[1]، هولا هوب. إنها طريقتنا للشعور بالحنين إلى ما تخلَّصنا منه في سلَّة المهملات، وكلُّ هذا لأننا خائفون من التطوُّر، من النضوج، من التغيُّر وفقدان الوزن وتجديد أنفسنا. من التكيُّف.

هذا ما يقوله لي وكيل الأعمال وأنا أرتقي السلالم الكهربائيَّة، ويصرخ:

- «تكيَّف!».

كلُّ شيءٍ يتسارَع باستثنائي أنا وجسدي، بما فيه من برازٍ وشَعرٍ وشاماتٍ وأظفارٍ صفراء، وأُدرِك أنني لا أستطيع الفرار من جسدي أبدًا، وها هو يتداعى بالفعل. أشعر بعمودي الفقري كأنهم طرقوا عليه كالحديد الساخن، وذراعاي تتدلَّيان على جانبيَّ في تراخٍ.

بما أن التغيير عمليَّة دائمة لا تنتهي، فإنك تتساءل إن كان الناس يشتهون الموت لأنه الطريقة الوحيدة لإنهاء أيِّ شيءٍ تمامًا.

يصرخ وكيل الأعمال أنه مهما كان مظهرك رائعًا، فجسدك مجرَّد شيءٍ ترتديه وأنت تتسلَّم الأوسكار.

الغرض الوحيد من يدك أن تحمل بها جائزة نوبل.

شفتاك مخلوقتان فقط كي تَطبَع قُبلة في الهواء على وجه مذيعة التوك شو.

---

(1) لعبة أطفال لوحية، صُممت خصيصًا للفتيات تحت سن 14 سنة.

فما المانع إذن أن تبدو في صورة رائعة؟

في حدود الطابق المائة وعشرين تبدأ في الضحك. سوف تفقده على كلِّ حالٍ، جسدك هذا، بل إنك تفقده بالفعل، وهذا هو الوقت المناسب للرهان بكلِّ شيء.

لهذا السبب عندما يأتي إليك وكيل الأعمال حاملًا المُنشِّطات تقول نعم، وتقول نعم لجلستين متتاليتين لاكتساب السُّمرة. إزالة الشعر بالكهرباء؟ نعم. تقويم الأسنان؟ نعم. صنفرة البشرة؟ نعم. تقشير الجِلد بالكيماويَّات؟ نعم.

طِبقًا لوكيل الأعمال، فإن سر الشُّهرة هو أن تقول نعم لكلِّ شيء.

- 27 -

في السيَّارة التي أقلَّتني من المطار يُريني وكيل الأعمال علاجًا للسرطان اسمه كيموسولف. يقول إنه من المفترَض أن يُذيب الأورام، ويفتح حقيبته الجلديَّة ليُخرِج زجاجة دواء بُنيَّة بها كبسولات ذات لونٍ داكِن.

هذه وثبة قصيرة في الزمن إلى ما قبل تعرُّفي على ماكينة السلالم الكهربائيَّة، إلى لقائي الأول بوكيل الأعمال في الليلة التي أقلَّني فيها من المطار في نيويورك، قبل أن يقول لي إنني ما زلت أكثر بدانة من أن أكون شهيرًا، قبل أن أكون منتَجًا جديدًا يتم طرحه في الأسواق. كان الظلام سائِدًا عندما هبطت الطائرة في نيويورك، ولم أرَ أيَّ شيءٍ مبهرًا. إنه الليل نفسه والقمر نفسه الذي أعرفه، ووكيل الأعمال رجل عادي يرتدي نظّارة وله شَعر بُنِّي مفروق من الجانب، يقف ينتظرني حيث نزلت من الطائرة.

نتصافح وتتوقَّف سيَّارة عند الرصيف الخارجي للمطار ونركب في المقعد الخلفي. يرفع الطيَّة في كلِّ ساقٍ من سرواله بعض الشيء وهو يدخل السيَّارة، ويبدو لي كأنه مُفصَّل (وكيل الأعمال نفسه وليس السروال).

الحقيقة أنه يبدو مستديمًا قوي الاحتمال، ومجرَّد النظر إليه يُشعِرني بالذنب الذي أشعر به كلما ابتعت شيئًا من المستحيل إعادة تدويره.

يقول وهو يُناوِلني زجاجة بُنيَّة أخرى وأنا جالس إلى جواره على المقعد الخلفي:

- «هذا علاج آخر للسرطان اسمه أونكولوچيك».

هذه سيَّارة فارهة مبطَّنة كلها بالجلد الأسود الفاخر من الداخل، وحتى حركتها أخف من حركة الطائرة.

هناك المزيد من الكبسولات الداكنة داخل الزجاجة الثانية، وقد لُصِقت حول الزجاجة نفسها رُقعة كالتي تضعها الصيدليَّات على الأدوية.

يُخرِج وكيل الأعمال زجاجة ثالثة ويقول:

- «هذا أحد علاجاتنا للإيدز».

يُخرِج زجاجة بعد زجاجة.

«هذا علاجنا الرئيس للسُّل المقاوِم للمضادَّات الحيويَّة. هذا للتليُّف الكبدي. هذا للألزهايمر. اعتلال الأعصاب المحيطيَّة. الورم النقوي المتعدِّد. تصلُّب الأنسجة المتعدِّد. الڤيروسات الأنفيَّة».

يقول كلَّ هذا ويرُج كلَّ زجاجةٍ فتُخشخِش الحبوب بداخلها، ثم يُناوِلني إياها.

ڤيرال-سيت على واحدةٍ من الزجاجات.

ماليج-نون على زجاجةٍ أخرى.

سيريبرال-سيف.

كوليكاين.

كلمات بلا معنى...

كلها زجاجات بلاستيكيَّة صغيرة بُنيَّة اللون ذات حجم واحد وأغطية بيضاء مكبوسة تمنع الأطفال من فتحها، وكلها يحمل الرُّقعة نفسها من الصيدليَّة نفسها.

يأتيني وكيل الأعمال مغلَّفًا ببذلةٍ من الصوف الرمادي ومزوَّدًا بحقيبته الجِلديَّة فقط. لديه عينان بُنيَّتان وراء نظّارته، ولديه فم وأظفار يد نظيفة. لا شيء غير معتادٍ فيه باستثناء ما يقوله لي.

يرفع حفنتين أخريين من الزجاجات البُنِّيَّة من حقيبته ويرجُّها قائلًا:

- «جلبت كل هذه معي لأُثبِت نقطة».

مع كلِّ لحظةٍ تمر تذوب سيَّارتنا أكثر فأكثر في ظلام نيويورك سيتي، وحولنا تتحرَّك السيَّارات الأخرى والقمر بالسرعة نفسها، وأقول إنني مندهش من أن كلَّ تلك الأمراض لا يزال موجودًا في العالم رغم كلِّ تلك الأدوية، فيقول وكيل الأعمال:

- «من المؤسِف أن التكنولوچيا الطبيَّة لا تزال متأخرةً كثيرًا عن الجانب التسويقي. لقد رسمنا خرائط دعم المبيعات منذ سنوات، بما في ذلك مجَّات القهوة التي أعطيناها مجانًا للأطباء وإعلانات المجلات التي من المفترَض أن تمنحك شعورًا بالأمل، بالإضافة إلى خطط إطلاق المنتجات نفسها. المشكلة تكمن في النغمة التي تسمعها دائمًا في الخلفيَّة طوال الوقت، وأقصد بهذا عمليَّة البحث والتطوير التي لا تزال متخلِّفة بسنوات. قرود التجارب لا تزال تتساقط كالذُّباب في المعامل».

أسنانه المثاليَّة الناصعة تبدو كأنها مرصوصة في صَفَّين على يد جواهري.

حبوب الإيدز لا تختلف في شيءٍ عن حبوب السرطان لا تختلف في شيءٍ عن حبوب الالتهاب الكبدي الوبائي لا تختلف في شيءٍ عن حبوب السُّكَّري.

أسأله: هل لم تُخترَع هذه الأشياء إذن؟

- «دعنا لا نستخدِم كلمة "اختراع"، فهي تجعل كلَّ شيءٍ يوحي بالافتعال».

- لكنها ليست حقيقيَّة؟

يقول وهو يختطف أول زجاجتين من يدي:

- «بل حقيقيَّة بالطبع، ولها حقوق ملكيَّة كذلك. إن لدينا مخزونًا

من نحو خمسة عشر ألف اسمٍ موثَّق باسمنا لمنتجاتٍ لا تزال في مرحلة التطوير، وهذا يتضمَّنك بالمناسبة».

- أنا؟

- «هذه هي النقطة التي أريد أن أُثبِتها».

ويُطوِّرون علاجًا للسرطان؟

- «تعمل مؤسَّستنا على المفاهيم الجوهريَّة للتسويق بالإضافة إلى العلاقات العامَّة. مهمتنا هي خَلق المفهوم. إنك تحصل على براءة اختراع الدواء وتُسجِّل حقوق ملكيَّته باسمك، وبمجرَّد أن يقوم أحدهم بتطوير منتَجٍ ما فإنه يأتي إلينا، أحيانًا باختياره وأحيانًا رغمًا عنه».

أسأله: ولِمَ رغمًا عنه أحيانًا؟

- «لأننا نُسجِّل باسمنا حقوق الملكيَّة لكلِّ تشكيلةٍ يمكن تخيُّلها من الكلمات، كلمات يونانية أو لاتينية أو إنجليزية، أيّ لغة. هكذا تكون لدينا الحقوق القانونيَّة لكلِّ كلمةٍ، نتصوَّر أن شركات الأدوية يمكن أن تستخدمها لتسمية منتَجٍ جديد. للسُّكَّري وحده لدينا قائمة من مئة وأربعين اسمًا».

يُناوِلني مجموعة من الأوراق المدبَّسة معًا من حقيبته الموضوعة في حِجره.

جلوكو-كيور.

إنسولين-إيز.

پانكري-آيد، هيمازين، جلوكودان، جروديناس. أقلب الصفحة وتسقط الزجاجات من حِجري وتتدحرج على أرضيَّة السيَّارة فتُخشخِش الحبوب بداخلها.

- «أيًّا كانت شركة الأدوية التي ستعالج السُّكَّري وتريد أن تستخدِم أيَّ تشكيلةٍ من الكلمات التي لها علاقة بالمرض ولو من بعيد، فعليهم استئجار حق استخدام تلك الكلمة منا».

أقول له إن هذه الحبوب حبوب سُكَّر إذن. أفتح واحدةً من الزجاجات وآخذ منها حبة لامعة ذات لونٍ أحمر داكن وأرجُّها في راحة يدي، ثم ألعقها فأجدها شوكولاتة مغلَّفة بالحلوى. هناك حبوب أخرى مصنوعة من الچيلاتين وبداخلها سُكَّر ناعم.

إنها نماذج، يقول، عيِّنات.

- «النقطة التي أريد إثباتها أن كلَّ ذرَّةٍ من مسيرتك المهنيَّة معنا مُخطَّطة بالفعل وفي مكانها، كما أننا نتنبَّأ بوصولك منذ أكثر من خمسة عشر عامًا. أقول لك هذا كي تسترخي وتدع عنك القلق».

لكن كارثة الكنيسة الكِريدِشِيَّة كانت منذ عشرة أعوامٍ فقط.

وأضع حبَّة برتقاليَّة من الجريامازون في فمي.

- «كنا نتتبَّعك. بمجرَّد أن قلَّ عدد النَّاجين من الكِريدِش عن المئة بدأنا الحملة. هذا العد التنازلي في مختلَف وسائل الإعلام طوال الشهور الستة الماضية نحن المسؤولون عنه، لكنه كان بحاجةٍ إلى بعض التعديل فقط. لم يكن شيئًا محدَّدًا في البداية، بل هي مجرَّد عملية إحلال وتبديل بسيطة، ملء للفراغات، لكن كلَّ شيءٍ كان جاهزًا بالفعل. ما كان ينقصنا هو شخص واحد واسم النَّاجي الأخير، ومن هنا تدخل أنت الصورة».

أُخرِج دستتين من الإنزانا من زجاجةٍ أخرى وأضع الحبوب تحت لساني إلى أن يذوب غلافها الأسود المصنوع من الحلوى، ثم تذوب الشوكولاتة في فمي.

يُخرِج وكيل الأعمال من حقيبته المزيد من الأوراق المطبوعة ويُناوِلني إياها.

فورد ميريت.

ميركري راپشر.

دودچ ڤيجنت.

- «معنا حقوق ملكيَّة أسماء سيَّارات لم تُصمَّم بعد، برامج كومبيوتر لم تُكتَب كوداتها، علاجات إعجازيَّة لأمراضٍ لا تزال لائحة في الأفق من بعيد، كل منتَج يمكننا توقُّعه».

تسحق أسناني جرعة زائدة حُلوة من حبوب الدونادون الزرقاء.

يرمقني وكيل الأعمال ويتنهَّد قائلًا:

- «بالمناسبة، كفاك سعرات حرارية عديمة الجدوى. إن مهمَّتنا الأولى هي العمل على تعديل شكلك كي تكون صالحًا للحملة. أهذا لون شعرك الحقيقي؟».

أحشو فمي بمليون ملليجرام من الچودازون.

- «لا أريد أن أكون وقحًا، لكن وزنك أثقل بثلاثين رطلًا تقريبًا مما نريدك».

يمكنني أن أفهم مسألة الحبوب الزائفة، لكن ما لا أفهمه هو كيف تُخطِّط لحملةٍ كاملةٍ عن شيءٍ ما قبل أن يحدُث. من غير الممكن أن يكون قد خطَّط للحملة قبل الخلاص.

يخلع وكيل الأعمال نظّارته ويطويها ويضعها في حقيبته، ثم يأخذ مني قوائم المنتَجات المعجزة التي سوف يشهدها المستقبَل القريب أو البعيد ويضعها في الحقيبة بدورها. ينتزع زجاجات الكبسولات من يدي انتزاعًا وقد فرغت كلها.

يقول:

- «الحقيقة أن لا شيء جديدًا يحدث أبدًا».

يقول:

- «لقد رأينا كلَّ شيء».

يقول:

- «أصغِ إليَّ جيدًا».

في سنة 1653 غيَّرت الكنيسة الروسية الأرثوذوكسيَّة بعض الطُّقوس الدينيَّة القديمة، مجرَّد تغييراتٍ طفيفة، مجرَّد كلمات، وباللغة الروسية بحقِّ السماء! كان هناك أسقف اسمه نيكون هو من قدَّم هذه التغييرات، بالإضافة إلى بعض السلوكيَّات الغربيَّة التي كانت قد صارت ذائعةً في البلاط القيصري وقتها، إلى المجتمع الروسي. ثم بدأ الأسقف في تطبيق الحرمان الكنسي على كلٍّ من تمرَّد على تلك التغييرات الجديدة.

يمد يده في ظلام السيَّارة عند قدمي ليلتقِط بقيَّة الزجاجات.

طِبقًا لوكيل الأعمال، فإن الرُّهبان الذين لم يرغبوا في تغيير الطريقة التي اعتادوا العبادة بها لاذوا بالفرار إلى أديرةٍ في أماكنٍ قَصِيَّة، لكن السُّلُطات الروسية طاردتهم ونكَّلت بهم، ومع حلول عام 1665 كانت مجموعات صغيرة من الرُّهبان قد بدأت في إحراق نفسها حتى الموت، واستمرَّت حالات الانتحار الجماعي هذه في شمال أوروبا وسيبيريا خلال سبعينات القرن السابع عشر. في عام 1687 استولت مجموعة من ألفين وسبعمئة راهب على أحد الأديرة، وحبس هؤلاء أنفسهم داخله وأضرموا فيه وفي أنفسهم النيران، وفي عام 1688 أحرق ألف وخمسمئة من المؤمنين القُدامى أنفسهم أحياء في ديرهم المُغلَق. مع نهاية القرن السابع عشر كان نحو عشرين ألف راهب قد قتلوا أنفسهم بدلًا من الخضوع للحكومة.

يُغلِق وكيل الأعمال حقيبته الجِلديَّة ويميل إلى الأمام على نحوٍ يشي بخطورة ما يقول.

- «واصَل هؤلاء الرُّهبان الروس قتل أنفسهم حتى عام 1897. هل يبدو هذا مألوفًا؟».

لديك شمشون في العهد القديم، يقول، ولديك الجنود اليهود الذين قتلوا أنفسهم في قلعة مسعدة، والهارا كيري لدى اليابانيين، والساتي بين الهندوس، والإندورا بين الكاثار في جنوب فرنسا خلال القرن الثاني

عشر. ظلَّ وكيل الأعمال يعد طائفةً بعد طائفةٍ على أطراف أصابعه. هناك الرواقيون، وهناك الإبيقوريون، وهناك قبائل هنود الجويانا الذين قتلوا أنفسهم كي يولَدوا من جديد كرجالٍ بيض.

- «في العصر الحديث لديك مأساة الانتحار الجماعي لأتباع معبد الشعب في 1978 التي خلَّفت أكثر من تسعمائة من الموتى».

وخلَّفت كارثة الفرقة الداووديَّة في العام 1993 ستًّا وسبعين جثة.

وتسبَّبت كارثة الانتحار والقتل الجماعي لجماعة المعبد الشمسي في عام 1994 في مصرع ثلاثة وخمسين شخصًا.

وأتى انتحار طائفة بوَّابة الفردوس في عام 1997 على حياة تسعة وثلاثين.

- «ليس انتحار الكِريدِش إلا غيضًا من فيض. كان مجرَّد انتحار جماعي متوقَّع في عالمٍ مليء بالجماعات المُنْشَقَّة التي تترنح في الحياة إلى أن تحين لحظة المواجَهة. ربما كان قائدهم على وشك الموت كما في حالة بوَّابة الفردوس، أو ربما تحرَّشت بهم الحكومة كما في حالة الرُّهبان الروس أو معبد الشعب أو كنيستكم الكِريدِشِيَّة».

يقول:

- «الحقيقة أن كلَّ هذا يثير الملل إلى أقصى حد. إنك تتوقَّع المستقبَل بناءً على الماضي. يجدر بنا أن نفتح فرعًا للتأمين في مؤسَّستنا في الحقيقة، لكن على كلِّ حالٍ مهمَّتنا هي أن نجعل انتحار الطوائف الدينيَّة يبدو شيئًا جديدًا مثيرًا في كلِّ مرَّة».

بعد أن عرفتُ فرتيليتي، أتساءل إن كنت الشخص الوحيد في العالم الذي لا يزال يندهش من أيِّ شيء. إن فرتيليتي وأحلامها بالكوارث، وهذا الرجل بذقنه الحليقة ودائرة التاريخ المغلَقة التي يحملها معه، كفولةٍ قُسمت إلى نصفين مملَّين!

- «الواقع يقول إنك تعيش إلى أن تموت، والحقيقة الحقيقيَّة أن لا أحد يريد الواقع».

يُغلِق وكيل الأعمال عينيه ويضغط كفه المفتوحة على جبهته ويواصل:

- «الحقيقة أن لا شيء مميَّزًا على الإطلاق في حادث الكنيسة الكِريدِشِيَّة. لقد أسَّسَتها جماعة مُنْشَقَّة من الميلريت سنة 1860 خلال الصحوة الكُبرى، أي في الفترة التي شهدت فيها كاليفورنيا وحدها أكثر من خمسين ديانة مُنْشَقَّة كوَّن كلٌّ منها مدينته الفاضلة الخاصَّة».

ويفتح عينيه ويشير إليَّ مستطرِدًا:

- «لديك حيوان أليف ما، قطة أو طائر أو سمكة، أليس كذلك؟».

أسأله: كيف يعرف بأمر سمكتي؟

- «ليس من الضروري أن يكون هذا صحيحًا، لكنه مُحتمَل. لقد منح الكِريدِش مُبشِّريهم العاملين ما عُرف باسم امتياز التميمة -أي الحق في اقتناء حيوانٍ أليف- سنة 1939. كان هذا العام نفسه التي سرقت فيه واحدة من بناتكم اللاتي يُدعَين بيدي طفلًا من العائلة التي كانت تعمل لديها. لقد وجدوا أن اقتناء حيوانٍ أليف يُعوِّضك عن الحاجة إلى رعاية الأطفال لأن زواجكم ممنوع».

-واحدة من البنات سرقت طفلًا؟

- «في برمنجهام، ألاباما. بالطبع قتلت نفسها لحظة أن عثروا عليها».

أسأله عن المعلومات الأخرى التي لديه.

- «لديك مشكلة مع الاستمناء».

أقول إنه من السهل عليه أن يعرف هذا، فهو مذكور في ملفِّي لدى برنامج الحفاظ على النَّاجين.

- «لا، فلحُسن حظنا أن جميع ملفَّات العملاء التي كانت مع موظَّفة التحريِّات الاجتماعيَّة التي تولَّت حالتك مفقودة. لن يكون هناك مجال

لتكذيب أيٍّ شيءٍ نقوله عنك. وقبل أن أنسى، لقد اقتطعنا ستة أعوام من حياتك. إذا سألك أحد، فأنت في السابعة والعشرين من عُمرك».

كيف إذن يعرف الكثير عن... عني؟

- «عن مشكلتك مع الاستمناء؟ يبدو أنكم كلكم تعانون من المشكلة نفسها أيها المُبشِّرون العاملون».

آهٍ لو يعلم! في مكانٍ ما في ملفِّي الضائع سجلات عن كوني مولعًا بكشف عورتي، عن كوني أعاني من الاضطراب ثنائي القُطب ورهاب الجراثيم والولع بالسرقة من المحال... إلخ. في مكانٍ ما في الليل وراءنا تأخذ موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة أسراري معها إلى القبر، وفي مكانٍ ما في العالم ورائي هناك أخي.

بما أنه خبير كبير هكذا، أسأل وكيل الأعمال إن كانت هناك حالات قتلٍ لأناسٍ كان من المفترَض أن ينتحروا ولم يفعلوا. في تلك الديانات الأخرى، هل أخذ أحدهم يقتل النَّاجين؟

- «في حالة معبد الشعب كانت هناك حفنة من النَّاجين الذين قُتِلوا دون تفسير، وفي حالة جماعة المعبد الشمسي كذلك. دعني أقول لك إن متاعب الحكومة الكندية مع جماعة المعبد الشمسي هي التي دفعت الحكومة الأمريكية لبدء البرنامج الفدرالي للحفاظ على النَّاجين، بعد أن ظلَّت مجموعات صغيرة من النَّاجين الفرنسيين والكنديين تقتل بعضها البعض لسنواتٍ بعد الكارثة الأصليَّة. أطلقوا على جرائم القتل هذه اسم الرحيل. أتباع المعبد الشمسي هؤلاء أحرقوا أنفسهم أحياء بالجازولين ومتفجِّرات البروپان التي اعتقدوا أنها ستقذفهم إلى الحياة الأبديَّة على النجم سيريوس!».

ويشير إلى السماء ويضيف:

- «مقارنةً بهذا، كانت فوضى الكِريدِش محكومة إلى حدٍّ كبير».

أسأله: هل توقَّع شيئًا عن ناجٍ يطارد الكِريدِش المتبقِّين ويقتلهم؟

- «ناجٍ آخر غيرك؟».

- نعم.

- «يقتل الناس؟».

- نعم.

يتطلَّع خارج السيَّارة إلى أضواء ليل نيويورك ويُغَمغِم:

- «كِريدِشي قاتل؟ ربَّاه! كم لا أتمنى هذا حقًّا!».

أنظر إلى الأضواء نفسها من وراء الزجاج الداكن، أنظر إلى النجم سيريوس، أنظر إلى ما وراء انعكاس وجهي الملطَّخ بالشوكولاتة وأقول: نعم، وأنا أيضًا.

- «إن حملتنا كلها قائمة على حقيقة أنك النَّاجي الأخير. إذا كان هناك كِريدِشي آخر على قيد الحياة في أيِّ مكانٍ في العالم، فأنت تُضيِّع وقتنا ولا مكان للحملة إلا في مواسير المجاري. إذا لم تكن الكِريدِشي الوحيد الحي في العالم كله فأنت بلا قيمة لدينا».

ويفتح حقيبته ويُخرِج زجاجة بُنِّيَّة أخرى يناولني إياها ويقول:

- «هاك. خُذ حبَّتين من السيرينادون. إنه أفضل مضاد للقلق تم اختراعه على الإطلاق».

كل ما هنالك أنه غير موجود حقًّا بعد.

ويضع الحبَّتين في راحتي ويقول:

- «تظاهَر بأنه موجود على سبيل تأثير البلاسيبو».

سوف يقول الناس فيما بعد إن المنشِّطات هي التي أصابتني بالجنون.

الدوراتستون 250.

حبوب المايفپرستون للإجهاض من فرنسا.

البلليناستريل من سويسرا.

الماستيرون من البرتغال.

هذه هي المنشِّطات الحقيقيَّة، وليست أسماء الأدوية ذات حقوق الملكيَّة التي سيتم اختراعها مستقبلًا.

هذه هي المنشِّطات التي تُحقن وتُبتَلَع وتُلصَق على الجِلد.

- 26 -

سيقولون بكلِّ ثقةٍ إن المنشِّطات هي ما حوَّلتني إلى هذا المجنون خاطِف الطائرات الذي يُحلِّق حول العالم إلى أن يقتل نفسه. كأن الناس يعرفون أيَّ شيءٍ عن كون المرء قائدًا دينيًّا شهيرًا مُحتفًى به في كلِّ مكان. كأن أحداً منهم لا يبحث في كلِّ مكانٍ بالفعل عن معلِّم روحي جديد يجعله يفهم المراد من حياته المملّة الخالية من الإثارة، بينما يجلس على مؤخِّرته يشاهد التليفزيون ويُصدر عليَّ أحكامه. الناس كلهم يبحثون عن ذلك، عن يدٍ تمتد إليهم وتُرشِدهم، عن الطمأنينة والوعد بأن كلَّ شيءٍ سيكون على ما يرام. هذا هو كلُّ ما أرادوه مني أنا المُنهَك اليائِس المشهور، أنا الذي لا تخِفّ عنه الضغوط أبدًا. لا أحد من هؤلاء الناس يعرف شيئًا واحدًا عن كون المرء مثلًا أعلى كبيرًا ساحِرًا يخلب ألباب الجماهير.

في حدود الطابق المائة وثلاثين على ماكينة التسلُّق إياها تبدأ في الهذيان والثرثرة بلُغاتٍ لا تعرفها.

لا أحد -باستثناء فرتيليتي ربما- يعرف قدر المجهود الذي بذلته ليل نهار كي أصبح أنا، الذي صرته الآن.

تخيَّل شعورك لو تحوَّلَت حياتك كلها إلى وظيفةٍ لا تطيقها.

لا، الجميع يعتقدون أن حياتهم يجب أن تكون كلها بنفس متعة الاستمناء على أقل تقدير.

أود أن أرى هؤلاء يحاولون، ولو مرَّة، الحياة في غُرَف الفنادق والعثور على وجبةٍ منخفضة الدُّهون والتظاهُر على نحوٍ قد لا يُقنع أحدًا ببلوغ أعماق السلام الداخلي والتوحُّد مع الله.

عندما تصبح شهيرًا لا يعود العشاء طعامًا، بل يضحِي عشرين أوقيَّة من البروتين وعشرًا من الكربوهيدرات ووقودًا خاليًا من الملح والسُّكَّر والدُّهون. هناك وجبة كل ساعتين ست مرَّاتٍ في اليوم. لم يعُد الأكل يعني الأكل، بل توزيع البروتين على الجسم وتجديد الخلايا. الاغتسال يعني تقشير البشرة، والتنفس أصبح تجديد الهواء.

سأكون أول من يُهنِّئك إذا أبليت بلاءً أحسن مني في تقديم صورةٍ من الجمال الخالِص وإعطاء رسائل مُلهِمة مُبهَمة:

- اهدؤوا، فليتنفَّس الجميع بعُمق، الحياة حلوة، كُن عادلًا طيِّبًا، كُن الحب نفسه.

هراء في هراء!

في معظم المناسَبات كانت تلك الرسائل الداخليَّة العميقة والمعتقدَات تصلني من فريق الكتابة قبل ثلاثين ثانية من صعودي على خشبة المسرح، وكان هذا هو الغرض الوحيد من الدعاء الافتتاحي الصامت، إذ يُعطيني بعض الوقت الذي أخفض بصري فيه إلى المنصَّة وأقرأ النَّص المكتوب لي.

تمر خمس دقائق، عشر دقائق، والـ400 ملليجرام من الديكا-ديورابولين وسيبيونات التستوستيرون التي تعاطيتها في الكواليس صارت عبارةً عن كرةٍ صغيرة محشورة في مؤخرتك. الخمسة عشر ألف مؤمن -الذين لم يدخلوا مجَّانًا- راكعون أمامك برؤوس محنيَّة، وتشعر بدخول هذه الكيماويَّات في مجرى دمك كأنه عويل سيَّارة إسعاف في شارعٍ صامت.

العباءة ذات الطابع الديني التي بدأت ارتداءها على المسرح الغرض منها إخفاء الانتصاب الذي يدوم معك بسببٍ واحدٍ أو أكثر من الأشياء التي تتعاطاها.

تمر خمس عشرة دقيقة وما زالوا جاثين.

عندما تصبح مستعدًّا عليك فقط أن تقول الكلمة السِّحريَّة.

آمين.

ويبدأ العرض...

- «أنتم أبناء السلام في كونٍ من الحياة الأبديَّة وفيضٌ من الحب والاستقامة، إلخ... إلخ... إلخ... اذهبوا في سلام».

لا أدري من أين يأتي فريق الكتابة بهذه الأشياء.

دعنا لا نذكُر المعجزات التي قُمت بها على شاشة التليفزيون الوطني. معجزتي الصغيرة التي أدَّيتها بين الشوطين في نهائي دوري كرة القدم، كل الكوارث التي تنبَّأت بها، كل الأرواح التي أنقذتها.

تعرف القول القديم إياه: ليست المسألة مسألة ما تعرفه، بل من تعرفهم.

يتصوَّر الناس أنه من البساطة أن يكون المرء أنا، فيظهر أمام الناس في ستادٍ ممتلئ عن آخره ويؤمهم في الدعاء، ثم يستقل نفَّاثة متجهة إلى الستاد التالي قبل نهاية الساعة، محافِظًا طوال الوقت على مظهرٍ صحيٍّ لامع. كلا، لكنهم سيتهمونك بالجنون رغم ذلك لأنك اختطفت طائرة. الناس لا يعرفون شيئًا عن الألق والنشاط والصِّحَّة.

دعهم يحاولون العثور على قطعٍ كافيةٍ مني تصلح للتشريح. ليس من شأن أحدٍ أن وظائف الكبد لديَّ تالفة أو أن طحالي ومرارتي متضخِّمان بسبب آثار هرمونات النمو، كأن أحدًا منهم سيرفض أن يُحقَن بأيِّ شيءٍ امتصوه من الغدة النخاميَّة لجثَّة خنزيرٍ ميت إذا حسب أنه سيجعله يبدو رائعًا مثلما كنت على شاشات التليفزيون.

من مَخاطر الشُّهرة أنك يجب أن تتعاطى ليڤوثايروكسين الصوديوم كي تظل نحيفًا. صحيحٌ أن هذا يتضمَّن التأثير السلبي على جهازك العصبي المركزي، بالإضافة إلى الأرق والتدهور في عملية الأيض

وسرعة نبضات القلب والعَرَق المفرط والشعور بالعصبيَّة طوال الوقت، إلا أنك تبدو في أبهى صورة.

تذكَّر فقط أن قلبك لا ينبض إلا كي تكون ضيفًا دائمًا على مائدة العشاء في البيت الأبيض.

جهازك العصبي المركزي ليس موجودًا إلا كي تُخاطِب الجمعيَّة العامَّة للأمم المتحدة.

الأمفيتامينات هي أكثر دواء أمريكي الطابع في العالم. تجعلك تُنجِز الكثير وتحافِظ على مظهرك المتألِّق وتصبحُ النجاح مجسَّدًا.

يصرخ وكيل الأعمال:

- «جسمك كله مجرَّد مانيكان لعرض الملابس الرياضيَّة التي تحمل اسمك!».

تمنع غدتك الدرقيَّة الإفراز الطبيعي للثايروكسين في جسمك، لكنك لا تزال تبدو رائعًا، وأنت كذلك بالفعل. أنت الحُلم الأمريكي، أنت الاقتصاد ثابت النمو.

طِبقًا لوكيل الأعمال، فالناس يبحثون عن قائدٍ نابضٍ بالحياة، لا يكل ولا يمل. لا أحد يريد إلهًا ضئيل الحجم نحيفًا. يريدون صدرًا عريضًا وخصرًا نحيلًا، منكبين كبيرين، ساقين طويلتين، ذقنًا ذات نونة.

يريدون ما هو أعلى من البشر.

يريدون ما هو أكبر من الحياة.

لا أحد يريد الذي تشريحه الجسدي متناسِق فحسب.

الناس يريدون المُحسَّن، المُزوَّد، المُطوَّر، المزروع بالسيليكون، المحقون بالكولاچين.

بالمناسبة، بعد دورتي الأولى التي دامت ثلاثة شهور من تعاطي الديكا-ديورابولين لم أعد أستطيع الانحناء لعقد رباط حذائي لأن

ذراعيَّ صارتا بذلك الحجم الكبير فعلًا. قال وكيل الأعمال إنها ليست مشكلة، وعيَّن شخصًا لربط أحذيتي.

بعد تعاطي الميتاهاپوكتيهوسيش الروسي الصُّنع لمدة سبعة عشر أسبوعًا سقط شَعري كله، فأحضر لي وكيل الأعمال شَعرًا مستعارًا.

يقول وكيل الأعمال:

- «يجب أن تتنازل قليلًا في هذه النقطة. لا أحد يريد أن يعبد إلهًا يربط حذاءه بنفسه».

لا أحد سيريد أن يعبدك إذا كنت تعاني من المشاكل نفسها، والأنفاس الكريهة نفسها، والأظفار الطويلة نفسها التي يعاني منها أيُّ شخصٍ تقليدي. يجب أن تكون كلَّ ما لا يستطيع العاديُّون أن يكونوه. يجب أن تقطع الشوط إلى آخره حيث فشلوا، أن تكون ما يخافون أن يكونوه، أن تكون محطَّ إعجابهم.

من يتسوَّقون بحثًا عن مُخلِّص يريدون الجودة، ولا أحد سيتبع أحدًا فاشلًا. عندما يتعلَّق الأمر باختيار مُنقِذ فلا أحد سيرضى بمجرَّد إنسانٍ تقليدي.

- «الشَّعر المستعار أفضل لك، فهو يتمتَّع بمستوى الكمال الثابت الذي يمكننا الاعتماد عليه. لا يمكنك التحكُّم في جودة الشَّعر الحقيقي وأنت تخرج من الهليكوپتر أو من الحمَّام بعد أن تغتسل. يجب أن يبدو شَعرك بالمستوى نفسه في كلِّ لحظةٍ تقضيها بين الجموع».

شَرَحَ لي وكيل الأعمال خطَّتهم التي تلخَّصت في أننا لا نستهدِف أذكى الناس في العالم، بل أكثرهم عددًا فحسب.

- «فكِّر في نفسك من الآن فصاعدًا على أنك دايت كولا. فكِّر في كلِّ أولئك الشباب في كلِّ أنحاء العالم الذين يعانون مع الديانات التي عفى عليها الدَّهر أو مع عدم وجود ديانات على الإطلاق. اعتبرهم سوقك المستهدَفة».

يبحث الناس عن وسيلةٍ تجعل لحياتهم معنى، يريدون نظريَّة موحَّدة

تجمع بين الجاذبيَّة والقداسة والموضة والرَّوحانيَّة، يحتاجون إلى توفيقٍ بين كونهم صالحين ومتألِّقين في آنٍ واحد.

يمر يومٌ بعد يومٍ من دون طعامٍ صَلب وبساعاتٍ محدودةٍ من النوم وتسلُّق آلاف السلالم ووكيل الأعمال يصرخ أفكاره في وجهي مرارًا وتكرارًا، وأجد أن كلَّ هذا منطقي تمامًا.

كان الفريق الموسيقي مشغولًا بكتابة الترانيم قبل أن أوقِّع العقد حتى، بينما يُنجِز فريق الكتابة سيرتي الذاتيَّة، ويتولَّى الفريق الإعلامي كتابة البياناتِ الصحافيَّة وإبرام اتفاقيَّات البضائع التي ستحمل اسمي وعروض التزلُّج. مأساة الكنيسة الكِرِيدِشِيَّة على الجليد، توصيل القنوات الفضائيَّة، مواعيد جلسات اكتساب السُّمرة. يتولَّى فريق التصوير التحكُّم في صورتي من الناحية الإبداعيَّة، ويتحكَّم فريق الكتابة في كلِّ كلمةٍ تخرُج من فمي.

لتغطية حَب الشباب الذي أُصِبت به من فرط استخدام اللورابولين بدأت في وضع الماكياج، ولعلاجه أعطاني واحد من العاملين في الفريق المساعد كِريمًا اسمه ريتين-إيه.

لعلاج تساقُط الشَّعر أعطوني دواءً يُرَش اسمه روجاين.

كلُّ شيءٍ فعلناه لعلاجي كانت له آثار جانبيَّة يجب علاجها، ما يؤدِّي إلى آثارٍ جانبيَّة أخرى يجب علاجها بدورها، وهكذا دواليك.

تخيَّل حكاية خرافيَّة ينظر فيها البطل في المرآة فيجد شخصًا غريبًا تمامًا ينظر إليه بدلًا من انعكاسه. كلُّ كلمةٍ يقولها كتبها له فريق من المحترفين. كل شيءٍ يرتديه اختاره أو صمَّمه فريق من المصمِّمين.

كلُّ دقيقةٍ من كل يومٍ خطَّطتها وكيلة الدعاية.

كما أن بطلك هذا يتعاطى أدوية لا يمكنك شراءها إلا من السويد أو المكسيك، إلى أن يعجز عن رؤية أيِّ شيءٍ أبعد من صدره المنتفِخ. إنه

أسمر حليق يضع شَعرًا مستعارًا ويعيش حياته طِبقًا لجدول، لأن الناس في تسكان وسياتل وشيكاجو وباتون روج لا يريدون إلهًا ذا ظهرٍ مشعر.

في حدود الطابق المئتين تبلغ الدرجة الأعلى على الإطلاق.

إنك تحرق العضلات بدلًا من الدُّهون الآن، لكن عقلك أصفى ما يكون.

الحقيقة أن كلَّ هذا كان مجرَّد جزءٍ من عمليَّة الانتحار، لأن اكتساب السُّمرة وتعاطي المنشِّطات لا يُمثِّل مشكلة حقيقيَّة إلا إذا كنت تنوي مواصَلة الحياة لوقتٍ طويل.

لأن الفارق الوحيد بين الانتحار والاستشهاد هو قدر التغطية الإعلاميَّة.

إذا سقطت شجرة في غابة دون أن يراها أو يسمعها أحد، أفلا تظل مُلقاةً في مكانها حتى تتعفَّن؟

ولو كان المسيح قد مات بجرعةٍ زائدةٍ من الباربيتورات وهو وحيد على أرضية الحمَّام، فهل كان ليدخل الجنَّة؟

مع كامل احترامي. طبعًا...

لم يكن كل هذا متعلِّقًا بنِيَّتي الانتحار من عدمها. إن هذا، كل هذا، كل هذه الأموال والمجهود وفريق الكتابة والأدوية والحمية ووكيل الأعمال والسلالم الكهربائيَّة الصاعدة إلى اللا مكان—كل هذا كان في سبيل هدفٍ واحدٍ فقط، أن أقتل نفسي والأضواء كلها مُسلطة عليَّ بالكامل.

- 25 -

سألَني وكيل الأعمال ذات مرَّةٍ أين أرى نفسي بعد خمس سنوات.

ميتًا، قلت له. أرى نفسي ميتًا أتعفَّن تحت الأرض، أو رمادًا. أرى نفسي وقد احترقت وأصبحت رمادًا.

أذكُر أنه كان معي مسدَّساً محشوًّا في جيبي. لم يكن هناك سوانا نحن الاثنين في خلفيَّة قاعة المحاضَرات المزدحِمة المظلِمة، وأذكُر أنها الليلة التي ظهرتُ فيها على الملأ للمرَّة الأولى.

أرى نفسي ميتًا وفي جهنم، قلت له.

أذكُر أنني كنت أخطِّط لقتل نفسي تلك الليلة.

قلت لوكيل الأعمال إنني أتصوَّر أنني سأقضي سنواتي الألف الأولى في جهنم في مستوى مبتدئ، لكنني أريد أن أترقَّى إلى منصبٍ إداري بعد ذلك، أن أكون أحد أفراد الفريق الكبير. سوف تشهد جهنم نموًّا هائلًا في القيمة السوقيَّة خلال الألفيَّة التالية. أريد أن أبلغ القمَّة.

قال وكيل الأعمال إن هذا تصوُّر واقعي تمامًا.

أذكر أننا كنا ندخِّن السجائر، وعلى خشبة المسرح كان هناك واعظ محلي ما يؤدِّي فقرته الافتتاحيَّة. جزءٌ من عملية تسخين الجمهور التي يقوم بها أن يجعلهم يُفرِطون في التنفُّس، والغناء أو الإنشاد بصوتٍ عالٍ كفيل بهذا. طِبقًا لوكيل الأعمال، عندما يُهلِّل الناس بهذه الطريقة أو يُنشدون *Amazing Grace* حتى تُبَح أصواتهم، فإنهم يُفرِطون في التنفس. يجب أن يكون دمهم حمضيًّا، وعندما يتنفَّسون بسرعةٍ وقوةٍ هكذا ينخفض مستوى ثاني أكسيد الكربون في دمهم ويصبح الدم قلويًّا.

- «اسمها القلويَّة التنفُّسيَّة».

هكذا يصابون بالدُّوار، وهكذا يسقطون مصابين برنينٍ في آذانهم ويشعرون بالخدر في أصابع أيديهم وأرجلهم، يصابون بآلامٍ في الصدر، يعرقون بإفراط. المفترَض أن تكون هذه هي النَّشوة. يتهاوى الناس على الأرض وقد تقلَّصت أيديهم على شكل مخالب.

هذا ما يعتبرونه الوَجْد.

- «في البزنس الديني يُطلِقون على هذا اسم الاستغفال».

تزيد الحركات المتكرِّرة من هذا التأثير، وتمرّ الفقرة الافتتاحيَّة على خشبة المسرح بالخطوات التقليديَّة. يُصفِّق الجمهور معًا في تناغم، وتتشابك أيدي صفوفٍ طويلة من الناس معًا ويتمايلون في هذيانهم، ويؤدُّون تلك الحركة المعروفة باسم يد قوس قزح.

يقول لي وكيل الأعمال إن من اخترع هذا الروتين، أيًّا كان، لا بُد أنه يدير الأمور في جهنم الآن.

أذكُر أن الراعي الرسمي كان شركة ما تبيع عصير الليمون الفوري.

أتلقَّى الإشارة عندما ينتهي الواعظ من فقرته الافتتاحيَّة ويُناديني إلى خشبة المسرح، ودوري بعدها أن أضع تعويذة على الجميع.

حالة نشوة طبيعيَّة على حدِّ تعبير وكيل الأعمال.

يُخرج زجاجة بُنيَّة من جيب البليزر ويقول:

- «خُذ حبَّتين من الإندورفينول إذا شعرت بأيِّ مشاعرٍ تراودك».

أقول له أن يعطيني حفنة.

من بين خطوات الاستعداد لليلة، بدأ موظَّفو الحملة زيارة السُّكَّان المحليين في منازلهم وإعطائهم تذاكر مجَّانيَّة للعرض. هذه هي المرَّة المئة التي يُخبِرني وكيل الأعمال فيها بهذا. يطلب هؤلاء الموظَّفون دخول الحمَّام خلال الزيارة، ويُدوِّنون الملاحَظات عن كلِّ شيءٍ يجدونه

في خزانة الأدوية. طِبقًا لوكيل الأعمال، كان الكاهن چيم چونز يفعل هذا، ما كان له وقع المعجزة على أتباعه في معبد الشعب.

لكن لعل (المعجزة) ليست الكلمة السليمة التي ينبغي استخدامها.

على المنبر هناك قائمة بأناسٍ لم ألتقِهم من قبل قَط وحالة كلٍّ منهم المرضيَّة.

مسز ستيڤن براندن، أنادي، تعالي ليلمس الله كليتيك الفاشلتين.

مستر ويليام دوكسي، تعالَ وضع قلبك المعطوب بين يدي الله.

جزءٌ من تدريبي أن أضغط بأصابعي على عين المريض بسرعةٍ وقوَّة كي يُسجِّل عصبه البصري الضغط كوميضٍ من النور الأبيض.

النور الإلهي على حدِّ تعبير وكيل الأعمال.

وجزءٌ من تدريبي أن أضغط بيديَّ على أذني المريض بقوَّةٍ شديدة حتى يسمع طنينًا أقول له إنه نداء السماء.

يقول وكيل الأعمال:

- «هيا!».

لقد استغرقت في أفكاري وفاتتني الإشارة، وعلى خشبة المسرح يصيح الواعظ باسم تندر برانسن في الميكروفون. الأوحد، الوحيد، النَّاجي الأخير، تندر برانسن العظيم.

يشير لي وكيل الأعمال بالانتظار وينتزع السيجارة من فمي، ثم يدفعني في الممر آمرًا إياي بالذهاب.

تمتد الأيادي كلها في الممر لتلمسني، ودائرة الضوء أمامي على خشبة المسرح ساطعة أكثر من اللازم. في الظلام حولي ابتسامات ألفٍ من المغيَّبين الذين يحسبون أنهم يُحبُّونني. كل ما عليَّ فعله هو المشي ودخول دائرة الضوء.

هذا هو الموت دون مشاكل التحكُّم.

المسدَّس ثقيل يضرب فخذي في جيب سروالي.

أن تكون لك عائلة وأنت مقطوع من شجرة، أن تكون في علاقةٍ وأنت غير مرتبطٍ بأحد.

دائرة الضوء على خشبة المسرح دافئة.

أن تكون محبوبًا دون أن تجازِف بحب أحدٍ في المقابل.

أذكر أن هذه كانت اللحظة المثاليَّة للموت.

لم تكن هذه هي الجنَّة بالطبع، لكنها أقرب شيءٍ إليها أمكنني أو سيمكنني بلوغه.

رفعت ذراعيَّ فهلَّلوا. خفضتهما فلاذوا بالصمت. كان النَّص مكتوبًا جاهزًا ينتظرني على المنصَّة لأقرأه، والقائمة المكتوبة على الآلة الكاتبة كانت تُخبرني مَنْ بين هؤلاء الجالسين في الظلام يعاني من ماذا.

دم الجميع كان قلويًّا، قلوب الجميع كانت جاهزة لأختطفها. هذا هو الشعور الذي كانت السرقة من المحال تمنحني إياه. هذا هو الشعور الذي كان ينتابني وأنا أسمع الاعترافات على خط الأزمات الساخن. هذا هو تصوُّري لممارسة الجِنس.

أتذكَّر فرتيليتي وأبدأ في قراءة النَّص:

«كلنا حصاد الخلْق المقدَّس».

«كلنا شظايا تصنع معًا شيئًا كاملًا جميلًا».

كل مرَّة أتأنَّى فيها في الكلام كانوا يحبسون أنفاسهم.

إن عطيَّة الحياة، أقرأ من النَّص، ثمينة.

أضع يدي على المسدَّس المحشو بالطَّلقات في جيبي.

يجب الحفاظ على هديَّة الحياة مهما بدت مؤلمة أو بلا قيمة. السلام، أقول لهم، هديَّة مثاليَّة مكتمِلة لا يستطيع إلا الله وحده منحنا إياها. فقط أبناء الله الأكثر أنانية هُم من يَسرقون هديَّته الكُبرى، هديَّته الوحيدة

الأعظم من الحياة، هديَّة الموت.

هذا الدرس أوجِّهه للقاتل، أقول، وللمنتحِر والمُجهِض. هذا الدرس أوجِّهه للمرضى والمُعانين.

الله وحده يملك الحق في مفاجأة عباده بالموت.

لم أدرِ ماذا كنت أقول إلى أن فات الأوان. لعلها كانت مصادَفة، ولعل وكيل الأعمال خمَّن ما كنت أنوي فعله عندما طلبت منه أن يُحضر لي مسدَّسا وطلقات، لكن الذي حدث أن النَّص أفسد خطَّتي تمامًا. من المستحيل أن أقرأ هذا الكلام ثم أقتل نفسي. من غباء الغباء أن أفعل هذا الآن.

وهكذا لم أقتل نفسي...

مضت بقيَّة الليلة كما هو مخطَّط. عاد الناس لبيوتهم وقد شعروا بالخلاص، وقلت لنفسي إنني سأنتحر في وقتٍ آخر. كانت اللحظة خاطئة تمامًا، وهكذا أرجأت الأمر كله لأن التوقيت المناسِب هو كل شيء.

كما أن...

... الأبدية تدوم إلى الأبد!

مع الحشود المبتسمة في وجهي في ظلام القاعة، وجهي أنا الذي قضيت عمري في تنظيف الحمَّامات وجز الحشائش، قلت لنفسي: ولِمَ الاستعجال؟

لقد تعثَّرت من قبل، وسأتعثَّر ثانيةً، لكن التدريب يعطيك نتائج مثاليَّة.

إذا كان يمكنك أن تعتبره تدريبًا...

خطر لي أن بضعة ذنوبٍ إضافيَّة ستساعدني على إضافة المزيد من السطور إلى سيرتي الذاتيَّة.

هذا هو الجانب المشرِق من أن تكون ملعونًا إلى أبدِ الأبدين.

خطر لي أن جهنم يمكنها أن تنتظرني قليلًا.

- 24 -

أحد الأشياء التي أريد الاعتذار عنها قبل أن تسقط هذه الطائرة، قبل أن ينتهي شريط التسجيل داخل الصندوق الأسود، هو كتاب (الأدعية الأكثر تداوُلًا).

يجب أن يعرف الناس أن كتاب (الأدعية الأكثر تداوُلًا) لم يكن فكرتي. صحيحٌ أنه باع أكثر من مليوني نُسخة على مستوى العالم، نعم، وصحيحٌ أنني تركتهم يضعون اسمي عليه، لكن الكتاب كان من بنات أفكار وكيل الأعمال، وقبل هذا كان فكرةُ نكرةٍ ما في فريق الكتابة، كاتب إعلانات نسيت اسمه كان يبحث عن نصيبٍ من كعكة النجاح.

المهم أن الكتاب لم يكن فكرتي أنا.

الذي حدث أن وكيل الأعمال جاء إليَّ ذات يوم بهذا البريق المتراقص في عينيه الذي يعني اتِّفاقًا جديدًا. طِبقًا لوكيل الدِّعاية، فإنه لم يسبق أن كان الطَّلب عليَّ بهذه الكثرة. كان هذا بعد إطلاق طبعة الأناجيل التي ذيَّلتها بتوقيعي في المكتبات، ما ضمن لنا مساحة تبلغ أكثر من مليون قدمٍ من أرفف المكتبات، وهذا بالإضافة إلى جولتي الدعائيَّة طبعًا.

يقول وكيل الأعمال:

- «لا تتوقَّع أن تكون الجولة الدعائيَّة للكتاب كلها لهوٌ ومرح».

يقول وكيل الأعمال إن حفلات توقيع الكُتُب لا تختلف في أيِّ شيءٍ عن يومك الأخير في المدرسة الثانويَّة، عندما يرغب الجميع في تبادُل التوقيعات والإهداءات، مع الفرق أن حفلات التوقيع هذه من الممكن أن تستمر ما حييت.

طِبقًا لدفتر التحرُّكات فإنني في مخزنٍ في دنفر أوقِّع عددًا من النُّسخ من الإنجيل، عندما يطرح عليَّ وكيل الأعمال فكرة لكتابٍ صغيرٍ من التأمُّلات التي يمكن أن يستخدمها الناس في حياتهم اليوميَّة. يتصوَّره كتابًا من الحجم المتوسِّط يضم عددًا من القصائد النثريَّة، خمسين صفحة على الأكثر، بعض التقدير للبيئة والأطفال، الأشياء الصغيرة، الأمهات، دببة الپاندا، المواضيع التي لا تثير غضبة أحد، المشكلات الشائعة. نضع اسمي على كعب الكتاب ونقول إنني كتبته ونرى النتيجة.

ما يجب أن يعرفه الناس أيضًا أنني لم أرَ الكتاب أصلًا إلا بعد الطبعة الثانية، بعد أن باع أكثر من خمسين ألف نُسخة. طبعًا لا داعي للقول إن كل الجلبة التي أثيرت حول الكتاب تسبَّبت فقط في ارتفاع مبيعاته.

الذي حدث أنني كنت ذات يومٍ في غرفة الاستراحة -الغرفة الخضراء- أنتظر المشارَكة في تقديم برنامج تليفزيوني نهاري ما، وكان هذا بعد الجولة الدعائية للأناجيل الموقَّعة بفترةٍ طويلة. الفكرة هنا أنني إذا شاركت في تقديم البرنامج وشاهده عدد كافٍ من الجمهور، فيمكنني الانفراد ببرنامجي الخاص في ما بعد. وهكذا ها أنا ذا في الغرفة الخضراء أتبادل أسرار العناية بالأظفار مع امرأةٍ ما -أعتقد أنها كانت الممثلة وندي دانييلز تقريبًا- عندما تطلب مني أن أوقِّع نُسختها من الكتاب، كتاب (الأدعية الأكثر تداوُلًا) الذي أراه الآن -أقسم لك- للمرَّة الأولى، بل وأقسم بهذا على كومةٍ من أناجيلي الموقَّعة إذا أردت.

طِبقًا لوندي دانييلز، يمكنني التخلُّص من الانتفاخات تحت عينيَّ بدهانها بكريم البواسير.

ثم إنها تُناوِلني إياه، كتاب (الأدعية الأكثر تداوُلًا)، وبالفعل ها هو اسمي على الكعب. أنا، أنا، أنا، هأنذا، وبالداخل الأدعية التي يحسب الناس أنني ألَّفتها:

دعاء فقدان الوزن.

دعاء تأخير الذُّروة.

الإحساس هو ذاته إحساس حيوانات التجارب في المعامل عندما يفرمونها لعمل الهوت دوج. هذا هو مدى ما شعرت به من ألم.

دعاء الإقلاع عن التدخين:

«أبانا المقدَّس،

اسلبني الاختيار الذي أعطيتني إياه

تولَّ التحكُّم في إرادتي وعاداتي

انتزع مني سُلطة توجيه سلوكياتي

فلتكن إرادتك كيف أتصرَّف

فلتكن يداك وحدك السبب في إخفاقاتي

ثم إنني إذا واصلتُ التدخين

فعسى أن أتقبَّل أن تدخيني هو مشيئتك

آمين».

دعاء إزالة العَفَن الفطري.

دعاء منع سقوط الشَّعر:

«يا رب يا ذا القوة المطلَقة،

يا راعي عبادك،

كما تساعدنا في تنفيذ أقل أوامرك

وكما تُنقذ أكثر الحملان ضياعًا في حظيرتك

أعد إليَّ مجدي كاملًا تامًّا

واحفظ لي ما تبقَّى من شبابي

الخلق كله لك تمنحه إن شئت

والخلق كله لك تمنعه إن شئت

يا رب يا ذا السَّخاء بلا حدود

أغثني في معاناتي

آمين».

دعاء إسكات الكلاب النابحة.

دعاء إسكات أجهزة إنذار السيَّارات.

دعاء الحصول على انتصاب.

دعاء الحفاظ على الانتصاب.

لا بُد أنني بدوت شنيعًا على شاشات التلفزيون بعد هذا، وبالتالي أعطيت برنامجي الخاص قُبلة الوداع. بعد دقيقةٍ واحدةٍ من انتهاء الحلقة كنت على الهاتف مع وكيل الأعمال في نيويورك، وتلخَّص طرفي من المحادثة في الصراخ الغاضب لا غير.

كل ما كان يهمه هو المال.

يصرخ وكيل الأعمال بدوره على الهاتف:

- «وماذا يكون الدعاء؟ إنه تعويذة، رُقية. إنه وسيلة يُركِّز بها الناس طاقتهم حول حاجةٍ بعينها. الناس بحاجةٍ لاستيضاح أهدافهم وتفصيلها ثم السعي إلى تحقيقها».

دعاء منع المخالفات المروريَّة.

دعاء منع تسرُّب المياه من المواسير.

- «الناس يدعون لحلِّ مشاكلهم، وهذه هي المشاكل التي تُقلِق الناس فعلًا وبمنتهى الأمانة».

دعاء زيادة الحساسيَّة المهبليَّة.

- «ما الدعاء إلا تزييت العجلة التي تُصدِر صريرًا».

يُطلقون على أمثاله أن قلوبهم مصنوعة من الجُبن.

- «إنك تدعو كي تجعل حاجاتك معروفة».

دعاء خفض ضوضاء القطارات.

دعاء الحصول على مكانٍ لركن السيَّارة:

«يا رب يا مقدَّس يا رحيم،
لن يرى التاريخ مثيلًا لمحبتي لك
إذا أعطيتني اليوم مكانًا أركن فيه سيَّارتي
فأنت المانح
وأنت مصدر كل شيء
منك يأتي الخير كله
وفيك يوجد كل شيء
برعايتك سأجد راحتي
وبإرشادك سأجد السلام
أن أتوقَّف، أو أرتاح، أو أتكاسل، أو أركن السيَّارة
كل هذه الأشياء لك تمنحني إياها إذا شئت، وهي ما أطلبه منك
آمين».

بما أنني على وشك الموت هنا، فعلى الناس أن يعرفوا أن نِيَّتي الخاصَّة كانت دائمًا خدمة المجد الإلهي... إلى حدٍّ كبير. لن تجد هذا تحت بند أهدافنا أو رسالتنا طبعًا، لكن تلك كانت خطَّتي العامَّة على كلِّ حال، أن أبذل مجهودًا على الأقل. المشكلة أن هذا الكتاب لم يبدُ بأيٍّ شكلٍ على علاقة بالتقوى والورع ولو من بعيد.

دعاء منع الإفراط في العَرَق تحت الإِبط.

دعاء الحصول على مقابلة شخصيَّة ثانية.

دعاء معرفة مكان العدسة اللاصقة الضائعة.

على أن فرتيليتي تقول إنني بالغت كثيرًا في ردِّ فعلي تجاه الكتاب، تقول إنها تريد جزءًا ثانيًا منه.

تقول فرتيليتي إنني عندما أكون في ستادٍ ما أقف أمام الجماهير أسبِّح الله وأثني عليه، فإنني لا أختلف في شيءٍ عن من يرتدون ملابس عليها ميكي ماوس أو كوكا-كولا الأمر سهل للغاية، وليس خيارًا حقيقيًّا حتى، ولا يوجد مجال للخطأ. تقول فرتيليتي إن ذِكر الله لا يوجد آمَنَ منه ولست مضطرًا لأن تُفكِّر في فعله من عدمه.

تقول فرتيليتي:

- «أَثْمِرُوا وَتَكَاثَرُوا وَامْلَأُوا الأَرْضَ، المجد لله، كل هذه الأشياء التي يروق للناس سماعها. ليست هناك مخاطرة حقيقيَّة، بل تلك هي إعدادات المصنع التي خُلِقنا بها».

الذي أنقذ كتاب (الأدعية الأكثر تداوُلًا) أن الناس استخدموا كلَّ دعاءٍ فيه. بعض الناس كان غاضبًا منا، ومعظمهم من المتديِّنين الذين يكرهون المنافَسة، لكن في تلك المرحلة كان الكتاب قد حقَّق مبيعاتٍ خياليَّة بالفعل، وإن كان العائد قد بدأ يقل شيئًا فشيئًا. يُطلِقون على هذا اسم تشبُّع السوق. كان الناس قد حفظوا الأدعية كلها الآن عن ظهر قلب، العالق منهم في زحام المرور يُردِّد دعاء جعْل المرور يتحرَّك، ومن على وشك ممارسة الجِنس يُردِّد دعاء تأخير الذُّروة. أصبح الناس يحفظون ما بالكتاب أكثر من جدول الضرب، وكان أفضل خيار لديَّ الآن أن أُطبِق فمي على لساني وأبتسم.

كما أن الأعداد الحاضرة للمناسَبات التي أظهر فيها كانت تقل بدورها، ما بدا لي كبداية النهاية، خصوصًا أن ظهوري على غلاف مجلة (پيپول) كان منذ ثلاثة شهورٍ كاملة.

وليس هناك شيء اسمه شُهرة بالانتساب. إننا لا نرى الممثِّلين الذين

أفلِ نجمهم يعودون للدراسة للتدرُّب من جديد. المجال الوحيد الذي تبقَّى لي هو تقديم البرامج الرياضيَّة، وأنا لست بهذا الذكاء.

لقد بلغت القمَّة، ومن حيث التوقيت بدت لي هذه فرصةً سانحةً أخرى للانتحار، وهو ما كدت أفعله. كانت الحبوب في يدي بالفعل، ما يُريك إلى أي مدى كنت قد اقتربت، وكنت أخطِّط للانتحار بجرعةٍ مفرطة من الميتا-تستوس-تيرون. ثم يتَّصل بي وكيل الأعمال ويتكلَّم بصوتٍ عالٍ -عالٍ للغاية في الواقع كما صوت مليون مسيحي متديِّن يُردِّدون اسمي في كانساس سيتي- يوحي بمدى الإثارة التي تنتابه الآن.

في غرفتي بالفندق يُخبِرني وكيل الأعمال على الهاتف بأكبر فرصةٍ في عمري كله. الأسبوع القادم، ثلاثون ثانية بين إعلانٍ لأحد أحذية التنس وآخر لسلسلة مطاعم محليَّة تُقدِّم التاكو، في فترة ذُروة المشاهَدة وخلال أسبوع استطلاعات آراء الجمهور.

يُذهِلني التفكير في أن تلك الحبوب كانت على وشك دخول فمي منذ لحظات.

لم تعد هذه اللعبة مملَّة على الإطلاق.

شبكات التليفزيون، ملايين البلايين يُشاهدونني. إنها اللحظة المنتظَرة، فرصتي الأخيرة لإطلاق النار على نفسي في حضور نسبة لا بأس بها إطلاقًا من الجماهير.

سيكون هذا استشهادًا لا يمكن أن يتجاهله أحد.

- «لكن هناك شرطٌ واحدٌ. الشرط أنني قلت لهم إنك ستقوم بمعجزة».

معجزة؟

- «ليس شيئًا كبيرًا، ليس عليك أن تشقَّ البحر الأحمر أو ما شابه. يكفي تحويل الماء إلى خمرٍ مثلًا. لكن تذكَّر، بدون معجزة لن يعرضوا أيَّ شيء».

- 23 -

وتدخل فرتيليتي هوليس حياتي مرَّة أخرى في سپوكان، واشنطن، وأنا جالسٌ ألتهم فطيرة وأحتسي القهوة في أحد فروع مطعم شاريز. تدخل من الباب الأمامي وتتَّجه إلى مائدتي مباشرةً. لا يمكنك أن تصف فرتيليتي هوليس بأنها جِنيَّة طيِّبة، لكنك قد تندهش من الأماكن التي تظهر لك فيها فجأة.

وإن كنت لن تندهش معظم الوقت...

فرتيليتي بعينيها الرماديَّتين الملولتين كالمحيط.

فرتيليتي وكلُّ زفيرٍ خارجٍ منها يحمل تنهيدةً مُتعَبة.

إنها عين الإعصار الذي هو العالم من حولها.

فرتيليتي وتعبير التراخي في حركة ذراعيها وعلى وجهها كأنها ناجية مُنهَكة، كأنها مصَّاصة دماء فرعونيَّة خالدة بعد مليون عامٍ من مشاهَدة البرامج التليفزيونية المُعادة نفسها التي نُسمِّيها التاريخ. تجلِس فرتيليتي في استرخاء على المقعد المواجِه لي وقد بدا عليها السرور لأنني كنت أحتاجها من أجل معجزةٍ على كلِّ حال. كان هذا في الفترة التي كنت ما زلت أستطيع فيها التهرُّب من حاشيتي. لم أكن وقتها لا أحد بعد، لكني كنت على نقطة التقاء المنحنيين، وكل هذا بفضل سقوطي الإعلامي، بفضل ركودي الدعائي.

الطريقة التي تضع بها فرتيليتي مِرفقيها على المائدة وتُسنِد ذقنها إلى يديها وقد انسدل شعرها الأحمر على وجهها تجعلك تحسب أنها

جاءت للتو من كوكبٍ آخر تقل جاذبيَّته عن جاذبيَّة الأرض كثيرًا، كما لو أن مجرَّد وجودها هنا، ورغم نحافتها، يجعلها تزن ثمانمئة رطلٍ دُفعةً واحدة.

ترتدي ملابس عاديَّة تمامًا، سروالًا فضفاضًا وبلوزة وحذاءً وتجرُّ حقيبة يد كبيرة. الهواء مكيَّف في المطعم، ويمكنك أن تشم رائحة مُنعِّم الأقمشة الذي تستخدمه، حلوة وزائفة.

تبدو مُخفَّفة بالماء.

تبدو كأنها تتلاشى.

تبدو كأنها ممحوَّة.

تقول:

- «لا عليك. هذه أنا دون ماكياج فحسب. أنا هنا في مهمَّة».

وظيفتها...

- «نعم، وظيفتي الشريرة».

أسألها عن سمكتي، فتقول إنها بخير.

مستحيل أن يكون لقاؤها بي هنا مصادفةً. من المؤكَّد أنها تتبعني.

تقول فرتيليتي:

- «تنسى دائمًا أنني أعرف كلَّ شيء».

ثم تسألني:

- «كم الساعة؟».

أقول لها إنها الحادية وثلاث وخمسون دقيقة ظُهرًا.

- «خلال إحدى عشرة دقيقة ستُحضر لك النَّادلة قطعة فطيرة أخرى، مارينج الليمون هذه المرَّة، ولاحقًا لن يحضر عرضك سوى ستين شخصًا تقريبًا الليلة، ثم في صباح الغد سينهار شيء اسمه جسر ووكر

ريڤر في بلدة شريڤبورت التي لا أعرف أين تقع أصلًا».

أقول إنها مجرَّد تخمينات، فتضيف مبتسمةً في خُبث:

- «وأنت تحتاج إلى معجزة، تحتاج إلى معجزة بشدَّة».

أقول ربما، فمن ذا الذي لا يحتاج معجزة في أيامنا هذه؟ كيف تعرف كلَّ هذا؟

تجيب وهي تؤمئ برأسها نحو الجانب الآخر من المطعم:

- «بنفس الطريقة التي أعرف بها أن هذه النَّادلة هناك مصابة بالسرطان. أعرف أن قطعة الفطيرة التي تأكلها الآن ستصيبك بالمغص، وأعرف أن دار عرضٍ ما في الصين سوف تحترق خلال دقائق، حسب التوقيت في آسيا. في هذه اللحظة بالذات في فنلندا ثمَّة مُتزلِّج يسبب انهيارًا جليديًّا سيدفن تحته دستةً من الضحايا».

تشير فرتيليتي بيدها فتأتي النَّادلة المصابة بالسرطان.

تميل فرتيليتي على المائدة وتقول:

- «أعرف كلَّ هذا لأني أعرف كلَّ شيء».

النَّادلة شابَّة ولديها شعرها وأسنانها وكلُّ شيء، أي أن لا شيء في مظهرها يوحي بالمرض. تطلب فرتيليتي الدجاج المحمَّر بالخضراوات والسمسم وتسأل إن كان الأرز يُقدَّم مع الطبق أيضًا.

ما زالت سپوكان خارج النافذة. المباني والنهر والشمس التي نتقاسمها جميعًا، المرآب، أعقاب السجائر.

أسألها: ولِمَ لم تُحذِّر النَّادلة؟

- «كيف سيكون رد فعلك إذا جاء إليك شخص غريب بخبرٍ كهذا؟ سوف يُدمِّر هذا يومها تمامًا، كما أن كلَّ هذه الدراما ستتسبَّب في تعطيل طلبي».

فطيرة الكرز التي آكلها هي التي سوف تصيبني بالمغص. إنها قوة الإيحاء.

- «كل ما عليك فعله هو الانتباه لأنماط الأشياء، وبعد أن ترى الأنماط يمكنك استقراء المستقبَل».

طِبقًا لفرتيليتي هوليس، ليس هناك شيء اسمه الفوضى.

ليس هناك إلا الأنماط. أنماطٌ فوق أنماط، أنماطٌ تؤثِّر في أنماطٍ أخرى، أنماطٌ تُخفيها أنماط، أنماطٌ داخل أنماط.

إذا انتبهت جيدًا ستجد أن التاريخ لا يفعل شيئًا سوى تكرار نفسه.

ما نقول إنه فوضى ليس إلا أنماطًا لم نتعرَّف عليها بعد، ما نقول إنه عشوائي هو أنماط نعجز عن سبر أغوارها، ما لا نفهمه نقول إنه هراء، ما لا نستطيع قراءته نقول إنه كلام فارغ.

ليست هناك إرادة حُرَّة.

ليست هناك متغيِّرات.

تقول فرتيليتي:

- «ليس هناك سوى المحتوم، وليس هناك سوى مستقبَل واحد، وليس لديك الخيار».

الخبر السيء أننا لا نملك التحكُّم في أيِّ شيء.

الخبر الطيب أنك لا يمكن أن تقع في الخطأ بهذه الطريقة.

النَّادلة على المشرب تبدو شابَّة وحسناء وحُكِم عليها بالموت.

تقول فرتيليتي إنها تنتبه للأنماط، بل إنها لا يمكنها ألّا تنتبه لها أصلًا.

- «إنها تتزايد أكثر فأكثر في أحلامي كل ليلة، كل شيء. كأنك تقرأ كتاب تاريخ عن المستقبَل كلَّ ليلة».

هي تعرف كلَّ شيءٍ إذن.

- «لهذا أعرف أنك بحاجةٍ إلى معجزةٍ تظهر بها في التليفزيون».

ما أحتاجه هو نبوءة جيدة.

تقول وهي تُخرِج دفتر تنظيم يوميّ كبير من حقيبتها:

- «لهذا أنا هنا. والآن أعطني إطارًا زمنيًّا، يومًا لهذه النبوءة».

أقول لها: في أيِّ وقتٍ خلال الأسبوع بعد القادم.

تقول وهي تقرأ من دفترها:

- «ماذا عن حادث تصادُم لعدَّة سيَّارات؟».

أسألها: كم سيَّارة؟

- «ست عشرة سيَّارة. عشرة موتى وثمانية مصابين».

ألديها شيء أكثر بهرجة؟

- «ماذا عن حريقٍ في أحد ملاهي لاس ڤيجاس؟ فتيات استعراض عاريات بأغطية رأس من الريش المحترق، أشياء من هذا القبيل».

هل من موتى؟

- «كلا. مجرَّد إصابات طفيفة هنا وهناك. كثير من التَّلف بسبب الدخَّان رغم ذلك».

أريد شيئًا أكبر.

- «انفجار في صالون لاكتساب السُّمرة؟».

شيئًا أكثر إبهارًا.

- «حالة سعار بسبب داء الكَلَب في حديقةٍ عامَّة؟».

ممل.

- «تصادُم قطارين في أنفاق المترو؟».

إنك تدفعينني دفعًا إلى النعاس الآن.

- «مُدافِع عن حقوق الحيوانات يُهدِّد بتفجير نفسه في پاريس؟».

غيره.

- «انقلاب ناقلة بترول؟».

ومن يبالي بهذا؟

- «إجهاض نجمة سينمائيَّة؟».

عظيم. سيقول جمهوري إنني وحش عندما يتحقَّق هذا.

- «تبًّا! إنه الصيف وليست لدينا خيارات كارثيَّة كثيرة».

أقول لها أن تُواصِل البحث.

- «الأسبوع القادم سيصاب الپاندا العملاق الذي تحاول حديقة الحيوان الوطنيَّة تزويجه بمرضٍ تناسلي من الأنثى التي أحضروها له».

مستحيلٌ أن أقول هذا على شاشة التليفزيون.

- «ماذا عن تفشٍّ للسُّل؟».

أتثاءب.

- «قنَّاص يصيد الناس على الطريق السريع؟».

أتثاءب.

- «هجوم لسمكة قرش؟».

لا بُد أنكِ يائسة حقًّا.

حصان سباق يكسر ساقه؟

لوحة تالفة في اللوڤر؟

رئيس وزراء مصاب بالفَتق؟

سقوط نيزك؟

ديوك رومي مجمَّدة تنقل عدوى ڤيروسية؟

حريق في غابة؟

أقول لها: لا

حزين أكثر من اللازم.

فني أكثر من اللازم.

سياسي أكثر من اللازم.

لا يهم كثيرين.

مقزِّز جدًّا.

بلا جاذبية.

- «تدفُّق للحمم البركانية؟».

بطيء أكثر من اللازم، لا يحمل ما يكفي من الدراما، ولن يُسفر إلا عن بضع خسائر في الممتلكات في الغالب.

المشكلة أن أفلام الكوارث جعلت الجميع يتوقَّعون أكثر من اللازم من الطبيعة.

تأتي النَّادلة حاملةً الدجاج المحمَّر وفطيرة مارينج الليمون وتعيد ملء قدحي بالقهوة، ثم تبتسم وتذهب لتموت.

تتصفَّح فرتيليتي كتابها جيئةً وذهابًا.

بدأت فطيرة الكرز هجومها على أحشائي. سپوكان في الخارج والهواء المكيَّف بالداخل، ولا أرى نمطًا في أيِّ شيء.

تقول فرتيليتي هوليس:

- «ماذا عن سِرب من النحل القاتل؟».

أين؟

- «في دالاس».

متى؟

- «صباح الأحد القادم في الثامنة وعشر دقائق».

كم العدد؟ قليل؟ كثير؟ متوسِّط؟

- «ملايين».

ممتاز.

تتنهَّد فرتيليتي وتبدأ أكل دجاجها المحمَّر قائلةً:

- «شِت! كنت أعرف أن هذا ما ستختاره من البداية».

- 22 -

وهكذا تهاجِم ملايين النحلات القاتلة دالاس، تكساس، في الثامنة وعشر دقائق صباح الأحد، في الموعد تمامًا، وهذا على الرغم من أن نسبة مُشاهدَتي لم تتجاوز الخمسة عشر في المئة. في الأسبوع التالي خصَّصت لي الشبكة دقيقة كاملة وقد اصطفَّت مجموعة كبيرة من العمالقة -شركات أدوية وسيَّارات ونفط وتبغ- كرعاةٍ محتَملين إذا استطعت القيام بمعجزةٍ أكبر في المرَّة القادمة.

جديرٌ بالذِّكر أن شركات التأمين مهتمَّة جدًّا كذلك، لكن لأسبابٍ كلها خاطئ.

بين الآن والأسبوع القادم أقضي وقتي على الطريق من أجل عروضي المتَّفق عليها في فلوريدا. إنها دائرة چاكسونڤيل-تامپا-أورلاندو-ميامي، إنها حملة معجزات تندر برانسن، ليلة واحدة في كلِّ مدينة.

(معجزة في دقيقة) هو الاسم الذي يريد وكيل الأعمال والشبكة إطلاقه على ظهوري الأسبوعي على الشاشة، والذي لن يتطلَّب إنتاجه أيَّ مجهود. يُصوِّب أحدهم الكاميرا عليك وقد صفَّفت شعرك وعقدت ربطة عنقك، ثم تتكلَّم بغموضٍ وكآبة قائلًا إن منارة إپسويتس پوينت سوف تسقط غدًا. في الأسبوع القادم سينهار جزء من نهر مانينجتن الجليدي في ألاسكا ويقلب سفينة سياحيَّة اقتربت أكثر من اللازم من منطقة الخطر. في الأسبوع الذي يليه سوف تظهر جرذان حاملة ڤيروسًا قاتلًا في شيكاجو وتاكوما وجرين باي. إنك الآن كمذيع نشرة الأخبار بالضبط، مع الفارق أنك تسبق الحدث.

الطريقة التي أرى بها سير هذه العمليَّة أن تُعطيني فرتيليتي بضع عشراتٍ من التنبُّؤات في المرَّة، وعليه أسجِّل ما يكفي موسمًا كاملاً من (معجزة في دقيقة)، ومع إنجاز ما يكفي عاماً كاملاً من هذا العمل (إن كان يمكنك أن تعتبره كذلك) سأجد الوقت الكافي للظهور هنا أو هناك والدعاية للمُنتَجات وتوقيع الكُتُب، ولربما أقدِّم بعض الاستشارات كذلك أو أظهر ظهورًا شرفيًّا في بعض الأفلام والمسلسلات.

لا تسألني متى لأنني لا أذكر، لكني في مرحلةٍ ما بدأت أنسى أن أنتحر.

إذا وضع وكيل الدعاية انتحاري على جدول الأعمال ستجدني ميتًا، لا بأس. السابعة مساء الخميس سأشرب منظِّف البالوعات، لا مشكلة. لكن بعد النحل القاتل والطَّلب المتزايد عليَّ أجد نفسي أتساءل في توتُّر: ماذا لو لم أستطع العثور على فرتيليتي مرَّة أخرى؟ هذا بالإضافة إلى وجود حاشيتي معي طوال الوقت. دائمًا ما يتعقَّبني الفريق ويُزعِجني بشيءٍ ما؛ وكيل الأعمال، منظِّمو المواعيد، مدرِّب اللياقة الخاص، طبيب تقويم الأسنان، طبيب الأمراض الجلديَّة، خبير التغذية.

حقَّق النحل القاتل أقل مما تتوقَّع ولم يقتل أحدًا، وإن كان قد نال الكثير من الاهتمام بالفعل على مستوى البلاد. والآن أحتاج إلى عرضٍ ثانٍ، إلى انهيارٍ في ملعبٍ رياضي أو مَنجَم، إلى خروج قطارٍ عن القضبان.

اللحظات الوحيدة التي أنفرد فيها بنفسي هي التي أدخل فيها الحمَّام، وحتى هناك لا أكون وحيدًا.

ولا أثر لفرتيليتي...

في جميع حمَّامات الرجال العامَّة تقريبًا ثمَّة فتحة محفورة في الحائط الفاصل بين كلِّ مرحاض وآخر. هذه الفتحة حفرها أحدهم عبر سُمك بوصةٍ كاملة من الخشب الصَّلب بأظفاره فقط، ما يتم على مدى أيام أو شهورٍ في المرَّة. ترى هذه الفتحات محفورة في الرخام والفولاذ، كأن هناك سجينًا يحاول الهرب. لا يسمح حجم الفتحة إلا بالنظر أو الكلام

عبره فقط، أو ربما لإدخال شيءٍ عبره، كإصبعٍ أو لسانٍ أو عضو ذَكَري، والهرب قطعة قطعة في المرَّة.

يُطلِقون عليها اسم (فتحات المجد)، كأنك بعثورك على هذه الفتحة قد وجدت عِرقًا من الذَّهب. هذا هو المجد.

أجلس إذن على المرحاض في مطار ميامي وبالقُرب من مِرفقي هناك فتحة في الحائط الفاصل بيني وبين المرحاض المجاور، وفي كلِّ مكانٍ حول الفتحة ثمَّة رسائل من الرجال الذين جلسوا هنا قبلي.

جون إم كان هنا في 14/ 3/ 64.

كارل بي كان هنا في 8 يناير 1976

نقوشٌ على ضرائح...

بعض المحفور هنا حديث، وبعضه مغطًّى لكنه محفور على عُمقٍ كبيرٍ يجعله قابلًا للقراءة بعد عقودٍ من الطلاء فوقه.

ها هنا الظلال التي خلَّفتها على الحائط ألف لحظةٍ وألف مزاجٍ لرجالٍ كانوا هنا ورحلوا. ها هنا الدليل على أنهم كانوا هنا، على زيارتهم، على مرورهم. ها هنا ما كانت موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة لتُطلِق عليه اسم مستنَد المصدر الأساسي.

تاريخ موثَّق لكلِّ ما هو غير مقبول...

كُن هنا الليلة إذا أردت أن تمصَّه مجانًا، السبت 18 يونيو 1973

كل هذا محفور على الحائط.

ها هنا كلمات بلا صُور، جِنس بلا أسماء، صُور بلا كلمات. صورة محفورة لامرأةٍ عارية تفتح ساقيها عن آخرهما وقد برز ثدياها المستديران وشعرها الطويل المنساب وغاب وجهها، ومن قضيبٍ مقطوعٍ في حجم رجلٍ بالغ تتساقط قطرات دموعٍ ضخمة نحو فَرجها المشعر.

تقول الكلمات: *النَّعيم هو بوفيه مفتوح تلتهم فيه ما يمكنك من فروج النساء.*

النَّعيم أن يدخل قضيب في مؤخِّرتك.

اذهب إلى الجحيم أيها الشاذ.

مررتُ بهذا.

اذهب والعق بعض الخراء.

فعلتُ ذلك.

هذه مجرَّد عيِّنة من الأصوات المحيطة بي عندما أسمع صوتًا حقيقيًّا، صوت امرأة، يهمس:

- «تحتاج كارثةً جديدة، أليس كذلك؟».

الصوت قادم من الفتحة، لكن عندما أنظر لا أرى إلا شفتين مصبوغتين، شفتين حمراوين، أسنانًا بيضاء، ولمحة من لسانٍ مبتل يقول:

- «كنت أعرف أنني سأجدك هنا لأنني أعرف كلَّ شيء».

فرتيليتي...

عبر الفتحة أرى الآن العينين الرماديَّتين وقد جعلهما مُحدِّد العيون الأزرق والماسكارا الثقيلة على الأهداب تبدوان أكبر من حجمهما الفعلي. الحدقتان تكبران وتصغران، ويقول الفم:

- «لا تقلق، ستتأخَّر طائرتك ساعتين أخريين».

يقول المحفور على الحائط بجوار الفم: *أمصُّ وأبتلِع.*

إلى جوار هذا كُتب: *أريد أن أحبها، لكن إذا أعطتني الفرصة فقط.*

ثمَّة قصيدة تبدأ بعبارة *دافئٌ بداخلك الحب*... وبقيتها محاها المَنِي المقذوف على الحائط.

يقول الفم:

- «أنا هنا في مهمَّة».

لا بُد أنها وظيفتها الشريرة.

- «إنها وظيفتي الشريرة».

عملها ليس شيئًا نتكلَّم عنه.

- «لا أريد أن أتكلَّم عن هذا».

أهنِّئك، أهمس لها، على النحل القاتل أعني.

حُفِر على الحائط: *بِمَ تصف الفتاة الكرِيدِشِيَّة التي تُجهِض؟* *ميتة.*

بِمَ تصف الكرِيدِشي الشاذ الذي يقبل دخول القضبان في مؤخِّرته؟

يقول الفم:

- «تحتاج كارثةً جديدة، أليس كذلك؟».

أو خمس عشرة، أهمس، أو عشرين.

يقول الفم:

- «كلا. يبدو أنك مثل كلِّ رجلٍ وثقت به. أنت جشِع».

- أريد أن أنقذ أرواح الناس فقط.

- «أنت خنزير طمَّاع».

- أريد أن أُنقِذهم من الكوارث.

- «بل أنت مجرَّد كلب يؤدِّي حيلة».

- كل هذا كي أقتل نفسي فقط.

- «وأنا لا أريدك أن تموت».

- لماذا؟

- «لماذا ماذا؟».

لماذا تريدني أن أحيا؟ ألأنها تحبني؟

- «كلا. لا أعني أني أكرهك، لكني أحتاجك».

لكنها لا تكرهني؟

- «هل تملك أدنى فكرة كم من المُمل أن أكون أنا؟ أن أعرف كلَّ شيء؟ أن أرى كلَّ شيءٍ قادمًا من على بُعد مليون ميل؟ كل هذا لا يُحتمَل، وبالتأكيد لا يناسبني».

يقول الفم إننا كلنا مصابون بالملل، ويقول الحائط: *ضاجعتُ ساندي مور*، وحول هذه العبارة تقول عشر عبارات أخرى: *وأنا أيضًا*. آخرٌ: *هل هناك من لم يضاجع ساندي مور هنا؟* إلى جوار هذا كُتب: *أنا*، وإلى جوار هذا كُتب: *شاذ*.

يقول الفم:

- «كلنا نشاهِد البرامج التليفزيونيَّة نفسها، كلنا نسمع الأشياء نفسها على الراديو، كلنا نكرِّر الكلام نفسه لبعضنا البعض. لم تعد هناك مفاجآت، بل المزيد والمزيد من الأشياء ذاتها. حياتنا كلها برامج مُعادة».

تقول الشفتان الحمراوان من داخل الحائط:

- «كلنا تربَّينا على برامج ومسلسلات التليفزيون نفسها، كأن هناك شريحة ذاكرة صناعيَّة مزروعة في دماغ كلِّ واحدٍ منا لا تختلف الواحدة منها عن الأخرى. إننا لا نذكر أيَّ شيءٍ تقريبًا من طفولتنا الحقيقيَّة، لكننا نذكر كلَّ شيءٍ حدث لهذه العائلة أو تلك في مسلسلات السيتكوم. كلنا لديه الأهداف والمخاوف الأساسيَّة نفسها».

تقول الشفتان:

- «المستقبَل ليس واعدًا يا صاحبي. قريبًا جدًّا ستراوِدنا كلنا الأفكار نفسها في اللحظة نفسها، سنكون في اتساقٍ كامل، متزامنين، متَّحدين، متساوين، تمامًا كالنمل. سنكون كالحشرات، كالخِرفان».

كلُّ شيءٍ مشتقٌّ من شيء.

مرجعٌ إلى مرجعٍ إلى مرجع.

- «السؤال الكبير الذي يسأله الناس ليس ما هي ماهية الوجود؟ بل من أين أتى هذا؟».

أصغيت إلى الفتحة تمامًا كما كنت أصغي للاعترافات على الهاتف وللسراديب بحثًا عن دلالةٍ على الحياة.

أسألها: ولِمَ تحتاجني إذن؟

- «لأنك نشأت في عالم آخر. لأنه إذا كان هناك من سيفاجئني فهو أنت. أنت لست جزءًا من الثقافة العامَّة، ليس بعد. أنت أملي الوحيد في رؤية أيِّ شيءٍ جديد. أنت الأمير المسحور الذي يمكنه كسر تعويذة الملل، هذه الغيبوبة المنتظمة التي لا تختلف اليوم عن الأمس أو الغد. لقد مررتُ بهذا وفعلتُ ذاك. أنت دواء في طور الاختبار أنتظر نجاحه».

لكنني، أهمس، لست مختلفًا عن غيري إلى ذلك الحد.

- «بل أنت كذلك، وبقاؤك مختلفًا هو أملي الوحيد».

- امنحيني بعض التنبُّؤات إذن.

- «لا».

- لماذا؟

- «لأنني لن أراك بعدها أبدًا إذا فعلت. سوف يلتهمك عالم البشر وأفقدك. من الآن فصاعدًا سأعطيك نبوءةً واحدةً كلَّ أسبوع».

- كيف؟

- «بهذه الطريقة، تمامًا كما أفعل الآن. لا تقلق، سأجدك أينما ذهبت».

- 21

طِبقًا لدفتر التحرُّكات، فأنا في استوديو تلفزيوني مُظلِم أجلس على أريكةٍ بُنِّيَّة اللون (يقول ملمسها إن النسيج 60٪ من البوليستر و40٪ من الصوف، مغزول على نول عريض، معالَج لمقاومة البُقَع وانطفاء اللون تحت دستةٍ من مصابيح الستوديو الكبيرة). تصفيفة شَعري من فلان الفلاني، ملابسي صمَّمها فلان الفلاني، جواهري برعاية فلان الفلاني.

تقول سيرتي الذاتيَّة إنني لم أكن قَط سعيدًا راضيًا في حياتي كما أنا الآن، وأنني أستمتع بكلِّ لحظةٍ منها. تقول البيانات الصحافيَّة إنني أسجِّل برنامجًا تليفزيونيًّا جديدًا، نصف ساعةٍ تُعرَض في وقتٍ متأخِّر من كلِّ ليلة أتلقَّى فيها مكالمات من ينشدون النصيحة وأقدِّم لهم وجهة نَظَرٍ جديدة. تقول البيانات الصحافيَّة أيضًا إن البرنامج سوف يُقدِّم نبوءة جديدة بين الحين والآخر. من الممكن أن تكون كارثة جديدة -زلزال، تسونامي، غزو للجراد- في الطريق إليك، لذا يُستَحسن أن تُشاهِد البرنامج على سبيل الاحتياط.

إنها نشرة الأخبار المسائيَّة قبل وقوع الحدث. أطلقت البيانات الصحافيَّة على هذا البرنامج اسم (السلام النَّفسي)، إن كان يمكنك اعتباره هكذا بالطبع.

فرتيليتي هي من قالت إنني سأصير شهيرًا ذات يوم، قالت إنني سأحكي للعالم كله عنها، لذلك يجدر بي أن أعرف الحقائق كاملة. قالت فرتيليتي إنني سأصف عينيها -بعد أن أشتهر- بأنهما كعيني قِطَّة، وشعرها كأنما بعثرته عاصفة. تلك هي كلماتها بلا زيادة أو نقصان. نعم، وشفتيها

كأنما لدغتهما نحلة. قالت إن ذراعيها ناعمتان كصدر دجاجة منزوع الجِلد، وقالت إن طريقة مشيها توحي بحُب المرح.

قالت فرتيليتي:

- «بعد أن تشتهر لا تجعلني أبدو كوحشٍ أو ضحيَّةٍ أو أيٍّ شيءٍ من هذا القبيل. أعرف أنك سوف تبيع دينك كله وكلَّ ما تؤمن به، لكن لا تتحدَّث كذبًا عني أرجوك، اتَّفقنا؟».

جزءٌ من شُهرتي إذن أن أقدِّم ذلك البرنامج مع إعلاميَّةٍ شهيرة. يبدأ الفاصل الإعلاني فتُعطيني ملخَّصًا بالمتَّصلين الذين طرحوا الأسئلة لأقرأ الإجابات على شاشة الملقِّن الآلي. يتَّصل الناس بي على رقم البرنامج المجَّاني و... ساعِدني، عالِجني، أطعِمني، اسمَعني. ما كنت أفعله بالضبط في شقَّتي الحقيرة ليلًا لكن على الملأ هذه المرَّة. أنقِذني أيها المنقِذ، خلِّصني أيها المُخلِّص.

الاعترافات التي يدلون بها لي في شقَّتي. الاعترافات التي يدلون بها على شاشة التليفزيون الوطني—إنها لا تختلف في شيءٍ عن قِصَّتي التي أحكيها الآن للصندوق الأسود في قمرة القيادة. اعترافي الخاص.

الأدوية التي كنت أتعاطاها عند تلك المرحلة، إذا أردت أن تنام ليلًا فالأجدر بك ألا تقرأ نشرتها الداخليَّة، فالأعراض الجانبيَّة تتضمَّن أشياء لا يمكنك أن تفعلها على شاشة التليفزيون الوطني، كالقيء وغازات البطن والإسهال.

تتضمَّن الأعراض الجانبية أيضًا الصداع والحمى والدُّوار والطَّفح الجلدي والتعرُّق.

يمكنني أن أسردها لك جميعًا:

لديك عُسر الهضم.

والإمساك.
وضيق التنفُّس.
والنُّعاس.
ومشاكل التذوُّق.

طِبقًا لمدرِّبي الخاص، فالپريمابولين هو الذي يجعلني أسمع ذلك الطنين في أذنيَّ، ويجعل يديَّ ترتجفان والعَرَق لا يكف عن التفصُّد من مؤخِّرة عنقي. قد يكون السبب هو التفاعُل بين الأدوية المختلِفة.

طِبقًا لمدرِّبي الخاص، فهذا شيء جيد لأنني أفقد الوزن الزائد بمجرَّد جلوسي ودون بذل مجهود.

طِبقًا لمدرِّبي الخاص، فإن أفضل طريقة للحصول على المنشِّطات الممنوعة هي أن تجد قِطَّة مصابة باللوكيميا وتأخذها إلى عيادات الأطباء البيطريين الذين سيصفون محاقن مملوءة بمنشِّطات الحيوانات تُعادِل أفضل المنشِّطات التي يستعملها الآدميُّون. يقول إنه لو عاشت القِطَّة فترة كافية يمكنك أن تُكدِّس لديك مخزون عامٍ كامل.

عندما سألته عمَّا سيحدث للقِطَّة، هزَّ كتفيه وسألني إن كان هذا من شأنه.

تجلس الإعلاميَّة قبالتي، ساقاها -كبقيَّة جسدها- قصيرتان، وأذناها متواريتان تحت قرطٍ كبير. كل مشاكلها متوارية بداخلها، كل عيوبها مخفيَّة تحت مظهرها السطحي، والرائحة الوحيدة التي تصدر منها -حتى من أنفاسها- هي رائحة سپراي الشَّعر. الطريقة التي تجلس بها في كرسيها وقد وضعت ساقًا على ساقٍ وطوت يديها في حِجرها تُذكِّرني بشيءٍ مصنوعٍ من الأوريجامي، لكن على نحوٍ أقل إتقانًا.

ها أنا الآن أجلس على أريكةٍ سُلِّطت عليها الأضواء الساخنة، محاطًا بالكاميرات والكابلات والفنيين الصامتين الذين يمارسون عملهم حولي

في الظلام. وكيل الأعمال موجود هنا بين الظلال وقد عقد ذراعيه وينظر إلى ساعته. يتحرَّك وكيل الأعمال إلى فريق الكتابة الذي يُجري بعض التعديلات الأخيرة على النُّسخة التي ستظهر على شاشة الملقِّن الآلي. على الطاولة الصغيرة المجاورة للأريكة هناك كوب من الماء المثلَّج، إذا رفعته ستهتز يدي بشدَّة تجعل مكعَّبات الثلج ترتج فيه، إلى أن يهز وكيل الأعمال رأسه لي وفمه يقول (لا) صامتةً.

وتبدأ الحلقة...

طِبقًا للإعلاميَّة، فإنها تشعر بألمي. لقد قرأت سيرتي الذاتيَّة وتعرف كلَّ شيءٍ عن الذُّل الذي خضعت له، وقرأت كلَّ شيءٍ عن المهانة التي لا بُد أنني شعرت بها وأنا عارٍ أباع كعبد عارٍ، عن كوني في السابعة أو الثامنة عشر فقط من عمري ويُجبرونني على الوقوف عاريًا أمام كلِّ هؤلاء الناس، كلِّ أتباع الطائفة، عاريًا. عبدٌ عارٍ، تقول، مكبَّل بأصفاد العبودية وعارٍ.

وكيل الأعمال في مجال رؤيتي وراء كتف الإعلاميَّة وقد تجمَّع فريق الكتابة حوله في الظلام، جميعهم يرتدون ملابسهم طبعًا.

إلى جوار وكيل الأعمال تقول لي شاشة الملقِّن الآلي إنني «*شعرت بالانتهاك وهُم يعرضونني عبدًا عاريًا للبيع بالمزاد*».

طِبقًا للملقِّن الآلي، فإنني «*شعرت بإهانةٍ بالغة، شعرت بأنني ملوَّث مستباح، بأنني فقدت إنسانيتي*».

يحتشد أفراد فريق الكتابة حول الملقِّن الآلي ويُردِّدون الكلمات بلا صوتٍ إذ أقرأها بصوتٍ عالٍ.

بينما أقرأ كلَّ هذا والكاميرات تراقبني، تنظر الإعلاميَّة إلى المخرج في الظلام وتلمس معصمها، فيرفع المخرج إصبعين ثم ثمانية أصابع،

فيخطو أحد الفنيين إلى دائرة الضوء ويعيد خُصلة نافرة من شعر الإعلاميَّة إلى وراء أذنها.

يقول لي الملقِّن الآلي إنني «*تعرَّضت للانتهاك الجنسي الذي كان شيئًا شائعًا بين أتباع الطائفة الكرِيدِشِيَّة. زنا المحارم كان جزءًا من الحياة اليوميَّة لكلِّ أسرةٍ، وكذلك كان الجِنس مع جميع أنواع الحيوانات. عبادة الشيطان كانت منتشرة، والكرِيدِش كانوا يُضحُّون بأطفالهم للشيطان طوال الوقت، لكن ليس قبل الاعتداء الجِنسي المجنون عليهم. ثم إن كبار الكنيسة الكرِيدِشِيَّة كانوا يقتلون الأطفال بعدها ويشربون دماءهم. كان هؤلاء أطفالًا اعتدت الجلوس إلى جوارهم في المدرسة يوميًّا، لكن كبار الكنيسة التهموهم. عندما يكتمل القمر كان كبار الكنيسة يرقصون عرايا لا يسترهم شيء إلا جلود الأطفال الموتى*».

نعم، أقول، لقد مررت بكلِّ هذه الأهوال، ويقول الملقِّن الآلي: «*ستجدون كلَّ الروايات المتعلِّقة بجرائم الكرِيدِش الجِنسيَّة في كتابي. اسمه (الخلاص من الخلاص)، وستجدونه في جميع المكتبات*».

بين الظلال يُعطي وكيل الأعمال وفريق الكتابة لبعضهم البعض سلاماتٍ صامتةٍ بالكف، ويشير لي وكيل الأعمال بإبهامه المرفوع.

أشعر بالخدر في يديَّ ولا أشعر بوجهي كله. لساني ينتمي لأحدٍ غيري وفمي ميت من فرط التنميل.

أعراض جانبية...

أما التنميل في قدمي فيقتل أيَّ إحساسٍ فيهما. أشعر بجسدي بعيدًا منفصلًا، تمامًا كصورتي وأنا أرتدي بذلة سوداء وأجلس على أريكةٍ بُنيَّة على شاشة الستوديو، تمامًا كما من المفترَض أن يحدث عندما تفارق روحك جسدك وتراقب ما تبقَّى منك -لحمك ودمك- إذ يموت.

يلوِّح المخرج بأصابعه في وجهي، إصبعين في يد وأربعة أصابع في الأخرى، ولا أدري ما يحاول أن يقوله لي.

معظم المكتوب على شاشة الملقِّن الآلي موجود في سيرتي الذاتيَّة التي لم أكتبها وطفولتي التي لم أعِشها. طِبقًا للملقِّن الآلي، فإن الكِريدِش يتلظَّون جميعًا في جهنم الآن.

يقول الملقِّن الآلي إنني *«لن أنسى الألم المهين المؤلم الذي أشعر به مهما ازددت ثراءً عندما أرث أرض مستعمرة مقاطعة الكنيسة الكِريدِشيَّة»*.

طِبقًا للملقِّن الآلي فإن *«كتابي الأحدث، (الأدعية الأكثر تداوُلًا)، أداة مهمَّة للتعامُل مع الضغوط الحياتيَّة التي نمر بها كلنا. الكتاب اسمه (الأدعية الأكثر تداوُلًا) وموجود في جميع المكتبات»*.

طِبقًا للإعلاميَّة التي تُتابِع المخرج الذي يُتابع وكيل الأعمال الذي يُتابِعني وأنا أُتابع الملقِّن الآلي—طِبقًا لها، فإنني أشعر بسعادةٍ ونجاحٍ لا يضاهيهما شيء الآن وقد نجوت من طائفة الموت الكِريدِشيَّة. عندما نعود بعد الفاصل، تقول للكاميرات، سنتلقَّى اتِّصالات المشاهِدين في المنازل.

فقرة إعلانيَّة.

تسألني أثناء الإعلانات إن كانت نشأتي بتلك الفظاعة حقًّا، فيتدخَّل وكيل الأعمال قائلًا أن نعم، كانت كذلك، كانت مروِّعة. يأتي أحد الفنيين وقد تدلَّت الأسلاك من حزامه وحول رأسه ويسألني إن كنت أريد بعض الماء، فيقول وكيل الأعمال أن لا. يسألني المخرج إن كنت أريد دخول الحمَّام، فيقول وكيل الأعمال إنني لا أريد. يقول إنني لا أحب التعامل مع حشدٍ من الغرباء الذين يُلقون عليَّ الأسئلة، إنني تطوَّرت وسموت فوق الحاجات البدنيَّة. عندها يقلب الفنيُّون عيونهم في ضيق وينظر المخرج والإعلاميَّة إلى بعضهما البعض ويهز كلٌّ منهما كتفيه كأنني صرفتهما بنفسي.

ثم يقول المخرج إننا سنعود على الهواء الآن، وتقول الإعلاميَّة إن المتَّصل الأول على الخط.

المتَّصل امرأة يأتي صوتها عبر سمَّاعات الستوديو:

- «إذا كنت في مطعمٍ مزدحم، وهو مطعم غالٍ جدًّا، وأخرَج أحد الجالسين إلى المائدة المجاورة ريحًا، ليس مرَّةً واحدةً فحسب بل مرَّاتٍ كثيرة والرائحة شنيعة، فماذا أفعل؟».

تضع الإعلاميَّة يدها على وجهها ويدير المخرج ظهره، بينما يلتفت وكيل الأعمال إلى فريق الكتابة الذي يضع إجابتي على الملقِّن الآلي.

في محاولةٍ لكسب الوقت تسأل الإعلاميَّة المتَّصلة عمَّا كانت تأكله، فتجيب هذه:

- «لحمًا، لكن هذا لا يهم. الرائحة كانت مقزِّزة للغاية وجعلتني لا أستطيع تذوُّق أيِّ شيء».

يقول الملقِّن الآلي إن *«الله خلقنا بحواسٍّ كثيرة»*.

الملقِّن الآلي يحاول كسب بعض الوقت أيضًا.

«من بين هذه الحواس حاسة الشَّم وحاسة التذوُّق».

لا أفعل شيئًا إلا قراءة الكلمات التي تظهر على الشاشة بصوتٍ عالٍ.

«لكن الإنسان وحده هو من يحكم على المِنح الإلهيَّة بأنها جيِّدة أو سيِّئة. الروائح كلها سواء عند الله».

لا أدري إلام يرمون بهذا.

«لا تعاني ولا تبتهجي، ولا تُشعرنَّك تلك المِنَح بالإطراء أو الإهانة، فلا تحكمي على أحدٍ خشية أن يُحكَم عليك».

يُحرِّك المخرج فمه قائلًا شيئًا ما صامتًا، بينما تقول الإعلاميَّة إن المتَّصل الثاني على الخط.

يسأل المتَّصل الثاني عن رأيي في الثونج[1] كملبسٍ للسباحة.

يقول الملقِّن الآلي إنه «رِجس».

أقول إنه بعد سنواتٍ من الخدمة لدى الأغنياء أعتقد أن صانعي ثونج السباحة والملابس الداخليَّة يجدر بهم أن يجعلوها سوداء اللون.

تقول الإعلاميَّة إن المتَّصل الثالث على الخط.

- «هناك رجل أحبه، لكنه يتحاشاني».

إنها فرتيليتي. هذا صوتها يتردَّد من سمَّاعات الستوديو ويُكلِّمني، يتكلَّم عني لأمريكا الشماليَّة كلها. هل تريد بدء مشاحَنة هنا على شاشات التليفزيون؟ تتفرَّع أفكاري إلى رسم بياني بالأكاذيب التي قلتها واستجابتي المحتَملة لما قد تقوله. هل ستفضحني وتكشف اللثام عن تنبُّؤاتي بالكوارث؟

هل استنتجت ما حدث وخمَّنت أنني دفعت أخاها إلى الانتحار؟ أم أنها كانت تعرف طوال الوقت؟ وإذا كانت تعرف من البداية أنني قتلت أخاها، فماذا الآن؟

- «هذا الرجل الذي يمتنع عن الاتِّصال بي حكيت له عن عملي. إنه يرفضه، لكنه يتظاهر بأنه لا يبالي به».

تسألها الإعلاميَّة: وما هو عملك بالضبط؟

شاشة الملقِّن الآلي خالية...

... وأمريكا كلها على وشك أن تعرف سرًّا كبيرًا الآن، إما عن فرتيليتي أو عني. وظيفتها الشريرة، خطي الساخن للانتحار، أحلامها بالكوارث، نبوءاتي المستعارَة منها.

تقول فرتيليتي:

---

(1) لباس بحر يكشف معظم الجسد.

- «لديَّ وكيل أعمال اسمه دكتور أمبروزي، لكنه ليس طبيبًا حقيقيًّا».

قالت لي فرتيليتي ذات يومٍ إنه سيأتي يوم يكون فيه للجميع، حتى عمال القمامة والسبَّاكين، وكيلُ أعمال. يجد دكتور أمبروزي هذا الأزواج الذين يملكون ما يكفي من مالٍ ويبحثون عن امرأةٍ تحمل أطفالهم، عن أمٍّ بالوكالة. يُطلِق دكتور أمبروزي على هذه العملية اسم الإجراء، وتتم بوجود الأب في الفراش مع فرتيليتي بينما تنتظر زوجته في الخارج.

- «تكون الزوجة خارج الغرفة تحيك أو تبحث بين أسماء الأطفال بينما يُفرِغ الزوج محتويات خصيتيه الضئيلة بداخلي».

عندما أخبرَتني عن عملها للمرَّة الأولى، عندما كنت لا أزال نكرةً ينصح الناس بالانتحار، قالت لي إن فرتيليتي هوليس اسم مستعار، وإن اسمها الحقيقي هو جوين لكنها تكرهه.

- «يقول دكتور أمبروزي إن الجماع بيني وبين الأب نوع من المداواة الطبيعيَّة. هذا ما يُردِّده للأزواج اليائسين. إنه ليس زنا».

قالت لي إن هذا ليس احتيالًا أو دعارة، قالت إنه مذكور في الكتاب المقدَّس، وقالت إن الإجراء يتكلَّف خمسة آلاف دولار.

- «هل قرأت سِفر التكوين؟ قصة راحيل وبيلها، وليا وزيلفا؟».

أردت أن أقول لها إن بيلها لم تستخدم حبوب منع الحمل، وزيلفا لم تجنِ خمسة آلاف دولار دون دفع ضرائب. لقد كانتا أَمَتين حقيقيَّتين ولم تسافرا إلى هنا وهناك لينكحهما أزواج العاجزات عن الإنجاب المتلهِّفون على مجيء الوريث.

تمضي فرتيليتي مع الزوجين فترة قد تبلغ أسبوعًا كاملًا، لكن كلَّ مرَّةٍ يتم فيها الإجراء مع الزوج تُكلِّف خمسة آلافٍ أخرى، ما يعني خمسة عشر ألف دولار في الليلة الواحدة في بعض الحالات، كما أن الزوجين يتكفَّلان بمصاريف الطيران وخلافه.

- «دكتور أمبروزي مجرَّد صوت على التليفون يُرتِّب كلَّ شيء. إنه ليس شخصًا حقيقيًّا بالمعنى المعروف، والزوجان يُرسلان له شيكًا بالنقود فيُرسل لي نصفها نقدًا. لا أعرف عنوانه حتى. إنه جبان كبير!».

أعرف ذلك الشعور.

يقول الملقِّن الآلي: *«مومس!»*.

- «كل ما عليَّ فعله هو ألا أحمل، ونجاحي لا شكَّ فيه».

وظيفتها، قالت لي، أن تكون عاقِرًا.

يقول الملقِّن الآلي: *«بَغِي!»*.

على الهاتف تقول إنها عقيم.

يقول الملقِّن الآلي: *«ساقِطة!»*.

إنها مهارتها الوحيدة الصالحة للتسويق، مهنتها التي لا تعرف غيرها.

إنه العمل الذي وُلِدَت لتمارسه.

لا تدفع أيَّ ضرائب، تحب السفر، تعيش في بيوت الأثرياء المختلفة، وهناك مرونة في المواعيد! قالت لي إن النوم يغلبها أحيانًا أثناء الجماع، ومع بعض الأزواج تحلم بالحرائق والجسور المنهارة والسيول التي تكتسح كلَّ شيءٍ في طريقها.

- «لا أعتقد أنني أرتكب أيَّ خطأ. إنني أصنع ليمونادة من الليمون لا أكثر».

يقول الملقِّن الآلي: *«ستحترقين في نيران الجحيم إلى أبد الآبدين أيتها الشيطانة الوثنيَّة القذرة!»*.

تسأل فرتيليتي على الهواء:

- «ما رأيك إذن؟».

تُحدِّق فيَّ الإعلاميَّة بشِدَّة تجعلها لا تلاحظ خُصلة شعرها التي

سقطت على جبهتها. يُحدِّق فيَّ المخرج، يُحدِّق فيَّ وكيل الأعمال، تزدرد الإعلاميَّة لعابها، يكتب فريق الكتابة أشياء على شاشة الملقِّن الآلي.

«ادعي الله أن يختطفك الموت يا عاهرة الشيطان!».

أمريكا كلها تشاهد.

«لا مجال للغفران لك أيتها السافلة!».

يُكرِّر صوت فرتيليتي:

- «ما رأيك إذن؟».

«قذرة!».

يشير إليَّ وكيل الأعمال، ثم إلى الملقِّن الآلي، ثم إليَّ، ثم إلى الملقِّن الآلي.

«دَنِسة!».

- «لن تُصدر عليَّ حكمًا رادعًا الآن، أليس كذلك؟».

«نَجِسة!».

لا تعرض القناة الآن إلا الصمت التام. يجب أن يقول أحدنا شيئًا.

بفمي فاقد الحِس أقرأ الكلمات المكتوبة على الملقِّن الآلي، بشفتيَّ اللتين لا أشعر بهما أردِّد ما كتبوه لي لا غير.

تسأل الإعلاميَّة:

- «المتَّصلة رقم ثلاثة، أما زلتِ معنا؟».

يُلوِّح لنا المخرج بأصابعه، خمسة، أربعة، ثلاثة، اثنان، واحد، ثم يُمرِّر سبابته على حَلْقه.

- 20 -

أريد أن يعرف الناس أيضًا، قبل أن تسقط الطائرة، أنني لم أكن صاحب فكرة پورنفيل، أو مقبرة الپورنو.

دائمًا ما يضع وكيل الأعمال أوراقًا ما أمامي ويقول: وقِّع هذا. يقول: وقِّع هنا، هنا، وهنا. يقول وكيل الأعمال أن أضع الحروف الأولى من اسمي عند كلِّ فقرة، ويقول ألا أزعِج نفسي بالقراءة لأنني لن أفهم شيئًا.

وبهذه الطريقة خرجت مقبرة الپورنو إلى الوجود.

لم تكن فكرتي أن آخذ العشرين ألف فدَّان التي تُمثِّل أرض مقاطعة الكنيسة الكِريدِشِيَّة وأحوِّلها إلى مستودعٍ لجميع مواد الپورنو التي عفا عليها الزمن على مستوى القارَّة الأمريكيَّة كلها، من مجلاتٍ وأوراق لعب وشرائط ڤيديو وأقراص مضغوطة وقضبان ومهابل صناعيَّة مستهلَكة ودُمى نفخ مثقوبة. تعمل الجرَّافات هناك على مدار ساعات اليوم الأربع وعشرين. لاحِظ أننا نتكلَّم عن عشرين ألف فدَّان، اثنان-صفر-صفر-صفر-صفر فدَّان، أي كل قدم مربَّع من أرض الكِريدِش التي نزحت منها الحياة البرِّيَّة وتلوَّثت مياهها الجوفيَّة.

يُقارِنون هذه المقبرة بمأساة لاف كانال في نيويورك -الولاية لا المدينة- لكن هذا ليس ذنبي.

قبل أن ينتهي شريط التسجيل داخل الصندوق الأسود يجب أن يعرف الناس من يستحق اللوم. إنه وكيل الأعمال. كتاب (الأدعية الأكثر تداوُلًا)، برنامج (السلام النَّفسي)، شركة پورنفيل الأمريكية، حملة سِفر التكوين، تمثال تندر برانسن المصغَّر، وحتى ظهوري بين الشوطين

في نهائي دوري كرة القدم؛ كل هذه الأشياء تفتَّقت عنها قريحة وكيل الأعمال وحده.

وكلها أشياء جنت أطنانًا من المال.

المهم -أكرِّر- أن لا شيء منها كان فكرتي أنا.

مقبرة الپورنو طَرَحَ عليَّ وكيل الأعمال فكرتها ذات يومٍ في دالاس أو ممفيس. كانت حياتي في تلك المرحلة عبارة عن ستادات وغُرَف فنادق يفصل بينها الوقت الذي أقضيه على متن الطائرات بدلًا من قطع المسافات الفعليَّة. العالم كله كان عبارة عن نقوشٍ على سجَّاد تمر تحت قدميَّ، تشكيلات زهريَّة من الپوليستر والنيلون أو شعاراتٍ لشركاتٍ ما على أرضيَّاتٍ ذات لونٍ أزرق غامق أو رمادي لا تُظهِر حروق السجائر أو البُقَع.

كان العالم كله عبارة عن حمَّامات عامَّة أجلس فيها وفرتيليتي على الجانب الآخر من الحائط تهمس:

- «ليلة الغد ستصطدم سفينة سياحيَّة بجبلٍ جليدي».

تهمس:

- «في الثانية ظُهرًا بتوقيت الساحل الشرقي يوم الأربعاء القادم سينقرض النمر البوليڤي الرمادي».

يقول وكيل الأعمال إن واحدةً من أكبر المشاكل التي يعاني منها الأمريكيون هي التخلُّص من المواد الپورنوجرافيَّة بأسلوبٍ آمن يضمن الخصوصيَّة. في جميع أنحاء أمريكا، يقول، هناك مجموعات هائلة من مجلات (پلايبوي) أو (سكرو) لم تعد تثير أحدًا. هناك مخازن كاملة بها أرفف مليئة بشرائط الڤيديو التي تعرض نكراتٍ ذوي سوالف طويلة أو عيون مظلَّلة بالأزرق يتناكحون على أنغام موسيقا رديئة. ما تحتاجه أمريكا، يقول، هو مكان يُشحَن إليه هذا السُّخام البالي ليتحلَّل بعيدًا

عن أعين الأطفال والمتديِّنين. يعرض عليّ وكيل الأعمال الفكرة بعد أن أجرى دراسة جدوى عن دفن المواد المختلفة -ورق، بلاستيك، إلاستيك، لاتكس، مطّاط، جلد، إبزيمات معدنيَّة، سحابات، حلقات من الكروم، ڤلكرو، ڤاينل، نفط، زيوت تشحيم، نيلون- تحت الأرض.

فكرته هي إنشاء نقاط تجميع يضع فيها الناس موادَّهم الپورنوجرافيَّة دون طرح أسئلة، ومن هناك تشحن الشركات المحليَّة هذه المواد في الحاويات الخاصَّة التي تُستخدَم لنقل المواد البيولوچيَّة الضارَّة، كالآلات الحادَّة والضمَّادات الملوَّثة من المستشفيات مثلًا، وينتهي الأمر بالپورنو في أرض مستعمرة مقاطعة الكنيسة الكِريدِشِيَّة في وسط نبراسكا حيث ستبقى هناك.

سوف تكون هناك ثلاثة تصنيفات:

سوفت كور، هارد كور، وأطفال.

سيُسمَح للنوع الأول بالتعفُّن على سطح الأرض، والثاني ستدفنه الجرَّافات تحت الأرض، أما الثالث فسيتعامل معه قوم غير مكترثين بهذا النوع من الپورنو، يرتدون بذلاتٍ واقية كاملةٍ مضادة للتمزُّق، تتضمَّن قفَّازات وأحذية بسُمك 50 ملليمترًا وأقنعة للتنفُّس، وسيتولَّى هؤلاء دفن پورنو الأطفال في سراديب تحت الأرض حتى يبلى فيها بعد أن تنتهي دورة حياة المواد التي صُنع منها وتستمر بليون عامٍ تقريبًا.

طِبقًا لوكيل الأعمال، علينا أن نجعل الناس يشعرون بالهلع من التهديد الذي يُمثِّله الپورنو على المجتمع.

سوف نلح على الحكومة كي تجعل التخلُّص من الپورنو المستهلَك بطريقةٍ نظيفةٍ آمنة إجباريًّا، أي على طريقتنا نحن، تمامًا كزيوت المحرِّكات أو الإسبستوس: إذا أردت التخلُّص منها فعليك دفع المقابل.

سوف نُريهم المواد الپورنوجرافيَّة المستهلَكة وقد ملأت الشوارع، تُفسد الأطفال وتحثّ على الجرائم الجِنسيَّة.

سوف توزَن المواد المشحونة إلينا بالطِّن كي نقبلها، وستُمرِّر الشركات المحليَّة التكلفة لعملائها مع هامش ربح إضافي. هكذا نكسب وتكسب الشركات المحليَّة ويستطيع المواطن الأمريكي العادي الخروج لشراء پورنو طازج، وتُثري صناعة الپورنو.

حسن، أقصد تزداد ثراءً.

طِبقًا لوكيل الأعمال، فهذا موقف مُربِح لجميع الأطراف...

ثم لم يصبح كذلك.

كان وكيل الأعمال يُعِدُّ بالفعل مُسَوَّدَة بالقانون الفِدرالي الجديد الذي يفرض عليك دفع ضريبة على جميع المواد الپورنوجرافيَّة، وتستخدم الحكومة ضريبة الپورنو الخاصَّة هذه لدفع تكاليف دفن المواد الپورنوجرافيَّة التي يُعثَر عليها هنا أو هناك، بالإضافة إلى تخصيص جزء منها لتنظيف مقالب النفايات غير القانونيَّة وإعادة تأهيل مدمني الجِنس، لكن بمبلغ ليس كبيرًا جدًّا.

قبل أن أسمع كلمة واحدة حتى عن پورنفيل، كان قد تم التلاعُب بتقرير أثر المشروع على البيئة وتزييف تقرير الآثار الإيجابيَّة التي ستنتج عنه. كانت وكيلة الدعاية قد بدأت تُرسِل الفاكسات إلى الجماعات الدينيَّة ليل نهار لتختبر ردَّ الفعل، وكانت جماعات الضغط بدأت الضغط على الحكومة فعلًا. كانت هناك أرض الكنيسة الكِريدِشِيَّة الملأى بالأشباح ولا أحد يريد شراءها أو تأجيرها، وكانت هناك ملايين من المواد الپورنوجرافيَّة غير المرغوب فيها. الأمر كله منطقي إذن، وهو ما رآه الجميع باستثنائي.

لم يكن هذا قراري، ولقد جرَّبت بعض البدائل؛ كترديد دعاء إفساح مساحات زائدة للتخزين أو ابتلاع 4000 ملليجرام من الجاماكيس الذي هو شوكولاتة لا غير. حسبت أن هذا سيحل المشكلة لأمريكا. ردَّدت دعاء إعادة تدوير الجرائد القديمة المتكوِّمة، لكن تلك تختلف. ردَّدت

دعاء المماطَلة، لكن وكيل الأعمال كان مُلحًّا كالكابوس.

طِبقًا لصُحُف الصباح ذات يوم، فإن مشروع قانون دفن المواد الحسَّاسة خرج من البيت الأبيض إلى مجلس الشيوخ، والرئيس على وشك التصديق عليه.

ويظل وكيل الأعمال يقول لي أن أوقِّع هذا. الأحرف الأولى هنا، هنا، وهنا.

وأردِّد دعاء الوثائق المهمَّة التي لا تقرأها.

طِبقًا لفرتيليتي، فإن مقبرة الپورنو هي ما دفع أخي آدم للخروج من مخبئه.

دوري الوحيد في المشروع كله كان توقيع الأوراق لا غير، ومنذ ذلك الحين يعتقد كل أمريكي أنه خطئي أنا أنهم يدفعون دولارين إضافيين عند شراء مجلة للصُّور العارية.

بعد ذلك ظهر آدم برانسن ليُصوِّب مسدَّسا إلى رأس فرتيليتي الملول كي يُجبرها على معرفة مكاني.

كأن فرتيليتي لم تعرف أن هذا سيحدث!

كانت فرتيليتي تعرف كلَّ شيء، ووصفت تهديد أخي بقتلها بأنه كان حَسَن النِّيَّة.

ولاحقًا، عندما حان دوري لتصويب المسدَّس نفسه إلى رأس الطيَّار، فهمت السرعة التي يمكن أن تحدث بها تلك الأشياء.

ومع ذلك أنا الذي يكرهه الناس!

أنا، الذي أطلقوا اسمه على مقبرة تندر برانسن القومية لدفن المواد الحسَّاسة.

قالت فرتيليتي في آخر مرَّةٍ رأتني فيها إنني تطوَّرت شكلًا حتى أنها لم تكن لتتعرَّفني، ثم سألتني إن كنت أحتاج كارثة جديدة.

- «أحتاج كارثة جديدة».

- «انظر في المرآة إذن».

وكان آدم لا يزال طليقًا في مكانٍ ما يطاردني على سبيل المرح. آدم، الأخ الذي قالت لي فرتيليتي أن أصفه بأنه قِدِّيس.

- 19 -

قبل أن تسقط الطائرة، أو قبل أن ينفد شريط التسجيل داخل الصندوق الأسود، ثمَّة أخطاء أخرى أريد الاعتراف بها تتضمَّن التالي:

برنامج (السلام النَّفسي).

تمثال تندر برانسن المصغَّر.

اللعبة اللوحيَّة (صغائر الكتاب المقدَّس)، كأن أيَّ شيءٍ يقوله الله صغير!

قال لي وكيل الأعمال إن السر هو الاحتفاظ بعدَّة أفكار ومشاريع في جُعبتنا، وبهذا عندما يفشل أحدها يستمر الأمل في نجاح ما يليه.

وتمتد القائمة لتشمل.

كتاب (ممارَسة الحمية حسب الكتاب المقدَّس).

كتاب (أسرار المال والكسب في الكتاب المقدَّس).

كتاب (أسرار الجِنس في الكتاب المقدَّس).

كتاب (الكتاب المقدَّس لتجديد المطابخ والحمَّامات).

معطِّر جو تندر برانسن.

حملة سِفر التكوين.

وهناك أيضًا الجزء الثاني من كتاب (الأدعية الأكثر تداوُلًا)، وإن كانت الأدعية التي فيه أقرب إلى الشعوذة. مثلًا، هناك دعاء جعل أحدهم يحبك، أو دعاء إصابة عدوك بالعمى.

كلُّ هذه الأشياء من إنتاج مؤسَّسة تندر برانسن، ولا واحد منها كان فكرتي.

حملة سِفر التكوين بالذات لم تكن فكرتي بأيِّ شكلٍ من الأشكال، وقاومتها بيديَّ وأسناني، لكن المشكلة أن هناك من كانوا يسألون إن كنت لم أفقد عذريتي بعد، أناس أذكياء يتساءلون إن كنت أعاني من نوعٍ من التخلُّف العقلي بما أنني لم أمارِس الجِنس ولو مرَّة في سِنِّي هذه.

يسأل الناس: ما هي مشكلتي مع الجِنس؟

يسألون: حقًّا، ما هي مشكلتي؟

كانت حملة سِفر التكوين عبارة عن علاجٍ سريع فكَّر فيه وكيل الأعمال. شيئًا فشيئًا صارت حياتي علاجًا لعلاجٍ سابق لعلاجٍ أسبق إلى أن أنسى المشكلة الأصليَّة. كانت المشكلة هذه المرَّة أنه من غير الممكن أن تكون رجلًا أمريكيًّا في منتصف العمر ولم تمارس الجِنس في حياتك دون أن تكون مصابًا بعِلَّةٍ ما. لا يستطيع الناس أن يتصوَّروا فضيلةً ما في شخصٍ آخر لا يمكنهم تصوُّرها في أنفسهم، وبدلًا من إيمانك بأنك أقوى، فمن الأسهل بكثير أن تتخيَّل أنك أضعف. أنت مدمن على إيذاء الذات، أنت كذَّاب، والناس جاهزون دائمًا لتصديق عكس ما تقوله لهم.

أنت لا تملك التحكُّم في نفسك.

لقد خصوك وأنت طفل.

كانت حملة سِفر التكوين حدثًا إعلاميًّا أثار الكثير من الجدل.

وكان العلاج السريع هو أن وكيل الأعمال قرَّر تزويجي.

هذا ما أخبرَني به ونحن في الليموزين ذات نهار.

معنا في السيَّارة المدرِّب الشخصي الذي يقول لي إن إبر الإنسولين الدقيقة هي الأفضل لأنها لا تجرح العِرق من الداخل. وكيلة الدعاية

موجودة أيضًا، تنظر إلى الخارج عبر النافذة الداكنة ومعها وكيل الأعمال، بينما يشحذ المدرِّب إبرة على الجانب الخشِن من عُلبة ثقاب، ثم يحقنني بـ50 ملليجرامًا من اللورابولين.

استخدام إبر الإنسولين لا يؤلم فعلًا.

يقول وكيل الأعمال إنك مهما اشتهيت الجِنس يمكنك أن تنساه. عندما كان مراهقًا أصيب وكيل الأعمال بحساسيَّة للحليب، وكان يحب الحليب لكنه لم يعد يستطيع أن يشربه، وبعد سنواتٍ كانوا قد طوَّروا نوعًا من الحليب خاليًا من اللاكتوز يمكنه أن يشربه، لكنه كان قد صار يمقت مذاق الحليب. يحكي أنه عندما أقلع عن شُرب الكحول بسبب مشكلة في الكلى كان يحسب أنه سيفقد عقله من فرط حاجته إليه، لكنه الآن لم يعد يُفكِّر في تناوُل كأس شرابٍ واحد.

للحيلولة دون تجعُّد بشرة وجهي، حَقَنَ مختص الأمراض الجلديَّة التابع للفريق معظم العضلات حول فمي وعينيَّ بالبوتوكس لشلِّ هذه العضلات طوال الأشهر الستة التالية. التفاعُلات بين الأدوية المختلِفة تجعلني أشعر بالكاد بذراعيَّ وقدمي. أضف إلى هذا حُقَن البوتوكس التي تجعلني لا أشعر بوجهي تقريبًا. يمكنني أن أتكلَّم وأبتسم، لكن على نحوٍ محدودٍ للغاية.

نحن الآن في الليموزين المتَّجهة إلى الطائرة التي ستحملنا إلى ستادٍ ما، يعلم الله وحده أين.

طِبقًا لوكيل الأعمال، فإن سياتل ليست إلا المنطقة الجغرافيَّة المحيطة بستاد كينجدوم، ديترويت هي مجرَّد الناس الذين يقطنون حول ستاد سيلفردوم. نحن لن نذهب إلى هيوستن أبدًا، لكن إلى ستاد أسترودوم، أو سوپردوم، أو مايل هاي، أو چون كندي، أو چاك ميرفي، أو چيكوبز فيلدز، أو شيا، أو ريجلي. كل هذه الأماكن هناك بلدات تحيط بها، لكن الستادات وحدها هي المهمَّة.

منسِّقة المناسَبات معنا أيضًا في السيَّارة، وتُعطيني قائمةً بأسماء النساء اللاتي يردن الزواج مني، بينما يعطيني وكيل الأعمال قائمة بأسئلةٍ يجب أن أحفظها.

السؤال الأول: *«في العهد القديم، من المرأة التي حوَّلها الله إلى بهار؟»*.

تُجهِّز منسِّقة المناسَبات زفافًا رومانسيًّا ضخمًا على خط الـ50 ياردة بين الشوطين في المباراة النهائيَّة لدوري كرة القدم، وستعتمد ألوان الزفاف على الفريقين اللذين سيصلان إلى الدور النهائي. أما ديانة العروس فسوف تعتمد على نتيجة معركة العطاءات، تلك المعركة الصامتة تمامًا التي تدور كي أعتنق الكاثوليكيَّة أو اليهوديَّة أو البروتستانتيَّة، طالما انتهى أمر الكنيسة الكِريدِشِيَّة تمامًا.

السؤال الثاني: *«في العهد القديم، من المرأة التي التهمتها الكلاب؟»*.

الخيار الآخر الذي يُفكِّر فيه وكيل الأعمال هو التخلِّي عن الوساطة بالكامل وتأسيس ديانتنا الكُبرى الخاصَّة، أن نجعل العالم يعترف بعلامتنا التجاريَّة ونبيع للمستهلِك مباشرةً.

السؤال الثالث: *«هل تعتقدين أن السعادة الأبديَّة في جنَّة عدن صارت مملَّة نوعًا، ومن ثم كان أكل التفاحة المحرَّمة مبرَّرًا؟»*.

يجلس ستتنا أو سبعتنا في الليموزين على الكرسيَّين العريضين وقد تداخلت أرجلنا.

طِبقًا لوكيلة الدعاية فإن كلَّ شيءٍ يتعلَّق بالزفاف جاهز، وقد اختارت لجنة بالفعل عروسًا غير طائفيَّة، لذلك ستكون عمليَّة إلقاء الأسئلة هذه كلها ملفَّقة. اللجنة معنا في الليموزين أيضًا، وهناك من يخلطون المشروبات على البار الصغير ويُناوِلونها إلى بعضهم البعض. ستكون

العروس فتاة عيَّنوها حديثًا كمساعدةٍ لمنسِّقة المناسَبات، وهي أيضًا معنا في الليموزين، تجلس على الكرسي المقابل لي وتميل إلى الأمام.

تُلقي عليَّ التحيَّة، وتقول إنها واثقة من أننا سنكون في غاية السعادة معًا.

يقول وكيل الأعمال إننا نحتاج إلى معجزةٍ كبيرة أقوم بها أثناء الزفاف.

تقول وكيلة الدعاية: أكبر معجزة ممكنة.

يقول وكيل الأعمال إنني يجب أن أعثر على أكبر معجزةٍ يمكن تأديتها على الإطلاق.

مع غضب فرتيليتي مني، وأخي الطليق في مكانٍ ما، واللورابولين في مجرى دمي، ولعبة اختيار وعاءٍ مقدَّس لي -مشروع سِفر التكوين- وتلك الغريبة التي ستتزوَّجني وتُفقِدني عذريَّتي، والضَّغط النَّفسي الذي يجعلني أرغب في الانتحار، لا أدري أيَّ معجزةٍ يمكنني أن أقوم بها.

يقول مساعد المنسِّق الإعلامي إن الفودكا نفدت. هو أيضًا معنا في الليموزين. النبيذ الأبيض نفد بدوره، لكن لدينا الكثير من ماء التونيك.

كلهم يرمقونني...

مهما فعلت، ما زالوا يريدون المزيد، الأفضل، الأسرع، المختلِف، الأجَدّ، الأكبر. كانت فرتيليتي على حق.

والآن يقول لي وكيل الأعمال إنني يجب أن أؤدِّي أكبر معجزةٍ في حياتي على الإطلاق، وإنني يجب أن أبلغ بها الاكتمال.

آمين، أقول له، كأنني أجهل هذا!

- 18 -

يسألونني دائمًا إن كنت أستطيع استخدام محمصة الخبز. هل أعرف ما تفعله جزّازة الحشائش؟

هل أعرف فيم يُستخدَم بلسم الشَّعر؟

لا يريد الناس مني أن أتصرَّف كخبيرٍ في الحياة والناس، يريدون مني أن أتمتَّع بنوعٍ من براءة آدم في الجنَّة في عصر ما قبل التفاحة، ببساطة المسيح وهو طفل. يسألونني: هل أعرف كيف يعمل التليفزيون؟

لا، لا أعرف، لكن أكثر الناس لا يعرفون!

الحقيقة أنني لم أكن عالم صواريخ أصلًا، كما أنني بدأت أخسر أرضًا كلَّ يوم. إنني لست غبيًّا، لكنني في الطريق إلى ذلك. ليس من الممكن أن تقضي حياتك البالِغة في العالم الخارجي ولا تعرف كيف تعمل الأشياء. صدِّق أو لا تُصدِّق، لكني أعرف كيف أستخدم فتَّاحة العُلَب!

أصعب جزء في كونك قائدًا دينيًّا شهيرًا أن تنزل بمستواك إلى توقُّعات الناس.

يسألني الناس: هل أعرف فيمَ يُستخدَم مجفِّف الشعر؟

طِبقًا لوكيل الأعمال، فإن سِر البقاء على القمة هو ألا تُمثِّل مصدر تهديد، أن تكون لا شيء، مساحة فارغة يملأها الناس حسب هواهم، أن تكون مرآة. أنا النسخة الدينيَّة من الفائز باليانصيب. أمريكا تعج بالأغنياء والمشاهير، لكن يجدر بي أن أكون التركيبة النادرة: محتفًى بي وأحمق، شهيرًا ومتواضِعًا، بريئًا وثريًّا. هكذا يعتقد الناس أنك تعيش حياتك

المتواضِعة، حياة چان دارك ومريم العذراء، تغسل الأطباق، ثم يأتي يوم وتموت.

يسألني الناس: هل أعرف ماذا يكون العلاج اليدوي؟

يحسب الناس أن القداسة مجرَّد شيءٍ يحدث لك، أن العمليَّة كلها بتلك البساطة، كأنك مارلين مونرو بالفعل ولست نورما چين عندما يكتشفونك. قد يكون ذلك ممكنًا في القرن الحادي عشر مثلًا، لكن اليوم هناك ليزر يزيل تلك الخطوط الصغيرة حول فمك قبل تسجيل سهرة الكريسماس التليفزيونيَّة الخاصَّة، هناك تقشير للجلد بالكيماويَّات، هناك جراحات تجميل. حياة چان دارك كانت سهلة بالمقارَنة.

اليوم يسألني الناس: هل أعرف ماذا يكون الحساب الجاري؟

يسألونني طوال الوقت عن سبب عدم زواجي. هل تراوِدني أفكار غير نقيَّة؟ هل أؤمن بالله؟ هل أمارس العادة السريَّة؟ هل أعرف فيم تُستخدَم فرّامة الورق؟

لا أدري، لا أدري، لديَّ شكوكي، لن أجيب عن هذا السؤال. ثم أتَّصل بوكيل الأعمال ليشرح لي طريقة استخدام فرّامة الورق.

في هذه المرحلة من القِصَّة تصلني بالبريد نُسخة من (الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النَّفسيَّة). سلَّمه مساعد ما في فريق البريد الوارد إلى أحد المنسِّقين الإعلاميين، الذي سلَّمه إلى أحد موظَّفي الدعاية، الذي سلَّمه إلى مسؤول جدول الأعمال النهاري، الذي وضعه على صحفة الإفطار في جناحي بالفندق؛ وإلى جوار الـ430 جرامًا من الكربوهيدرات المركَّبة والـ600 جرام من بروتين الألبومين التي أتناولها كلَّ صباح أجد الكتاب الضائع من موظَّفة التحريِّات الاجتماعيَّة رحمها الله.

يأتيني البريد في عشرة أجولة في المرَّة الواحدة أحيانًا، ولديَّ رقمي البريدي الخاص.

ساعِدني، عالِجني، أنقِذني، أطعِمني.

يقولون عني المنقِذ، المخلِّص، القائد.

يقولون عني المهرطِق، الكافر، المسيح الدجَّال، الشيطان.

أجلس إذن في الفراش وقد وضعت صحفة الإفطار على حِجري وأتصفَّح الدليل. لا يوجد عنوان للراسل على الطرد الذي جاء فيه، لكن على غلاف الكتاب الداخلي أرى توقيع موظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة. من الغريب كيف يفوق الاسم الإنسان عمرًا، والبرهان النظريَّة، والرمز المرموز إليه. تمامًا كالأسماء المحفورة على كلِّ شاهدٍ على كلِّ سرداب في ضريح كولومبيا التذكاري، لم يتبقَّ من موظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة إلا اسمها.

كم نشعر بأننا أسمَى من الموتى!

على سبيل المثال، إذا كان مايكل آنجلو بهذا الذكاء، فلِمَ مات؟

أشعر أثناء تصفُّحي الدليل بأنني أحمق غبي بدين، لكنني ما زلت حيًّا.

ما زالت موظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة ميتة، وها هو الدليل على أن كلَّ شيءٍ درسَتْه وآمَنَت به في حياتها خاطئ. في نهاية هذه الطبعة من الدليل هناك قائمة بالتصحيحات التي أُجرِيت على الطبعة السابقة. لقد تغيَّرت القواعد بالفعل.

ها هي التعريفات الجديدة للمقبول والطبيعي والمعقول.

غياب الذُّروة الجِنسيَّة لدى الذكور أصبح اسمه اضطراب الذُّروة الجنسيَّة الذكوري.

ما كان اسمه فقدان الذاكرة النَّفسي بات فقدان الذاكرة الانفصالي.

اضطراب القلق المصاحب للأحلام أضحى يُعرف باسم اضطراب الكوابيس.

تتغيَّر الأعراض من طبعةٍ إلى طبعة، والعقلاء أصبحوا مجانين حسب

المعايير الجديدة، والذين كانوا مجانين صاروا صورة مُشرِقة للصِّحَّة النَّفسيَّة.

دون أن يطرق الباب يدخل وكيل الأعمال الغرفة ويجدني في الفراش أقرأ. أقول له أن ينظر ماذا جاءني بالبريد، فينتزع الكتاب من يدي في عُنف ويسألني إن كنت أعرف ماذا يكون دليل الإدانة. يقرأ اسم موظَّفة التحريِّات الاجتماعيَّة على الغلاف ويسألني:

- «هل تعرف ما هي جريمة القتل من الدرجة الأولى؟».

يمسك الكتاب بيدٍ ويضرب عليه بالأخرى ويصيح:

- «هل تعرف كيف سيكون شعورك وأنت جالس على الكرسي الكهربائي؟».

ويضربه...

- «هل تدرك ما ستفعله إدانتك في جريمة قتل بمبيعات تذاكر عروضك القادمة؟».

ويضربه...

- «هل تُدرِك مدى فداحة دخولك السجن؟».

لا أدري عمَّا يتكلَّم.

يجعلني صوت المكانس الكهربائيَّة في الرواق خارج الجناح أشعر بالكسل. إنها الظهيرة وأنا لا أزال في الفراش.

- «أتكلَّم عن هذا!»، يقولها وهو يقبض على الكتاب بيديه ويدسّه في وجهي. «هذا الكتاب! هذا ما يعتبره رجال الشُّرطة تذكارًا للجريمة».

يقول وكيل الأعمال إن محقِّقي الشُّرطة يطلبون الكلام معي كلَّ يوم عن قضيَّة العثور على موظَّفة التحريِّات الاجتماعيَّة ميتة، يسأله رجالَ الـFBI عن نسخة دليل الاضطرابات النَّفسيَّة الخاصَّة بها التي اختفت مع ملفَّات عملائها في الأسبوع الذي اختنقت فيه بغاز الكلورين حتى

الموت. الحكومة لا تشعر بالرضا عن فراري من مسرح الحادث.

- «هل لديك أدنى فكرة كم هُم قريبون من الحصول على إذنٍ قضائي بالقبض عليك؟».

هل أعرف معنى المشتبَه به الأساسي في جريمة قتل؟

هل أدرك كيف سيبدو لهم وجود هذا الكتاب في حوزتي؟

ما زلت في الفراش ألتهم التوست (بلا زبدة) والشوفان (بلا سُكَّر بني). أتمطَّى وأقول له أن استرخِ، انسَ الأمر، لقد جاء الكتاب بالبريد، فيقول متهكِّمًا إنها مصادَفة قابلة للتصديق بالفعل.

ما يقصده أنه من المحتمَل أنني أرسلته لنفسي، فهو بمثابة تذكار لا بأس به من حياتي القديمة. الحق أنه على الرغم من حياتي الصعبة حاليًّا بكلِّ ما فيها من أدوية وجداول ولا مصداقيَّة على الإطلاق، إلا أنها أفضل من حياةٍ قضيتها في تنظيف المراحيض. كما أن السرقة ليست شيئًا جديدًا عليَّ. من الأساليب الجيدة الأخرى للسرقة من المحال أن تجد الشيء الذي ترغب فيه وتقطع بطاقة السعر منه، ويفلح هذا الأسلوب بالذات في المتاجر الكبيرة جدًّا ذات الأقسام الكثيرة، حيث لا يستطيع بائع واحد أن يعرف كلَّ شيء. انتقِ قبَّعة أو زوجًا من القفَّازات أو مظلَّة واقطع بطاقة السعر، ثم سلِّمها إلى قسم المفقودات، فليس من الضروري أن تغادر المكان بها حتى. إذا اكتشف المتجر أنها ضمن بضائعه فسوف تعود إلى مكانها دون مشاكل، لكنها في معظم الأحيان توضع في سلَّة أو صندوق المفقودات، وإذا لم يطالِب بها أحد خلال ثلاثين يومًا فهي لك. وبما أن لا أحد فقدها أصلًا فلن يأتي أحد ليسأل عنها. من المعروف أن المتاجر متعدِّدة الأقسام لا تُكلِّف العباقرة بإدارة قسم المفقودات.

يسألني وكيل الأعمال بسخط:

- «هل تعرف معنى غسيل الأموال؟».

من الممكن أن تكون هذه هي الحيلة نفسها، كأنني قتلت موظَّفة التحرِّيات الاجتماعيَّة وأرسلت الكتاب إلى نفسي، أو غسلته إذا جاز التعبير. كأني أرسلت الكتاب إلى نفسي كي أتظاهر بالبراءة وأنا جالسٌ هنا مستندًا إلى وسائدي المصنوعة من القُطن المصري أتفاخر بجريمتي وألتهم الإفطار ظُهرًا.

تجعلني فكرة غسيل أيِّ شيءٍ أشعر بالحنين إلى صوت الملابس ذات القطع المعدنية إذ تدور وتدور في الغسَّالة.

هنا في جناح الفندق لست مضطرًّا للبحث عن دافِعٍ في مكانٍ بعيدٍ، فملفِّي الذي كان مع موظَّفة التحرِّيات الاجتماعيَّة فيه جميع سجلات علاجها لي، أنا الاستعرائي، مشتهي الأطفال، سارق المحال.

يسألني وكيل الأعمال: هل أعرف كيف تستجوب الـFBI المشتبَه بهم؟

يسألني: هل أحسب الشُّرطة بهذا الغباء حقًّا؟

- «بافتراض أنك لست القاتل، هل تعرف من أرسل الكتاب؟ من قد يحاوِل تلفيق التهمة لك؟».

ربما، غالبًا، نعم، أعرف.

يعتقد وكيل الأعمال أنه شخصٌ ما من ديانة معادية، منافس غيور، كاثوليكي أو معمداني أو طاوي أو يهودي أو أنجليكاني.

أقول له إنه أخي. لديَّ أخ أكبر قد لا يزال حيًّا، ومن السهل تخيُّل آدم برانسن طليقًا يقتل النَّاجين بأساليب تجعل الشُّرطة تعتقد أنها انتحار. موظَّفة التحرِّيات الاجتماعيَّة كانت تقوم بعملي بدلًا مني، ومن السهل تصوُّرها وقد وقعت في فخٍّ كان مُعدًّا لقتلي أنا، مجرَّد زجاجة بريئة المظهر اختلطت بداخلها الأمونيا مع المُبيِّض تنتظرني تحت الحوض لأفتحها ثم أسقط ميتًا بسبب الرائحة.

يسقط الكتاب من يد وكيل الأعمال ويهبط على السجّادة، ثم ترتفع يده الأخرى وقد ضمَّ أصابعها كالمخالب ليضعها في شَعره.

- «بحق العذراء مريم! خيرٌ لك ألا تقول لي إن لديك أخًا على قيد الحياة».

ربما، غالبًا، نعم، لديَّ. لقد رأيته على متن حافلةٍ ذات مرَّةٍ قبل أسبوعين تقريبًا من وفاة موظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة.

يُثبِّت وكيل الأعمال نظراته الناريَّة عليَّ في الفراش وقد تساقط عليَّ فتات الخبز ويقول:

- «كلا. أنت لم ترَ أحدًا».

- اسمه آدم برانسن.

يهز رأسه ويقول:

- «كلا».

- آدم اتَّصل بي في بيتي وهدَّد بقتلي.

- «لا أحد هدَّدك بالقتل».

- بل فعل. آدم برانسن يجوب البلاد ويقتل النَّاجين ليأخذنا جميعًا إلى الجنَّة، أو ليُبيِّن للعالم وحدة الكِريدِش، أو لينتقم ممن فضح أمر التبشير والسُّخرة أيًّا كان، لا أدري.

- «هل تفهم معنى غضبة الجماهير؟ هل تعرف ما ستكون قيمتك إذا عرف الناس أنك لست النَّاجي الوحيد من جماعة الموت الأسطوريَّة الشريرة؟ ماذا لو قُبِض على أخيك هذا وقال الحقيقة عن طائفتكم؟ سوف ينسف كلَّ شيءٍ قاله فريق الكتابة للعالم عن طفولتك ونشأتك».

يسألني: ما الذي سيحدث عندها؟

- لا أدري.

- «عندها ستكون لا شيء، مجرَّد كذّاب شهير آخر، وسيكرهك العالم كله».

يصرخ:

- «هل تعرف كم سنةً ستقضيها في السجن لقيامك بالاحتيال على المجتمع؟ وإساءة التمثيل؟ والدعاية الزائفة؟ والتشهير؟».

ثم يقترب مني جدًّا ويهمس:

«هل أحتاج لأن أخبِرك بأن السجن يجعل سدوم وعمورة كمينابوليس وسانت پول بالمقارنة؟».

يرفع الكتاب من على الأرض ويُغلِّفه بجريدة اليوم ويقول لي ما أعرفه ولا أعرف غيره. يقول إنني ليس لديَّ أخ، يقول إنني لم أرَ هذا الكتاب ولم أرَ أخي قَط، إنني حزين على موت موظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة، إنني أفتقد عائلتي الميتة، إنني أحببت موظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة كثيرًا وممتنٌ إلى الأبد لكل المساعدة والتوجيه اللذين قدَّمتهما لي، إنني أدعو الله كلَّ لحظةٍ ألا تكون عائلتي الميتة تحترق في الجحيم. يقول إنني مستاء من مهاجمة الشُّرطة الدائمة لي لأنهم أكثر كسلًا من محاوَلة البحث عن قاتل موظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة الحقيقي. يقول إنني ضِقت ذرعًا بكل هذا الكلام عن الموت والمآسي، إنني أريد مواصلة حياتي في سلامٍ فحسب.

يقول إنني أثق وأعتز بالإرشاد الذي أتلقَّاه كلَّ يومٍ من وكيل أعمالي العظيم، يقول إنني ممتنٌ له من أعماق قلبي.

وقبل أن تدخل خادمة الغُرف لتنظيف الجناح يقول إنه سيضع الكتاب في فرّامة الورق في الحال.

- «والآن ارفع مؤخِّرتك من على الفراش يا جوال الخراء الكسول، وتذكَّر كلَّ ما قلته لك الآن لأنك ستعيده على مسامع الشُّرطة قريبًا».

- 17 -

من المرحاضين على جانبيَّ أسمع أنينيًا وأنفاسًا ثقيلة لا أدري إن كان مصدرها الجِنس أم التبرُّز. المرحاض الذي أجلس عليه فيه فتحتان على الجانبين، لكني لا أجرؤ على النظر.

لا أدري إن كانت فرتيليتي قد جاءت أم لا

إذا كانت موجودة وتجلس صامتةً إلى أن تنفرد بي فسوف أتوسّل إليها كي تُعطيني معجزتي الكبيرة.

إلى جوار الفتحة على يميني كُتب: *أجلس هنا مكتئبًا جريحًا، لم أخرِج إلا ريحًا.*

إلى جوار هذا كُتب: *هذه قِصَّة حياتي.*

إلى جوار الفتحة على يساري كُتب: *هل تريد أن أستَمنيك؟*

إلى جوار هذا كُتب: *قبِّل مؤخِّرتي.*

إلى جوار هذا كُتب: *بكلِّ سرور.*

هذا مطار نيو أورلينز، وهو المطار الأقرب لستاد سوپردوم حيث سيقام نهائي دوري كرة القدم غدًا، وحيث سيُعقَد قراني.

والوقت يجري...

خارج الحمَّامات تنتظرني حاشيتي وعروسي الجديدة منذ أكثر من ساعتين بينما أشعر بأنني جالسٌ هنا منذ قرون، حتى إن أحشائي على وشك السقوط من مؤخِرتي. سروالي متكوِّم حول كاحليَّ، وغلاف مقعد المرحاض الورقي يتشرَّب الماء من المرحاض نفسه ليُبلِّل جِلدي

العاري. رائحة فضلات الناس تُفعِم الهواء وأستنشقها رغمًا عني مع كلِّ نفسٍ ألتقطه.

تسمع صوت السيفون يُشَد في مرحاضٍ تلو الآخر، لكن مع كلِّ رجلٍ يخرج يدخل رجل جديد.

على الحائط كُتب: *تعرف كيف تنتهي الحياة وأفلام البورنو، لكن الفارق الوحيد أن الحياة تبدأ ببلوغ الذُّروة.*

إلى جوار هذا كُتب: *بلوغ النهاية هو الجزء المثير.*

إلى جوار هذا كُتب: *يروقني هذا التأمُّل.*

إلى جوار هذا كُتب: *رائحة الخراء تملأ الجو.*

يُشَد السيفون في آخر مرحاض، يغسل الرجل الأخير يديه، وتخرج خطوات الأقدام الأخيرة من الباب.

أهمس إلى الفتحة على يساري: فرتيليتي، أأنت هنا؟

أهمس إلى الفتحة على يميني: فرتيليتي، أهذه أنت؟

لا شيء هناك إلا خوفي من دخول رجلٍ آخر يجلس ليقرأ الجريدة ويُفرِغ بقايا آخر وجبةٍ تناولها في المرحاض.

ثم من الفتحة على يميني يأتيني صوتها قائلًا:

- «أكره أنك وصفتني بالعاهرة على شاشة التليفزيون».

أقول همسًا إنني آسف، إنني كنت أقرأ من النَّص الذي كتبوه لي فقط.

- «أعرف».

وأعرف أنها تعرف.

يقول الفم الأحمر من داخل الثُّقب:

- «اتَّصلت وأنا أعرف أنك ستخونني، ولم تكن للإرادة الحُرَّة علاقة بالأمر. أنت مجرَّد بيدق أحرِّكه».

أقول لها: شكرًا.

أسمع خطوات أقدامٍ تدخل حمَّام الرجال، وأيًّا كان الداخل فإنه ينتقي المرحاض الواقع على يساري بالذات ليدخله.

أهمس إلى الفتحة على يميني إننا لا نستطيع الكلام الآن، ثمَّة أحد هنا.

يقول الفم الأحمر:

- «لا بأس. إنه الأخ الأكبر فقط».

- أي أخ أكبر؟

- «أخوك، آدم برانسن».

ومن الفتحة على يساري تدخل ماسورة مسدَّس، ويقول صوت -صوت رجل- في هدوء:

- «مرحبًا بأخي الصغير».

المسدَّس الخارج من الفتحة يتحرَّك مصوَّبًا إلى كلِّ شيءٍ لا يراه حامله، قدميَّ وصدري ورأسي وباب الحمَّام.

إلى جوار ماسورة كُتِب: *مُصَّ هذا*.

تقول فرتيليتي:

- «لن يقتلك، لا تقلق. أنا أعرف هذا».

ويقول آدم:

- «لا أراك، لكن معي ست طلقات، وواحدة منها ستصيبك لا شك».

- «لن تقتل أحدًا». يقولها الفم الأحمر للمسدَّس الأسود، كلاهما يتبادل الحديث الآن عبر حِجري العاري. «أخوك كان في شقَّتي طوال ليلة أمس يُصوِّب المسدَّس إلى رأسي، وكل ما فعله هو إفساد تصفيفة شَعري».

يقول المسدَّس:

- «اصمتي».

فيقول الفم:

- «ليست هناك طلقات في المسدَّس».

فيقول المسدَّس:

- «اصمتي!».

يقول لي الفم:

- «حلمت بك مرَّة أخرى ليلة أمس. أعرف ما فعلوه بك وأنت طفل، وأعرف أنه كان شنيعًا، وأفهم سبب خوفك من الجِنس».

فأهمس أن لا شيء حدث لي.

فيقول المسدَّس:

- «حاولت منع ما سيحدث، لكن مجرَّد فكرة ما كان الكبار سيفعلونه بكم أيها الأطفال أصابتني بالغثيان».

فأهمس أن الأمر لم يكن بذلك السوء.

يقول الفم:

- «رأيتك تبكي في حُلمي. كنت مجرَّد ولدٍ صغير في المرَّة الأولى، ولم تتصوَّر ما كان على وشك الحدوث».

فأهمس أنني وضعت كل هذا ورائي. إنني داعية ديني شهير الآن.

فيقول المسدَّس:

- «لم تضع وراءك شيئًا».

- بل فعلت.

- «لماذا لم تمارِس الجِنس مرَّة واحدة حتى الآن إذن؟».

- سوف أتزوَّج غدًا.

- «لكنك لن تنام معها».

فأقول إنها فتاة حسناء جذَّابة جدًّا.

فيقول الفم:

- «لكنك لن تنام معها، لن تدخل بها كزوجتك».

يقول المسدَّس للفم:

- «هذا ما فعلته الكنيسة مع كلِّ تندر وكلِّ بيدي كي لا تصبح لديهم رغبة في ممارسة الجِنس في العالم الخارجي».

فيقول الفم للمسدَّس:

- «منتهى الساديَّة».

بمناسبة الزواج، أقول لفرتيليتي، فإنني بحاجة إلى أكبر معجزةٍ ممكنة لديك، فيجيبني الفم:

- «بل تحتاج إلى ما هو أكثر من ذلك. أثناء زفافك غدًا سيسقط وكيل أعمالك ميتًا. ستحتاج إلى معجزةٍ كبيرة ومحامٍ بارع».

لا أجد أن فكرة موت وكيل الأعمال تُزعِجني كثيرًا.

يقول الفم:

- «ستكون المشتبَه به الأول لدى الشُّرطة».

- لكن لماذا؟

- «هناك زجاجة من العطر الجديد الذي يحمل اسمك، Truth، وسوف يختنق حتى الموت عندما يتشمَّمه».

ويضيف المسدَّس:

- «إنه مُبيِّض مخلوط بالأمونيا في الحقيقة».

أسأله: تمامًا كما حدث مع موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة؟

فيجيبني الفم:

- «لهذا السبب ستتَّهمك الشُّرطة بقتله».

أقول: لكن أخي هو من قتل موظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة.

فيقول المسدَّس:

- «لم أنكر هذا لحظة، كما أنني سرقت دليل الاضطرابات النَّفسيَّة وملفَّاتها».

ويضيف الفم:

- «وهو من رتَّب كلَّ شيءٍ بحيث يختنق وكيل أعمالك حتى الموت».

يقول المسدَّس للفم:

- «أخبريه بأفضل جزء».

- «صرت أراكَ في أحلامي كثيرًا وقد شكَّت الشُّرطة في مسؤوليتك عن مقتل جميع النَّاجين الذين لم ينتحروا».

- جميع الكِريدِش الذين قتلهم آدم.

فيقول المسدَّس في ثقة:

- «بالضبط».

- «تعتقد الشُّرطة أنك قتلتهم كي تشتهر. بين عشيةٍ وضحاها تحوَّلت من خادم منازل بدين قبيح إلى قائدٍ ديني، وغدًا سيتهمونك بأنك أنجح قاتل متسلسل في تاريخ البلاد».

يُعلِّق الفم:

- «لعل (النجاح) ليس الكلمة المناسبة هنا».

أقول إنني لم أكن بدينًا إلى ذلك الحد.

فيقول المسدَّس:

- «كم كان وزنك؟ قُل بصراحة».

كُتب على الحائط: *اليوم أسوأ أيام ما تبقَّى من حياتك.*

يقول الفم:

- «كنت بدينًا، كنت بدينًا».

أسأل أخي: لِمَ لا تقتلني الآن إذن؟ لِمَ لا تضع بضع طلقاتٍ في مسدَّسك وتُطلق عليَّ النار؟

- «المسدَّس محشو بالفعل».

وتتحرَّك الماسورة لتشير إلى وجهي وركبتيَّ وقدميَّ وفم فرتيليتي التي تقول:

- «لا، ليس معك أي طلقات».

- «بل معي».

- «فلتُثبِت هذا إذن. أطلِق عليه النار الآن. هلُم، أطلِق عليه النار، الآن».

فأقول له ألا يُطلِق عليَّ النار.

- «ليس لديَّ مزاج الآن».

- «كاذب!».

- «ربما أردت أن أقتله منذ زمن طويل، لكن كلما اشتهر أكثر الآن كلما كان أفضل. لهذا السبب قتلت موظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة ودمَّرت ملفَّه لديها، لهذا السبب جهَّزت زجاجة غاز الكلورين السخيفة كي يتشمَّمها وكيل أعماله».

أقول إن ما كُتِب عن اضطراباتي العقليَّة وانحرافاتي في ملفَّات موظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة كان زائفًا كله.

مكتوب على الحائط: *فلتُفرغ أمعاءك أو ترحل.*

يقول الفم:

- «لا يهم من يقتل وكيل أعمالك، فالشُّرطة سوف تكون على خط الـ50 ياردة للقبض عليك بتهمة القتل الجماعي بمجرَّد أن تخرج من مجال الكاميرات».

ويقول المسدَّس:

- «لكن لا تخف، فسنكون هناك لإنقاذك».

- إنقاذي؟

يقول الفم الأحمر:

- «فقط أعطهم المعجزة التي ينتظرونها، وستكون هناك بضع دقائق من الفوضى الشاملة تسمح لك بمغادرة الستاد».

- فوضى؟

يقول المسدَّس:

- «ستجدنا في سيَّارة».

ويقول الفم:

- «سيَّارة حمراء».

فيقول المسدَّس:

- «وكيف عرفت؟ إننا لم نسرقها بعد».

- «أنا أعرف كلَّ شيء. سوف نسرق سيَّارة حمراء ذات ناقل سرعات أوتوماتيكي لأنني لا أجيد قيادة اليدوي».

- «ليكن إذن، سيَّارة حمراء».

- «حسن».

لا أشعر بأيِّ نوعٍ من الحماس لكلِّ هذا، وأقول لها أن تُعطيني المعجزة فحسب.

وتُعطيني فرتيليتي المعجزة، أكبر معجزةٍ في حياتي على الإطلاق.

وهي على حق، سوف تكون هناك فوضى.

في الحقيقة، سوف تنفتح أبواب الجحيم عن آخرها.

- 16 -

في الحادية عشرة من صباح اليوم التالي لا يزال وكيل الأعمال حيًّا.

لا يزال وكيل الأعمال حيًّا في الحادية عشرة وعشر دقائق وفي الحادية عشرة والربع.

لا يزال وكيل الأعمال حيًّا في الحادية عشرة والنصف والثانية عشرة إلا ربعًا.

وفي الثانية عشرة إلا عشر دقائق تُقلُّني منسِّقة المناسَبات من الفندق إلى الستاد.

وجود الجميع حولنا طوال الوقت، من منسِّقين ومندوبين ومديرين، يجعل من الصعب عليَّ طبعًا أن أسأل وكيل الأعمال إن كان قد أحضر معه زجاجة من عطر Truth ومتى ينتوي أن يتشمَّمها، ولا أستطيع كذلك أن أطلب منه ألا يتشمَّم أيَّ عطورٍ اليوم، أن أقول له إنه سم لا عطرًا، إن الأخ الذي ليس أخي ولم أرَه قَط قد وصل بشكلٍ ما إلى أمتعته ونَصَبَ له شَرَكًا مميتًا. كلما رأيت وكيل الأعمال، وكلما توارى عن نظري ليدخل الحمَّام أو خلافه، أجدني أدير ظهري للحظة، فقد تكون هذه هي المرَّة الأخيرة التي أراه فيها.

ليست المسألة أنني مُغرَم به إلى هذا الحد، بل ويمكنني بسهولة أن أتخيَّل نفسي في جنازته وما سأرتديه وأقوله في تأبينه. أتخيَّل نفسي أضحك، ثم أرقص التانجو الأرچنتيني مع فرتيليتي عند قبره.

لكني لا أريد أن أحاكَم بتهمة القتل الجماعي.

وأيًا كان ما أذكُره عن العطور الآن فسوف تُردِّده الحاشية للشُّرطة إذا وجدوه مختنقًا حتى الموت.

الساعة الرابعة والنصف ونحن في منطقة الكواليس في الستاد ومعنا الطاولات القابلة للطي والطعام المجهَّز والملابس المستأجَرة. بذلات السهرة معلَّقة مع فستان الزفاف على مشاجب، ووكيل الأعمال لا يزال حيًّا ويسألني عن المعجزة الكبيرة التي أنوي الإفصاح عنها بين الشوطين.

لا أفصح له عن شيء، لكنه يريد أن يعرف، أهي كبيرة فعلًا؟

هي كبيرة، كبيرة بما يكفي لجعل كلِّ رجلٍ في هذا الستاد يرغب في أن يوسعني ضربًا.

يرمقني بنظرةٍ حائرة وقد رفع أحد حاجبيه.

حقًّا، المعجزة كبيرة إلى درجةٍ كفيلة بجعل الموقف يحتاج إلى كلِّ شُرطي في هذه المدينة لمنع جماهير الستاد من قتلي. طبعًا لا أقول هذا لوكيل الأعمال، ولا ألمِّح له حتى بأن هذه هي الفكرة. سوف تنشغل الشُّرطة تمامًا بمحاولة الحفاظ على حياتي ولن تتمكَّن من القبض عليَّ بتهمة القتل. هذا الجزء أيضًا لا أقوله له.

الساعة الخامسة ولا يزال وكيل الأعمال حيًّا بينما يضعونني في بذلةٍ بيضاء ذات ربطة عنق بيضاء. يأتيني قاضي الصُّلح ليقول لي إن كلَّ شيءٍ تحت السيطرة، كل ما عليَّ فعله هو الشهيق والزفير.

تأتيني العروس بفستان الزفاف وهي تدهن إصبع الخاتم بالڤازلين وتقول إن اسمها لورا.

لكن مهلًا... هذه ليست الفتاة التي كانت معنا في الليموزين!

تقول إن من كانت معنا اسمها تريشا، لكنها أصيبت بوعكة، ومن ثم

ستحل لورا -بديلتها الجاهزة- محلَّها. لا داعي للقلق، سوف أتزوَّج تريشا نفسها رسميًّا رغم كلِّ شيءٍ على الرغم من عدم وجودها هنا، فهي لا تزال الفتاة التي يريدها وكيل الأعمال. تقول لورا إن الكاميرات لن تلاحظ أيَّ اختلافٍ لأنها سترتدي طَرحتها.

البعض يأكل من الأصناف التي أحضرها متعهِّد الطعام، وبالقُرب من الأبواب الفولاذيَّة التي تُفتحَ على الخطوط الجانبيَّة يستعد منسِّقو الزهور لإخراج المذبح إلى ملعب كرة القدم، بما عليه من شمعدانات وتعريشة مغطَّاة بزهورٍ بيضاء مصنوعة من الحرير. هناك أيضًا ورد بلدي وزهور فاوانيا وبازلاء حلوة بيضاء وستوك صناعيَّة، كلها لزج بفعل سپراي الشَّعر الذي رشُّوها به كي تظل صَلبة. الباقة الضخمة التي ستحملها العروس تتكوَّن من زهور الجلاديولي والداليا والتيوليپ الحريريَّة، بالإضافة إلى ذيلٍ طويل من أوراق العسلة الحريريَّة البيضاء.

المشهد كله يبدو جميلًا حقيقيًّا إذا وقفت على مبعدةٍ كافيةٍ منه.

تقول فنانة الماكياچ إن أضواء الملعب ساطعة للغاية، وتضع كمية ضخمة من الأحمر على شفتيَّ.

في تمام السادسة تبدأ المباراة النهائيَّة بين فريقي الكاردينالز من أريزونا والكولتس من إنديانابوليس.

النتيجة بعد خمس دقائق من الربع الأول من المبارة 0-6 لصالح الكولتس، ووكيل الأعمال ما زال حيًّا. بالقُرب من الأبواب الفولاذيَّة التي تُفتَح على الملعب، يقف فتيان المذبح ووصيفات العروس اللاتي ارتدين فساتين ذات تصميمٍ ملائكي يتبادلون عبارات الغَزَل والسجائر.

الكولتس على خط الـ40 ياردة، ومنسِّقة المناسَبات تُعطيني موجزًا بفعاليات شهر العسل، الذي سأقضيه في جولةٍ بين سبع عشرة مدينة

للترويج للكُتُب والألعاب والتمثال المصغر. تأسيس ديانتنا الكُبرى الخاصَّة ليس خارج الصورة، ويتم حاليًّا التجهيز لجولةٍ عالميَّة طالما تخلَّصنا من السؤال المزعج عن ممارستي الجِنس. تتضمَّن الخطة رحلاتٍ إلى أوروبا واليابان والصين وأستراليا وسنغافورة وجنوب إفريقيا والأرجنتين وغينيا الجديدة والجُزُر العذراء البريطانية، ثم أعود إلى الولايات المتحدة في الوقت المناسب لرؤية طفلي الأول.

فقط كي لا يكون هناك مجال للتخمين، تقول منسِّقة المناسبات، فقد سمح وكيل الأعمال لنفسه بتولِّي مسألة التأكُّد من أن زوجتي ستضع طفلنا الأول في موعد عودتي من الجولة التي ستدوم تسعة شهور.

يتطلَّب التخطيط على المدى الطويل أن تُنجِب زوجتي ستة أو سبعة أطفال. عائلة كِريدِشِيَّة نموذجيَّة.

تقول منسِّقة المناسَبات إنني لن أضطر لرفع إصبعٍ واحد.

بالنسبة لي سيكون هذا حَملًا بلا جماع.

تقول فنانة الماكياج إن أضواء الملعب ساطعة للغاية، وتضع كمِّيَّة ضخمة من الأحمر على وجنتيَّ.

بعد نهاية رُبع المباراة الأول يأتي إليَّ وكيل الأعمال ليجعلني أوقِّع بعض الأوراق. يقول إنها وثائق لاقتسام الأرباح. الطرف المعروف باسم تندر برانسن (والمشار إليه هنا بصفته الضحيَّة) يمنح الطرف المشار إليه هنا بصفته وكيل الأعمال حق استلام وتوزيع جميع الأموال المدفوعة لمؤسَّسة تندر برانسن للإعلام والتجارة، بما في ذلك (ودون الاقتصار على) مبيعات الكُتُب والمواد المذاعة والأعمال الفنية والظهور الإعلامي بأنواعه ومستحضرات التجميل، العطور الرجاليَّة على وجه التحديد.

وقِّع هنا، هنا، وهنا.

أحدهم يُثبِّت وردة بيضاء بدبُّوس إلى طيَّة صدر سترتي، وآخر على ركبتيه يُلمِّع حذائي، وفنانة الماكياج تخلط بعض الأشياء.

يملك وكيل الأعمال الآن حقوق ملكيَّة صورتي واسمي.

إنها نهاية الرُّبع الأول من المباراة والنتيجة التعادل 7-7 ووكيل الأعمال ما زال حيًّا.

يحقنني المدرِّب الشخصي بـ10 سنتيمتر مكعب من الأدرينالين ليضيف بعض اللمعة إلى عينيَّ.

تقول منسِّقة المناسَبات إن كلَّ ما عليَّ فِعله هو أن أمشي إلى خط الـ50 ياردة حيث سيتم الزفاف في منتصف الملعب، وستدخل العروس من الجانب المواجِه. سنقف جميعًا على منصَّة مركَّبة من الصناديق الخشبيَّة التي تُخفي تحتها خمسة آلاف يمامة بيضاء، وبالنسبة للمراسم فقد تم تسجيل أصواتها بالفعل في ستوديو، وهذا ما سيسمعه الجمهور. لن ألفظ كلمة واحدة إذن إلى أن يحين موعد النبوءة.

عندما أضغط بقدمي على زِرٍّ متوارٍ تحتها ستنطلق اليمامات من أقفاصها. تحرَّك، تكلَّم، اليمام. هذا كلُّ شيء.

يُعلِن مسؤول الملابس أننا يجب أن نستخدم مِشَد البطن كي نحصل على الشكل المطلوب لي، ويقول لي أن أسرع وأخلع ملابسي أمام الجميع، الملائكة والطاقم ومتعهِّدي الطعام ومنسِّقي الزهور ووكيل الأعمال، الآن. اخلع كل شيء باستثناء الجوارب والملابس الداخليَّة، الآن. يقف مسؤول الملابس بآلة تعذيب محاكم التفتيش المكوَّنة من المطَّاط والأسلاك التي يُسمُّونها مِشَد بطن، ويقول لي إن هذه فرصتي الأخيرة لإفراغ مثانتي قبل الساعات الثلاث التالية، ويقول وكيل الأعمال:

- «لم تكن لتضطر لارتداء هذا الوحش لو استطعت الحفاظ على وزنك».

مرَّت أربع دقائق من الرُّبع الثاني من المباراة ولا أحد يستطيع العثور على خاتم الزفاف.

يلوم وكيل الأعمال منسِّقة المناسَبات التي تلوم مسؤول الملابس الذي يلوم مدير المنصَّة الذي يلوم الجواهري الذي كان من المفترَض أن يتبرَّع بخاتمٍ مقابل وضع إعلانٍ له على المنطاد الذي يدور حول الستاد، وبالخارج يدور المنطاد في السماء عارضًا اسم الجواهري بحروفٍ لامعة، وبالداخل يُهدِّد وكيل الأعمال بمقاضاته لمخالفته شروط العقد ويحاول الاتِّصال بالمنطاد باللاسلكي.

تقول منسِّقة المناسَبات أن نتظاهر بإلباس الخاتم. سيجعلون الكاميرات تدور من زاوية تُظهِر مني ومن العروس رأسينا وأكتافنا فقط، وسنتظاهَر عندها بأنني أضع الخاتم في إصبع تريشا.

تقول العروس إنها ليست تريشا، وتقول منسِّقة المناسَبات:

- «وتذكَّر، حرِّك فمك بالكلمات فقط ولا تنطقها، فكلُّ شيءٍ مسجَّل مسبَقًا».

مرَّت تسع دقائق من الرُّبع الثاني من المباراة، ووكيل الأعمال حي ويصرخ على الهاتف:

- «أسقِطوه! اقطعوا عنه الكهرباء! أعطوني مسدَّسا وسأسقِطه بنفسي! أريد أن يهبط هذا المنطاد اللعين!».

تقول منسِّقة المناسَبات إن ذلك غير ممكن، فبمجرَّد أن يخرج الزفاف من الستاد سيُلقي طاقم المنطاد خمسة عشر ألف رطلٍ من الأرز على المرآب الخارجي.

يشير لي مدير المنصَّة أن أتحرَّك معه، فقد حان وقت اتِّخاذ كلٍّ منا مكانه.

الكولتس والكاردينالز يتصادمون في الملعب والنتيجة 17-20، والحشود تصرخ مطالبةً بالمزيد من كرة القدم.

يتحرَّك الملائكة مع المذبح ذي الزهور الحريريَّة والشمعدانات المشتعلة واليمامات الحبيسة.

مِشَد البطن يعتصر أعضائي الداخليَّة داخل حَلقي.

العد التنازلي للشوط الثاني يجري ولا يزال وكيل الأعمال حيًّا، وأستطيع التقاط أنفاسي بصعوبة.

يتحرَّك مدرِّب اللياقة البدنيَّة إلى جواري قائلًا: خُذ، سيضيف هذا بعض اللون إلى وجنتيَّ، ويضع زجاجة صغيرة تحت أنفي ويطلب مني أن أستنشِق بقوة.

الجماهير تضرب بأقدامها وعقارب الساعة تطارِد بعضها البعض ونتيجة المباراة متقارِبة للغاية، وأستنشِق.

والآن من فتحة أنفك الأخرى، فأستنشِق.

ثم يختفي كلُّ شيء من أمام عينيَّ، وباستثناء طنين الدم وهو يندفع في عروقي إلى أذنيَّ وخفقات قلبي الذي يرتطم بمِشَد البطن، لا أعي شيئًا.

لا تخَف شرًّا، لا ترَ شرًّا، لا تسمع شرًّا، لا تحس شرًّا.

من على بُعدٍ تشير لي منسِّقة المناسَبات أن أخرُج على النجيل الصناعي. تشير إلى الخط الأبيض في منتصف الملعب، ثم إلى الواقفين على منصَّة الزفاف المغطَّاة بالزهور البيضاء.

يخفت طنين الدم إلى أن أسمع صوت موسيقا، وأخرج إلى الملعب مارًّا بمنسِّقة المناسَبات حيث الآلاف الذين يهتفون. تُدوِّي الموسيقا لا أدري من أين، ويدور المنطاد في السماء قائلًا: «أطيب الأماني من عائلة منتَجات فيليپ موريس».

تصل العروس -لورا أو تريشا أو أيًّا كانت- من الجانب المواجِه، ودون أن يفتح فمه يقول قاضي الصُّلح:

- «هل تقبل يا تندر برانسن أن تكون تريشا كونرز زوجتك لترعاها وتتناسل معها لأكبر عددٍ ممكن من المرَّات ما حييتما؟».

يمكنك أن تسمع صدى مئات السمَّاعات في الملعب.

دون أن أفتح فمي أقول:

- «أقبل».

ودون أن يفتح فمه يقول قاضي الصُّلح:

- «هل تقبلين يا تريشا كونرز أن يكون تندر برانسن زوجك ما حييتما؟».

ويقول فم لورا دون صوت:

- «أقبل».

وأمام الكاميرات المسلَّطة علينا نتظاهَر بوضع الخاتمين.

ونتظاهر بتبادل القُبلة الأولى.

ظلَّت الطَّرحة في مكانها على وجهها، وظلَّت لورا تريشا، ومن على مسافةٍ بعيدة بدا كلُّ شيءٍ رائعًا.

خارج مجال الكاميرا بدأ رجال الشُّرطة دخول الملعب، فلا بُد أن وكيل الأعمال مات إذن. العطر. غاز الكلورين.

رجال الشُّرطة على خط الـ10 ياردة.

أطلب الميكروفون من قاضي الصُّلح من أجل النبوءة، المعجزة.

رجال الشُّرطة على خط الـ20 ياردة.

يُعطيني الميكروفون، لكنه لا يعمل.

رجال الشُّرطة على خط الـ25 ياردة.

أقول: اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة...

اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة...

رجال الشُّرطة على خط الـ30 ياردة، والأصفاد مفتوحة وجاهزة لتزيّن معصميَّ.

ويعمل الميكروفون ويخرج صوتي هادرًا من السمَّاعات العملاقة.

رجال الشُّرطة على خط الـ35 ياردة، ويقولون إن لديَّ الحق في التزام الصمت...

وإذا اخترت التخلِّي عن هذا الحق، فسوف يُستخدَم أيُّ شيء تقوله ضدك في المحكمة.

وأختار التخلِّي عن هذا الحق...

وألقي النبوءة.

رجال الشُّرطة على خط الـ40 ياردة.

ويتردَّد صوتي عبر الستاد وأنا أقول:

- «نتيجة مباراة اليوم النهائيَّة 27 للكولتس و24 للكاردينالز. سيفوز الكولتس بالدوري بفارق ثلاثة أهداف».

وتنفتح أبواب الجحيم عن آخرها.

***

الأدهى الآن أن المحرِّك الثاني انطفأ للتو. أخاطِبكم من قمرة القيادة على متن الرحلة 2039 وقد تبقَّى معي محرِّكان اثنان فقط.

- 15 -

كي تفعل المطلوب بشكلٍ سليم، عليك أن تأخذ ورقة من الورق البرتقالي المُصفَرّ وتطويه حول ورقة أخرى من الورق الأبيض، ثم تضع القسيمة داخل الورق المطوي، وتُثبِّت عدداً من الطوابع التجاريَّة بطول الأوراق المطويَّة من الخارج، ثم تطوي ورقة أخرى من ورق الخطابات حول كلٍّ هذا، وتضع كلَّ شيءٍ داخل مظروف. ألصِق عنوان المرسَل إليه على المظروف، وبهذا تكون قد جنيت ثلاثة سنتات. افعل هذا ثلاثًا وثلاثين مرَّة وتكون قد جنيت دولارًا تقريبًا.

المكان الذي نحن فيه الليلة كان فكرة آدم برانسن.

يقول الخطاب الذي أطويه: *«هل تحمل المياه التي تدخل منزل آل ويلسون معها طفيلّيات خطرة؟»*.

المكان الذي نحن فيه من المفترَض أن يكون آمنًا.

الورق البرتقالي المُصفَرُّ حول الورق الأبيض، القسيمة بالداخل، الطوابع، ورق الخطابات، كلُّ شيءٍ في المظروف، وأقترب من الهرب بمقدار ثلاثة سنتات.

«هل تحمل المياه التي تدخل منزل آل كاميرون معها طفيلّيات خطرة؟».

يجلس ثلاثتنا -آدم وفرتيليتي وأنا- حول المائدة في غرفة الطعام نحشو المظاريف بهذه الأشياء، وفي العاشرة توصد مدبِّرة المنزل الباب

الأمامي، وتتوقَّف في طريق عودتها إلى المطبخ لتسأل إن كانت ابنتنا أفضل الآن. هل قال الأطباء جديدًا عن حالتها؟ هل ستعيش؟

تجيب فرتيليتي وما زال هناك بعض الأرز في شعرها:

- «لم تنته مرحلة الخطر بعد».

طبعًا ليست لدينا ابنة، لكنها فكرة آدم برانسن.

حولنا التشكيلة المعتادة من ثلاث أو أربع عائلات، آباء وأبناء يتكلَّمون عن السرطان والعلاج الكيماوي والحروق والترقيع الجلدي والعدوى البكتيريَّة.

تسألنا مدبَّرة المنزل عن اسم ابنتنا فنتبادل نحن الثلاثة النظرات، فرتيليتي وقد أخرجَت لسانها لتلعق غطاء المظروف، وأنا وقد أخذت أرمق آدم كأنني أنظر في مرآةٍ تعرض لي صورتي كما كانت قبلًا.

ثم يقول ثلاثتنا في آنٍ واحدٍ ثلاثة أسماء مختلفة.

تقول فرتيليتي: أماندا.

ويقول آدم: پاتي.

وأقول: لورا.

وتتداخل الأسماء الثلاثة معًا.

ابنتنا...

تنظر إليَّ مدبَّرة المنزل وقد ارتدت بقايا بذلتي البيضاء المحترقة، وتسأل عن سبب وجود ابنتنا الصغيرة في المستشفى للعلاج، فيقول ثلاثتنا في آنٍ واحدٍ ثلاثة أسباب مختلِفة.

تقول فرتيليتي: انحراف العمود الفقري.

ويقول آدم: شلل الأطفال.

وأقول: السُّل.

تُراقِبنا مدبَّرة المنزل ونحن نطوي الورق، الأبيض داخل البرتقالي المُصفَر، القسيمة، الطوابع، ورق الخطابات، ثم تعود عيناها إلى الأصفاد حول معصمي.

«*هل تحمل المياه التي تدخل منزل آل ديكسن معها طفيليَّات خطرة؟*».

كان آدم هو من جاء بنا إلى هنا، لليلةٍ واحدةٍ فقط على حدِّ تعبيره، وسنكون في أمانٍ هنا. الآن وقد أصبحتُ قاتلًا جماعيًّا، فآدم يعرف كيف نبدأ الرحلة شمالًا في الصباح حتى نصل إلى كندا، لكننا نحتاج الليلة مكانًا يمكننا الاختباء فيه وطعامًا وبعض النقود، وهكذا جاء بنا إلى هنا.

كان هذا بعد الستاد وبعد أن مزَّقت الحشود خطوط شُرطة مكافحة الشغب إربًا، بعد خدعة زواجي والعثور على وكيل الأعمال ميتًا وكفاح رجال الشُّرطة للحفاظ على حياتي كي يعدمونني بعد ذلك. لقد صبَّ ستاد سوپردوم محتوياته كلها على أرض الملعب لحظة أن أعلنت فوز الكولتس، ومع أن نصف الأصفاد كان قد انغلق على معصمي بالفعل، إلا أن الشُّرطة لم تكن إلا ريشة في مهب ريح السَّكارى الذين انهمروا على الملعب من كلِّ جهة، وفي مكانٍ ما كانت الفرقة الموسيقيَّة تعزف السلام الوطني الأمريكي.

من كلِّ حدبٍ وصوبٍ انقضّت الجماهير على أرض الملعب. كانوا يُلوِّحون بقبضاتهم المضمومة وهُم ينطلقون نحونا على النجيل. كاردينالز أريزونا ما زالوا يرتدون ملابس اللعب، وكولتس إندياناپوليس عند مقاعدهم يتبادلون التحيَّات والتهاني.

في اللحظة التي بلغ فيها رجال الشُّرطة منصَّة الزفاف، ضغطتُ الزر الخفي لتطير خمسة آلاف يمامة مكوِّنة حائطًا صلبًا حولي، فتعيق اليمامات

الشُّرطة لفترةٍ كانت كافية لوصول الحشود الغاضبة إلى منتصف الملعب، فيقاوم رجال الشُّرطة الجماهير بينما أختطف أنا باقة زهور العروس.

أثناء وجودي هنا وقيامي بحشو المظاريف أريد أن أحكي للجميع عن هروبي الكبير، عن قنابل الغاز المسيِّل للدموع التي ألقتها شُرطة مكافحة الشغب وتطايرت فوق الرؤوس، عن زئير الجماهير الذي دوَّى تحت قبة الستاد، عن اختطافي للباقة ذات الزهور البيضاء الحريريَّة من العروس التي أغرقت الدموع وجهها، وعن الباقة الغارقة بسبراي الشعر التي أشعلتها بلهب شمعة مشتعلة، فتحوَّلت إلى مشعل يمكنني أن أبعد به من يهاجِمني.

حاملًا المشعل المصنوع من زهور الجلاديولي الصناعيَّة والأسلاك الساخنة أمامي، وثبتُ من منصَّة الزفاف وحاربتُ لأشق طريقي عبر ملعب كرة القدم. خط الـ50 ياردة، خط الـ40 ياردة، خط الـ30 ياردة. أرتدي بذلتي البيضاء وأراوغ وأندفع، أعدو وأدور. خط الـ20 ياردة. كي لا يُعرقِلني أحد أخذتُ ألوِّح بزهور الداليا المحترِقة من جانبٍ إلى جانبٍ أمامي. خط الـ10 ياردة.

عشرة آلاف مشجِّع يطاردونني ويبغون تحويلي إلى عجين.

بعضهم ثمِل، بعضهم محترف، لكن لا أحد منهم تدور محرِّكاته بالكيماويَّات عالية الجودة التي تعاطيتها.

تمتد الأيدي للإمساك بذيل السترة الأبيض.

ينقض الرجال على قدمي.

المنشِّطات هي ما أنقذ حياتي.

ثم تسجيل الهدف.

أعبرُ أسفل المرمى متَّجهًا إلى الأبواب الفولاذيَّة التي ستُخرِجني من الملعب.

شُعلتي الآن عبارة عن بضع أوراقٍ صغيرة محترِقة، ألقيها وراء كتفي قبل أن أحشر نفسي بين الأبواب الفولاذيَّة المزدوجة وأوصدها من الداخل.

جمهور المباراة النهائيَّة يقرع الأبواب الموصدة بكلِّ ما لديه من عنف، لكني آمِن هنا لبضع دقائق أقضيها وحدي مع الطعام وفنانة الماكياج. جثَّة وكيل الأعمال مغطَّاة بملاءةٍ بيضاء وموضوعة على محفَّة إلى جوار البوفيه، الذي يتكوَّن غالبًا من ساندويتشات الديك الرومي والمياه المعدنيَّة والفواكه الطازجة وسلطة الپاستا، بالإضافة إلى كعكة الزفاف. تلتهم فنانة الماكياج ساندويتشًا من الديك الرومي، وتومئ برأسها صوب وكيل الأعمال الميت وتغمغم أنني أبليت بلاءً حسنًا، فلطالما كانت تمقت الوغد.

تسألني وهي ترتدي ساعته الرولكس الذَّهبيَّة الثقيلة:

- «هل تريد ساندويتشًا؟».

أسألها إن كانت هناك أصناف أخرى بخلاف الديك الرومي، فتُناوِلني زجاجة من المياه المعدنية وتقول إن بذلتي تحترق من الخلف.

أسألها: كيف أخرج؟

تقول:

- «أخرج من هذا الباب».

الأبواب الفولاذيَّة ورائي تكاد تنهار تحت ضغط الجمهور الغاضب.

تقول:

- «اقطع الرواق الطويل إلى نهايته، ثم انعطف يمينًا واخرج من باب الخروج».

أشكرها، فتقول إن هناك ساندويتش لحم إذا كنت أريده.

أحمل الساندويتش في يدي وأخرج من الباب الذي أشارت له، ثم أقطع الرواق إلى نهايته وأخرج من باب الخروج.

في المرآب بالخارج هناك سيَّارة حمراء ذات ناقل سرعات أوتوماتيكي، فرتيليتي جالسة وراء عجلة القيادة وآدم إلى جوارها.

أجلس في المقعد الخلفي وأوصد الباب، وأقول لفرتيليتي أن ترفع نافذتها وهي تعبث بأزرار الراديو.

ورائي تنهمر الحشود من أبواب الخروج لمحاصَرتنا، وجوههم تقترب منا بشدَّة حتى أنني أشعر ببصاقهم على وجهي بالفعل.

ثم تأتينا المعجزة الأكبر من السماء.

يبدأ المطر في الهطول، مطر أبيض.

مَنٌّ من الجنة، أقسم لك.

يهطل المطر أملس ثقيلًا فيجعل الحشود تنزلق وتتعثَّر وتسقط أرضًا. ترتطم القطرات البيضاء بالسيَّارة وتدخل من النوافذ لتُغطِّي المقاعد والأرض وشعورنا.

يتطلَّع آدم في انبهار إلى أعجوبة هذا المطر الأبيض الذي نزل فجأةً كي يُنقذنا، ويغمغم أنها معجزة، لكن فرتيليتي تقول وهي تنطلق بالسيَّارة:

- «لا، إنه أرز أيها العبقري».

يدور المنطاد في السماء قائلًا: «تهانينا وشهر عسلٍ سعيدًا».

تقول فرتيليتي:

- «ليتهم لم يفعلوا هذا. الأرز يقتل الطيور».

فأقول لها إن الأرز الذي يقتل الطيور أنقذ حياتنا.

أصبحنا في الشارع، وبعد قليلٍ أصبحنا على الطريق السريع.

يلتفت آدم من المقعد الأمامي ويسألني:

- «هل ستأكل هذا الساندويتش كله؟».

فأقول: طبعًا، إنه ساندويتش لحم.

يقول آدم إننا يجب أن نتجه شمالًا. إنه يعرف كيف نجد توصيلة، لكنها لن تغادر نيو أورلينز حتى الصباح التالي. لقد قضى عشر سنواتٍ يجوب البلاد جيئةً وذهابًا في السِرّ دون أيِّ نقود.

تجوبها قاتلًا الناس، أقول.

بل أسلِّمهم لله، يرد.

اخرسا، تنهرنا فرتيليتي.

يقول لنا آدم إننا بحاجةٍ إلى بعض النقود وطعامٍ ومكانٍ ننام فيه، وهو يعرف أين نجد بعضًا من كلِّ هذا، يعرف مكانًا فيه أناس لديهم مشاكل أكبر من مشكلتنا، وكل ما علينا هو أن نكذب قليلًا.

يقول لنا آدم:

- «من الآن فصاعدًا لديكما طفلة».

- لا، ليس لدينا.

- «وطفلتكما مريضة جدًّا».

- لا، ليست كذلك.

- «أنتما في نيو أورلينز كي تدخُل طفلتكما المستشفى. هذا كل ما عليكما قوله».

ويقول إنه سوف يتولّى الباقي، ثم يقول لفرتيليتي أن تنعطف من هنا.

- «والآن انعطفي من هنا، ثم يسارًا بعد شارعين».

المكان الذي يأخذنا إليه يمكننا قضاء الليل فيه مجّانًا، ويمكننا تناوُل

بعض الطعام الذي سيتبرَّع به أحدهم، كما يمكننا القيام ببعض العمل -ترتيب الوثائق أو حشو المظاريف- كي نجني بعض المال. يمكننا الاستحمام ومُشاهَدة أنفسنا في نشرة الأخبار المسائيَّة ونحن نهرب. يقول آدم إنني أبدو في صورةٍ مزرية ستجعل من الصعب أن يتعرَّف عليَّ أحد بصفتي القاتل الجماعي الذي أفسد نهائي دوري كرة القدم. المكان الذي سنذهب إليه، يقول، فيه أناس لديهم مشاكلهم الخاصَّة.

تقول فرتيليتي:

- «كم شخصًا يجب أن تقتل كي تترقَّى من قاتلٍ متسلسل إلى قاتلٍ جماعي؟».

يقول لنا آدم:

- «انتظرا في السيَّارة وسأدخل لأجسَّ النبض. فقط تذكَّرا أن طفلتكما مريضة للغاية».

ثم يقول إننا وصلنا، وتنظر فرتيليتي إلى المنزل ثم إلى آدم وتقول:

- «أنت المريض للغاية فعلًا».

- «بل أنا الأب الروحي للطفلة المسكينة».

وأقرأ اللافتة في الفناء الأمامي التي تقول: «جمعية رونالد مكدونالد الخيريَّة».

- 14 -

تخيَّل أنك تعيش في منزلٍ واحد، لكن المنزل ينتقل إلى بلدةٍ مختلفة في كلِّ يوم.

كان آدم يعرف ثلاثة سُبُلٍ للخروج من نيو أورلينز. كان قد أخذَنا إلى موقفٍ للشاحنات على أطراف المدينة وقال أن نختار. المطارات مراقَبة، محطَّات القطارات والحافلات شرحه، ولا يمكن لثلاثتنا السفر بالأوتوستوپ، كما أن فرتيليتي رفضت القيادة طوال الطريق إلى كندا.

- «أكره القيادة إلى أقصى حد، بالإضافة إلى أن طريقة أخيك للتنقُّل أمتع كثيرًا».

في اليوم التالي، بعد قضائنا الليل في جمعية رونالد مكدونالد الخيريَّة، نقف على أرض المرآب المفروشة بالحصى خارج مقهى موقف الشاحنات، ويُخرِج آدم مدية من جيبه الخلفي ويفتح النصل سائلًا:

- «ما اختياركما إذن؟».

كان آدم قد دخل المقهى وتكلَّم مع سائقي الشاحنات. لا أحد هنا متجهًا إلى الشمال مباشرةً، ويجب أن نختار واحدةً من هذه، يقول، ويشير إلى ثلاثتها.

هناك منزل من طراز وستبري متجه غربًا على الطريق السريع 10 إلى هيوستن.

هناك منزل من طراز پلانتيشن متجه إلى الشمال الشرقي على الطريق السريع 55 إلى چاكسون.

هناك منزل من طراز سپرينجهيل متجه إلى الشمال الغربي إلى بوسير سيتي على الطريق السريع 49، متوقِّفًا في ألكزاندريا وپاينهيل أولًا، ثم غربًا على الطريق السريع 20 إلى دالاس.

ما أتكلَّم عنه هنا هو المنازل سابِقة التجهيز، تلك التي تُقسَّم إلى أنصاف أو أثلاث وتوضع على الشاحنات لتُنقَل إلى حيث سيتم تجميعها وتركيبها. الجزء المفتوح من كلٍّ وحدةٍ مغطًّى بالبلاستيك نصف الشفَّاف، وبالداخل الأشكال المشوَّشة للأرائك والسرائر والسجَّاد الملفوف والأجهزة الكهربيَّة والموائد والمقاعد.

بينما كان آدم يُثرثِر مع سائقي الشاحنات داخل المقهى ليعرف وجهة كلٍّ منهم، كانت فرتيليتي معي في الحمَّام تصبغ شعري الأشقر باللون الأسود في الحوض وتغسل اللون البرونزي الزائف عن يديَّ ووجهي. كنا قد حشونا ما يكفي من المظاريف لشراء ثيابٍ لي من متجرٍ للملابس المستعمَلة، بالإضافة إلى بعض الدجاج المحمَّر الذي جاءت معه مناديل ورقيَّة وبعض سَلطة الكولسلو.

يقف ثلاثتنا في المرآب ويُلوِّح آدم بالمدية قائلًا:

- «اختارا بسرعة، فلن يبقى الرجال الذين ينقلون هذه المنازل الجميلة لتناوُل طعامهم طوال الليل».

يقول آدم إن معظم السائقين الذين يقطعون مسافاتٍ طويلة يقودون شاحناتهم طوال الليل، فالطريق يكون أقل ازدحامًا وحرارة الجو ألطف، وخلال النهار الساخن المزدحِم يركنون الشاحنات وينامون في الصناديق الملحَقة بكابينة كلٍّ شاحنة.

تسأل فرتيليتي:

- «وما الفارق الذي سيصنعه الاختيار؟».

فيجيب آدم:

- «الفارق في مستوى الراحة».

هكذا كان آدم يقطع البلاد من مكانٍ إلى ـر طوال الأعوام العشرة الماضية.

المنزل الذي من طراز وستبري فيه غرفة طعام رسميَّة التصميم ومدفأة مركَّبة في غرفة المعيشة.

المنزل الذي من طراز پلانتيشن فيه خزانات ملابس واسعة ورُكن لتناول الإفطار.

المنزل الذي من طراز سپرينجهيل فيه چاكوزي في الحمَّام الفاخر، والحمَّام الفاخر فيه حوضين وجدار من المرايا. غرفة المعيشة وغرفة النوم الرئيسة بكلٍّ منهما كوَّة لدخول الضوء الطبيعي.

كل هذا يعتمد على أيِّ نصفٍ تدخل. أكرِّر أن هذه أجزاء من منازل، منازل مُفكَّكة.

قد يكون الجزء الذي تدخله عبارةً عن غُرَف نومٍ بالكامل أو مطبخ وحمَّام فقط دون غُرَف نوم، وقد تكون هناك ثلاثة حمَّامات ولا شيء آخر، أو لا حمَّامات على الإطلاق.

لا الأضواء ولا السباكة تعمل بالمناسبة.

مهما كانت وسائل الترف التي تحصل عليها، سوف يظل شيء ما ناقصًا. مهما اخترت بعناية، فلن تشعر بالرضا التام أبدًا.

نختار المنزل الذي من طراز سپرينجهيل، ويستخدم آدم مديته لفتح البلاستيك الذي يُغطِّي الجانب المفتوح من أسفل. يفتح مساحة قدمين فقط بما يكفي لإدخال رأسه وكتفيه، ومن الداخل يخرج الهواء ساخنًا جافًّا.

يزحف آدم إلى الداخل حتى خصره، ويقول عبر البلاستيك نصف الشفَّاف وقد تدلَّت مؤخِّرته وساقاه خارجًا:

- «الجدران مطليَّة بأزرق زهرة الذُّرة، ولدينا غرفة معيشة نموذجيَّة، والمطبخ به ميكروويف، وهناك ثُريًّا مصنوعة من البلاستيك الشفَّاف تعلو مائدة الطعام».

يجذب آدم جسده كله إلى الداخل، ثم يبرز رأسه الأشقر من فتحة البلاستيك مبتسمًا وهو يقول:

- «أسِرَّة كبيرة من طراز كاليفورنيا، طاولة مطبخ من الخشب الحبيبي، خزانة أوروبية التصميم، وستائر عموديَّة للنوافذ. اختيار ممتاز للمنزل الذي سنبدأ به».

ثم تزحف فرتيليتي وأنا بعدها عبر الغلاف البلاستيكي.

تمامًا كما بدا داخل المنزل من الخارج -أشكال الأثاث والألوان- ضبابيًّا مُبهمًا، فهكذا يبدو العالم الخارجي، العالم الحقيقي، من داخل البلاستيك الآن، مشوَّشًا وغير حقيقي. تضاء مصابيح موقف الشاحنات النيون في الخارج فتبدو معتمة ملطَّخة، بينما تضعف ضوضاء الطريق السريع وتنكتم بعض الشيء.

يميل آدم حامِلًا شريطًا لاصقًا يسد به الفتحة التي دخلنا منها من الداخل ويقول:

- «لم نعد نحتاجها. عندما نصل إلى وجهتنا سنخرج من الباب الأمامي أو الخلفي كأيِّ أحد».

السجَّاد الطويل ملفوف وموضوع عند أحد الجدران في انتظار بقيَّة المنزل كي يتم تركيبه، والأثاث وحشايا الفراش مغطَّاة بالبلاستيك المضاد للأتربة، وخزانات المطبخ مُغلَقة وموصَدة.

تُجرِّب فرتيليتي تشغيل ثُريًا غرفة الطعام، لكنها لا تعمل بالطبع.

يقول آدم:

- «ولا تستخدما المرحاض كذلك، وإلا قضينا بقيَّة الرحلة مع فضلاتكما إلى أن نصل».

تومض مصابيح النيون من موقف الشاحنات وأعمدة النور على الطريق السريع عبر أبواب غرفة الطعام فرنسية التصميم، بينما نجلس حول المائدة ذات القشرة المصنوعة من خشب القيقب لنأكل دجاجنا المحمَّر.

هذا الجزء من منزلنا المفكَّك فيه غرفة نوم واحدة، بالإضافة إلى غرفة المعيشة والمطبخ وغرفة الطعام ونصف حمَّام.

إذا قطعنا الطريق كله إلى دالاس، يقول آدم، فيمكننا الانتقال إلى منزلٍ آخر يقطع طريق الولايات 35 إلى أوكلاهوما، ثم يمكننا اللحاق بأحد المنازل التي تقطع الطريق نفسه إلى كانساس، ثم شمالًا على طريق الولايات 135 في كانساس ومنه غربًا إلى طريق الولايات 70 إلى دنفر، وفي كولورادو سنلحق بمنزلٍ متَّجه إلى الشمال الغربي على طريق الولايات 76 حتى يلتقي بطريق الولايات 80 في نبراسكا.

نبراسكا؟

ينظر آدم إليَّ ويقول بفمٍ مليء بالدجاج نصف الممضوغ:

- «نعم، أرضنا القديمة أنا وأنت».

لماذا نبراسكا؟

يقول وهو ينظر إلى فرتيليتي التي تنظر إلى طعامها:

- «كي نصل إلى كندا سنسلُك طريق الولايات 80 إلى طريق الولايات 29 عبر حدود الولاية في أيوا، ثم نواصِل الطريق شمالًا على هذا الطريق مرورًا بساوث داكوتا ونورث داكوتا وحتى كندا».

- «إلى كندا مباشرةً». تقولها فرتيليتي وتُعطيني ابتسامةً تبدو مفتعلةً لأن فرتيليتي لا تبتسم أبدًا.

عندما نتبادل تحية المساء تنام فرتيليتي على حشية الفراش في غرفة النوم، بينما يأخذ آدم قطعة من الأريكة القابلة للفك والتركيب المصنوعة من المخمل الأزرق، ويجعله منظره هذا يبدو ميتًا في تابوت.

لفترةٍ طويلةٍ أستلقي على ظهري مستيقظًا أتساءل عن حيوات من تركتهم خلفي؛ ترفُور أخو فرتيليتي، موظَّفة التحريّات الاجتماعيَّة، وكيل الأعمال، عائلتي التي ماتت كلها... أو مات معظمها.

يغط آدم في نومه، وعلى مقربةٍ تدب الحياة في محرِّك الشاحنة.

أُسائِل نفسي عن كندا وإن كان الهرب سيحل أيَّ شيء. أستلقي هنا في أزرق زهرة الذُّرة المُظلِم وأتساءل إن كان الهرب علاجًا لعلاجٍ لعلاجٍ لعلاجٍ لعلاجٍ لمشكلةٍ لا أذكرها.

يرتعد المنزل كله، تتأرجح الثُّريَّا، تهتز أوراق السراخس الحريريَّة في سلالها المجدولة، تترنح الستائر على النوافذ، ثم يسود الصمت.

يبدأ العالم في الحركة وراء الغلاف البلاستيكي ويبتعد سريعًا سريعًا حتى يختفي تمامًا.

وأغيب في النوم.

- 13 -

إنه يومنا الثاني على الطريق، وأشعر بأن شفتيَّ باهتتان مصفرَّتان وعضلاتي أقل تناسُقًا. لا يمكنني أن أعيش حياتي بشَعرٍ أسود. أريد بعض الوقت -دقيقة واحدة فقط، ثلاثين ثانية فقط- في دائرة الضوء.

مهما حاولت إخفاء هذا بكلِّ قوتي، فإنني -شيئًا فشيئًا- بدأت أنهار.

نحن في دالاس، تكساس، نُفكِّر أن نستقلّ نصف منزلٍ من طراز ويلمنجتن ذي طاولة مطبخ مغطَّاة بالقرميد الأملس وشطَّاف في الحمَّام الرئيس. ليست هناك غرفة نومٍ رئيسة، لكن هناك غرفة غسيل بها توصيلات الغسَّالة والمجفِّف. بالطبع لا توجد كهرباء أو ماء أو هاتف. أدوات المطبخ بلون اللوز وليست هناك مدفأة، لكن غرفة الطعام بها ستائر طويلة تصل إلى الأرض.

كان هذا بعد أن استعرضنا عددًا من المنازل أكبر من أن أتذكَّره؛ منازل بها مدافئ تعمل بالغاز، منازل بها أثاث ذو تصميمٍ فرنسي ريفي، وطاولات قهوة كبيرة مغطَّاة بالزجاج، وكشَّافات إضاءة.

الغروب أحمر ذهبي في أفق تكساس، ونحن واقفون في مرآب خارج محطَّة شاحنات خارج دالاس. أردت منزلًا به غرفة نومٍ منفصلة لكلٍّ منا لكن بلا مطبخ، وأراد آدم منزلًا به غرفتي نومٍ فقط ومطبخ لكن بلا حمَّام.

الوقت يشارِف على النفاد، الشمس على وشك الغياب تمامًا، والسائقون يستعدُّون للقيادة طوال الليل.

بَشرتي باردة وتتصبَّب عَرَقًا، وجسمي كله -حتى جذور شعري

الشقراء- يؤلمني. في منتصف أرضيَّة المرآب المفروشة بالحصى بدأت أمارس تمارين الضغط، ثم انقلبت على ظهري وبدأت تمارين البطن كأنني مصاب بالتشنُّجات.

كانت الدُّهون قد بدأت تتجمَّع تحت جِلدي بالفعل، وعضلات بطني بدأت تختفي، أما عضلات الذراعين والكتفين فبدأت تتهدَّل. أريد بعض السُّمرة، أريد بعض الوقت في الشمس.

خمس دقائق فقط، أتوسَّل لآدم وفرتيليتي، قبل أن نخرُج على الطريق مرَّة أخرى. خمس دقائق فقط في سرير اكتساب السُّمرة.

يقول آدم:

- « هذا غير ممكن يا أخي الصغير. لا بُد أن الـFBI تراقب كلَّ صالة ألعاب رياضيَّة وكلَّ صالون تجميل ومتجر للأطعمة الصِّحِّيَّة في الغرب الأوسط كله».

بعد يومين فقط كنت قد ضِقت ذرعًا بالطعام المحمَّر اللعين الذي يُقدِّمونه في مواقف الشاحنات. أريد الكرفس، أريد البازلاء الصينية والألياف والشوفان والأرز البُنِّي ومُدِرَّات البول.

تقول فرتيليتي لآدم:

- «لقد بدأ ما حدَّثتك عنه. يجب أن نحبسه في مكانٍ ما في الحال. إنه يعاني من أعراض الانسحاب من الانتباه الذي كان يحصل عليه».

دفعني الاثنان في خشونة داخل منزلٍ من طراز ميسون دو إليجانس بينما كان السائق يُشغِّل محرِّك الشاحنة بالفعل، ثم دفعاني داخل غرفة النوم في المؤخِّرة وليس فيها إلا حشية فراشٍ عارية وتسريحة عملاقة على طراز دول البحر الأبيض المتوسِّط تحمل مرآة كبيرة. كنت أسمعهما خارج الغرفة يُكوِّمان قطع الأثاث -أرائك قابلة للفك والتركيب، طاولات صغيرة، مصابيح مصمَّمة على شكل زجاجات نبيذ قديمة،

كراسٍ طويلة- أمام الباب كي لا أستطيع الخروج.

تمر تكساس سريعًا خارج نافذة غرفة النوم، وفي الغسق تمر لافتة تقول: «أوكلاهوما سيتي، 250 ميلًا».

ترتج الغرفة كلها، والجدران مغطَّاة بورق حائط عليه أشكال زهور صفراء صغيرة تهتز بسرعةٍ كبيرة تصيبني بالغثيان. أينما تحرَّكت في غرفة النوم هذه أرى نفسي في المرآة الكبيرة.

تعود بشرتي إلى لونها الأبيض التقليدي في غياب الأشعَّة فوق البنفسجيَّة التي أحتاجها. لعله خيالي فقط، لكن أشعر بحشو أحد أسناني وقد تخلخل، فأحاول ألا أصاب بالهلع.

أمزِّق قميصي وأفحص جسدي بحثًا عمَّا به من تلفيَّات. أقف بشكلٍ جانبي أمام المرآة وأشد بطني إلى الداخل. أحتاج إلى حقنة من الدوراتستون حالًا، أو الأناڤار، أو الديكا-ديورابولين. لون شَعري الجديد يجعلني أبدو كأنني مغسول. لم تنجح الجراحة الأخيرة التي أجريت على جفنيَّ، وعليه بدأت الانتفاخات تحت العينين في الظهور بالفعل. أدور لأرى إن كان هناك شَعر ينمو على ظهري.

تمر خارج النافذة لافتة تقول: «أمامك إصلاحات على الطريق».

آخر ما دهنته من كريم السُّمرة الذي أستخدمه متكتِّل في أطراف عينيَّ والتجاعيد حول فمي وعبر جبهتي.

أحاول أن أغفو، وأمزِّقُ خيوط غلاف حشية الفراش بأظفاري.

تمر خارج النافذة لافتة تقول: «النقل الثقيل يلزم اليمين».

طَرقة على الباب، وتقول فرتيليتي عبره وعبر الأثاث المكوَّم:

- «معي ساندويتش تشيز برجر إذا كنت تريده».

فأصيح في سخط:

- «لا أريد تشيز برجر لعينًا مليئًا بالدُّهون!».

تقول فرتيليتي:

- «يجب أن تتناول السُّكَّر والدُّهون والملح كي تعود إلى طبيعتك. هذا في صالحك».

فأصيح بأنني أريد علاجًا بالشمع لجسمي كله، أريد كريمًا للشَّعر.

وأدق على الباب بعنف...

أريد ساعتين في الساونا، أريد تسلُّق ثلاثمئة طابق على ماكينة السلالم الكهربائيَّة.

تقول فرتيليتي:

- «كل ما تحتاجه هو بعض الصبر وستكون بخير».

إنها تقتلني:

- «إننا ننقذ حياتك».

إنني أحتجز الماء داخل جسمي، كتفاي تتهدَّلان، الانتفاخات تحت عينيَّ تحتاج إلى كونسيلر، أسناني تتحرَّك من مكانها. أريد عمليَّات التجميل. أين متخصِّص التغذية؟ اتَّصلوا بطبيب الأمراض الجِلديَّة. عضلات ساقيَّ تضمر. سأعطيكم أيَّ شيءٍ تريدون. سأعطيكم نقودًا.

تقول فرتيليتي إنني لا أملك أيَّ نقود.

- إنني شهير.

- «أنت مطلوب في جريمة قتل جماعي».

- يجب أن يُحضِر إليَّ أحدهما بعض مُدِرَّات البول.

تقول فرتيليتي:

- «عندما نتوقَّف المرَّة القادمة سأحضر لك ساندويتشًا بلا دهون».

- هذا لا يكفي.

- «هذا أكثر مما تحصل عليه في السجن».

دعونا نعيد التفكير في هذا، أقول، ففي السجن ستكون هناك معدًّات لرفع الأثقال، سأقضي وقتًا لا بأس به في الشمس، ولا بُد أن لديهم ألواحًا لممارسة تمارين الضغط والبطن، ولربما يمكنني تدبير بعض الوينسترول من السوق السوداء. فقط أخرجوني من هنا، أتوسَّل، افتحوا الباب.

- «ليس قبل أن تستعيد عقلك».

- أريد دخول السجن!

- «لديهم الكرسي الكهربائي في السجن».

- سوف أخاطر.

- «لكنهم قد يقتلونك».

- لا بأس. كل ما أريده هو أن أكون محور الاهتمام لمرَّةٍ واحدةٍ أخيرة.

- «ادخل السجن وستكون محور الاهتمام كله».

- أريد مرطِّبًا للبشرة، أريد أن تُلتقَط صوري. أنا لست كالناس العاديين، وكي أواصِل الحياة لا بُد من الظهور الإعلامي المستمر. أريد أن أكون في بيئتي الطبيعيَّة، على شاشة التليفزيون. أريد أن أكون حُرًّا، أوقِّع كُتُبي.

تقول فرتيليتي عبر الباب:

- «سأتركك وحدك بعض الوقت. يجب أن تستريح».

- كم أمقت كوني فانيًا!

- «فكِّر في الأمر كله كأنه أحداث مسرحيَّة (سيدتي الجميلة) أو (پجماليون)، لكن بالعكس».

- 12 -

عندما أفيق مرَّة أخرى، أجدني مُصابًا بالدُّوار وفرتيليتي تجلس على حافة الفراش تُدلِّك ذراعيَّ وصدري بنوعٍ رخيصٍ من مُرَطِّب البشرة، وتقول:

- «مرحبًا. كدنا نحسب أنك لن تعود».

أين نحن؟

تنظر حولها وتجيب:

- «نحن في منزلٍ من طراز مايلوود شاتو. المطبخ مغطًّى بالمشمَّع، وأرضية الحمَّامَيْن بالفاينل، والجدران مطليَّة بالأزرق المخضر».

لا، أهمس، أعني أين نحن على الخريطة؟

- «أعرف ما تعنيه».

تمر خارج النافذة لافتة تقول: «أمامك منعطف».

الغرفة التي نحن فيها مختلفة عمَّا أذكره. ورق الحائط عليه أفيال راقصة، الفراش الذي أرقد عليه به مِظَلَّة تنسدل منها ستائر من الدانتيل الأبيض مصنوعة بالماكينة ومربوطة بشرائط من الساتان الوردي، وثمَّة ستائر بيضاء ذات فتحات تهوية تُغطِّي النوافذ، وانعكاسي وفرتيليتي يتجلَّى من مَرآةٍ على شكل قلبٍ على الحائط.

أسأل عمَّا حدث للميسون دو إليجانس.

- «كان هذا منذ منزِلَيْن. إننا في كانساس الآن، في نصف منزل مايلوود شاتو بأربع غُرَف نوم. إنه أفضل أنواع المنازل مسبقة التجهيز».

- حقًّا؟

تقول وهي تُملِّس على الغطاء الذي تدثَّرتُ به:

- «آدم يقول إنه الأفضل على الإطلاق. ألوان الملاءات متناسِقة مع الجدران، وهناك أطباق في خزينة غرفة الطعام تتماشى مع لون الأريكة والمقاعد الموف في غرفة المعيشة، بل إن المناشف في الحمام لونها موف أيضًا. لكن لا يوجد حمَّام، ليس في هذا النصف على الأقل، لكني متأكِّدة من أن لونه موف أيضًا».

أسألها عن آدم.

- «نائم».

- وليس قلقًا عليَّ؟

- «لقد أخبرته بأن كلَّ شيءٍ سيكون على ما يرام في النهاية، وهو سعيد للغاية في الحقيقة».

ترقص ستائر الفراش وتتأرجح مع حركة المنزل على متن الشاحنة.

تمر خارج النافذة لافتة تقول: «قيادة آمنة».

أكره أن فرتيليتي تعرف كلَّ شيء.

تقول فرتيليتي:

- «أعرف أنك تكره أنني أعرف كلَّ شيء».

أسألها إن كانت تعرف أنني قتلت أخاها.

بهذه البساطة تخرُج مني الحقيقة، اعترافي الكامل على فراش الموت.

- «أعرف أنك تكلَّمت معه ليلة موته، لكن ترڤور انتحر».

وأنني لم أكن عشيقه الشاذ.

- «أعرف هذا أيضًا».

وأنني صاحب الصوت الذي أرادَت ممارسة الجنس معه على الهاتف.

- «أعرف».

تفرك بعض المرطِّب بين يديها وتُدلِّك كتفيَّ به قائلة:

- «لقد اتَّصل ترڤور بخطِّك الساخن لأنه كان يبحث عن مفاجأة، ووجودي معك للسبب نفسه».

بعينين مغلقتين أسألها إن كانت تعرف كيف سينتهي كلُّ هذا.

- «على المدى القريب أم البعيد؟».

- الاثنين.

- «على المدى البعيد سنموت جميعًا ثم تتعفن أجسادنا، لا مفاجأة هنالك. على المدى القريب سنعيش في ثباتٍ ونبات».

- حقًّا؟

- «حقًّا، فدَع عنك القلق».

أرمق نفسي والعمر يتقدَّم بي في المرآة ذات شكل القلب.

تمر خارج النافذة لافتة تقول: «لا داعي للسرعة المفرطة».

تمر خارج النافذة لافتة تقول: «السرعة مراقبة بالرادار».

تمر خارج النافذة لافتة تقول: «لسلامتك شغِّل الأنوار ليلًا».

- «هلا استرخيت إذن وتركت الأشياء تحدث؟».

أسألها: هل تعني الأشياء كالكوارث والألم والبؤس والتعاسة؟ أترك كلَّ هذا يحدث فحسب؟

- «والبهجة، والسَّكينة، والسعادة، والقناعة». وتسرد أسماء أجنحة ضريح كولومبيا التذكاري كلها. «إنك لست مضطرًّا للتحكُّم في كلِّ شيء، ولا يمكنك التحكُّم في كلِّ شيء».

- لكن يمكنك أن تستعد لوقوع الكوارث.

تمر خارج النافذة لافتة تقول: «اربط حزام الأمان».

تقول فرتيليتي:

- «إذا ظللت تُقلِق نفسك بالكوارث، فهي ما سيحدث لك بالضبط».

تمر خارج النافذة لافتة تقول: «احذر الصخور المتساقطة».

تمر خارج النافذة لافتة تقول: «أمامك منحنى خطر».

تمر خارج النافذة لافتة تقول: «الطريق يكون زلِقًا عندما يبتل».

خارج النافذة تقترب نبراسكا مع كلِّ دقيقةٍ تمر.

العالم كله كارثة تنتظر الحدوث.

تقول فرتيليتي:

- «أريدك أن تعرف أنني لن أكون موجودة طوال الوقت، لكني سأجدك دائمًا».

تمر خارج النافذة لافتة تقول: «أوكلاهوما، 25 ميلًا».

تقول فرتيليتي:

- «مهما حدث، مهما فعلتَ أو فعل أخوك، فهو الشيء الصحيح».

تقول فرتيليتي:

- «يجب أن تثق بي».

أقول لها إنني أريد بلسمًا للشفاه، إن شفتيَّ متشقِّقتان.

تمر خارج النافذة لافتة تقول: «استسلِم».

تقول فرتيليتي:

- «ليكن. لقد سامحتك على خطاياك. إذا كان هذا سيساعدك بعض الشيء، سأُحضِر لك بلسم الشفاه».

- 11 -

طبعًا فقدنا فرتيليتي في موقفٍ للشاحنات خارج دنفر، كولورادو. حتى أنا توقَّعت أن يحدُث هذا. ما حدث أنها تسلَّلت خارج الشاحنة لتشتري لي بلسم الشفاه بينما يُفرِغ السائق مثانته. كنت وآدم مستغرِقَيْن في النوم عندما سمعنا صرختها.

وطبعًا هي التي خطَّطت لكلِّ ما حدث.

في الظلام، وفي نور القمر المتسرِّب عبر النوافذ، أمشي متعثِّرًا في قِطع الأثاث إلى حيث كان آدم قد فتح البابين الأماميين على مصراعيهما.

إننا نبتعد عن موقف الشاحنات، وتزداد سرعتنا إذ يتحرَّك السائق بالشاحنة على الطريق السريع، وفرتيليتي تعدو وراءنا. ذراعها مفرودةٌ عن آخرها وأنبوب بلسم الشفاه الصغير في يدها. شعرها الأحمر يُرفرِف خلفها، وقدماها تصفعان الأسفلت.

يمد آدم يده لإنقاذها ويتمسَّك بإطار الباب باليد الأخرى.

يرتج المنزل في عنفٍ وتسقط طاولة ذات سطحٍ من الرخام وتتدحرَج مرورًا بآدم وإلى خارج الباب، وتتفاداها فرتيليتي لتتحطَّم على أرض الطريق.

يصيح آدم:

- «أمسكي يدي!».

يهتز كرسي من غرفة الطعام ويسقط عبر الباب ليتحطَّم بدوره وقد كاد يُصيب فرتيليتي، لكنها تصرخ:

- «لا!».

كلماتها تكاد تذوب في قلب زئير المحرِّك وهي تقول له أن يأخذ منها أنبوب البلسم.

- «لا! سوف نقفز. يجب أن نبقى معًا».

- «لا! خُذه، إنه يحتاجه».

- «إنه يحتاجك أنتِ أكثر».

النوافذ التي فتحناها تمتص الهواء امتصاصًا إلى الداخل. الوسائد المطرَّزة تطير من على الأريكة وتثب من الباب الأمامي حول آدم، تطير نحو فرتيليتي وتضربها في وجهها وتكاد تجعلها تتعثَّر. التابلوهات في إطاراتها -صُور لنباتاتٍ على قدرٍ من الذَّوق وصُور لخيول سَبَق- تطير من على الحائط وتنفجر إلى آلافٍ من شظايا الزجاج والخشب والفَن.

أريد أن أساعِد، لكني ضعيف. لقد فقدت الكثير جدًّا من الاهتمام خلال الأيام القليلة الماضية وأستطيع الوقوف بصعوبة. معدَّلات السُّكَّر في دمي لا بُد أنها فلكيَّة، ولا أستطيع إلا المشاهَدة إذ تبتعد فرتيليتي عنا أكثر ويُخاطِر آدم بخروج جزءٍ أكبر من جسده في الهواء أكثر فأكثر.

تنقلب الزهور الحريريَّة، ومن الباب تُبحِر في الهواء ورود حريريَّة حمراء وزهور السوسن وإبرة الراعي وتُرفرِف حول فرتيليتي. بذور الخشخاش -رمز النسيان- تقع على الطريق فتكاد تُسقِطها، وتقذف الرياح زهور برتقالٍ وأوركيد زائفة، وزهور أنفاس الرضيع وزنابق بيضاء عند قدمي فرتيليتي.

تقول فرتيليتي:

- «لا تقفز!».

تقول:

- «سوف أجدكما. أعرف أين ستكونان».

لجزءٍ من الثانية تكاد تنجح وتتلامس أصابعهما، تكاد تبلغ يد آدم، وعندما يحاول جذبها إلى الداخل تنفلت أصابعهما...

... إلا قليلًا؛ فقط الجزء من الثانية الذي سَمَح لها بوضع أنبوب بلسم الشفاه في يده.

ثم تسقط فرتيليتي في غياهب الظلام والماضي وراءنا.

رَحَلَت فرتيليتي، ولا بُد أننا نتحرَّك بسرعة 60 ميلًا في الساعة. يستدير آدم ويُلقي بالأنبوب في وجهي بقوَّةٍ جعلته يرتد عن حائطيِّ الشاحنة مرَّتين، ويقول مزمجِرًا:

- «أتمنى أن تكون سعيدًا الآن. أتمنى أن تُشفى شفتاك».

تُفتَح خزانة الآنية الصيني في غرفة الطعام، ومنها تسقط أطباق وسُلطانيَّات وصوانٍ وكؤوس وأكواب وتتدحرج عبر الباب الأمامي، ويتحطَّم كل هذا على الطريق تاركًا وراءنا أثرًا طويلًا يلمع في ضوء القمر.

لا أحد يركض وراءنا، ويصارع آدم تليفزيونًا بشاشة شِبه رقميَّة ينزلِق نحو الباب. بصرخةٍ يقذفه نحو الباب، ثم يقذف أريكة صغيرة من المخمل، ثم البيانو الصغير، وينفجر كلُّ شيءٍ وهو يصدم الأرض.

ثم ينظر إليَّ...

ضعيفًا غبيًّا يائسًا أحبو على الأرض بحثًا عن بلسم الشفاه.

مُكشِّرًا عن أنيابه وشعره يطير وراء رأسه يقول:

- «أجدر بي أن أرميك أنت من هذا الباب».

ثم تمر لافتة تقول: «نبراسكا، 98 ميلًا».

ثم تزحف ابتسامة مثيرة للتوجُّس إلى وجه آدم ببطء، ويمشي مترنِّحًا إلى الباب الأمامي المفتوح، ويهتف ورياح الليل تعوي حوله.

يهتف:

- «فرتيليتي هوليس!».

يهتف:

- «شكرًا لك!».

للظلام ورائنا، للعتمة والشظايا والحُطام ورائنا يهتف آدم:

- «لن أنسى كلَّ ما قلتِ إنه يجب أن يحدث!».

- 10 -

في الليلة السابقة لعودتنا إلى الديار أحكي لأخي الأكبر كلَّ شيءٍ أذكُره عن مقاطعة الكنيسة الكِريدِشِيَّة.

في مستعمرة الكنيسة كنا نُربِّي كلَّ شيءٍ نأكله، القمح والبيض والخِراف والماشية. أذكر أننا كنا نُعنى ببساتينٍ بديعة ونصيد أسماك سلمون قوس القزح اللامعة من النهر.

نجلس في الشُّرفة الخلفيَّة لمنزلٍ من طراز كاسا كاستيل يشق ليل نبراسكا بسرعة ستين ميلًا في الساعة على طريق الولايات 80. هذا الطراز من المنازل به شمعدانات من الزجاج البِلَّوري المنقوش على كلِّ جدار، وأحواضٍ ومراحيض مذهَّبة في الحمَّامات، لكن دون مياهٍ أو كهرباء بالطبع. كلُّ شيءٍ جميل الشكل، لكن لا شيءَ يعمل.

يقول آدم:

- «لا كهرباء أو مياه جارية، تمامًا كما كنا طفلين».

نجلس في الشُّرفة الخلفيَّة وقد تدلَّت أقدامنا على الحافة والأسفلت يهرع تحتنا وعادم الديزل كريه الرائحة الخارج من الشاحنة يُفعِم الهواء حولنا.

في الكنيسة الكِريدِشِيَّة، أقول لآدم، عاش الناس حياة بسيطة مُثمِرة. كنا قومًا ملتزمين نُحافِظ على كرامتنا، هواؤنا نظيف وماؤنا نظيف، أيامنا ذات فائدة وليالينا مُطلَقة. هذا ما أذكُره.

ولهذا لا أريد أن أعود.

لن نجد شيئًا هناك إلا مقبرة تندر برانسن القوميَّة لدفن المواد الحسَّاسة. لا أريد أن أرى سنينًا من الپورنوجرافي جاءت من جميع أرجاء البلاد كي تتعفَّن هنا رأي العين. كان وكيل الأعمال قد أراني إيصالات الاستلام. أطنان من الپورنو تملأ شاحناتٍ عن آخرها، شاحناتٍ ومقطوراتٍ تعج بسُخام الأمَّة تجيء كلَّ شهرٍ كي تدفنها الجرَّافات على عُمق ثلاثة أقدامٍ على امتداد العشرين ألف فدَّان.

لا أريد أن أرى ذلك المنظر، ولا أريد لآدم أن يراه، لكنه ما زال يحمل المسدَّس، وفرتيليتي ليست معي هنا كي تُخبِرني إن كان محشوًّا فعلًا أم لا هذا بالإضافة إلى أنني اعتدت تمامًا أن يقول لي الآخرون ماذا أفعل، أين أذهب، كيف أتصرَّف.

وظيفتي الجديدة إذن هي أن أتبع آدم.

وهكذا سنعود إلى مقاطعة الكنيسة. في جراند آيلاند، يقول آدم، سوف نسرق سيَّارة، وسنبلغ الوادي مع شروق الشمس كما يتوقَّع. إنها مسألة ساعاتٍ فقط، ومع فجر الأحد سنكون قد عُدنا إلى الديار.

يقول آدم وكلانا يرمق الظُّلمة وراءنا وكلَّ ما فقدناه حتى الآن:

- «ماذا تذكُر أيضًا؟».

- كلُّ شيءٍ في مقاطعة الكنيسة كانت نظيفةً طوال الوقت، الطُّرُق ممهَّدة، الصيف طويل معتدِل الحرارة والمطر ينزل كلَّ عشرة أيام. أذكُر أن الشتاء كان هادئًا صافيًا. أذكُر تنقية بذور زهور القطيفة وعبَّاد الشمس. أذكُر تكسير الحطب.

يسألني آدم:

- «هل تذكُر زوجتي؟».

- كلا.

المسدَّس في يده أو حِجره، وإلا لما كنت جالسًا هنا الآن.

- «لم يكن فيها ما يُذكَر على كلِّ حال. كانت بيدي جليسن، وكان من المفترَض أن نحيا حياةً طويلة سعيدة معًا».

- إلى أن أبلغ أحدهم الحكومة وبدأ التحقيق.

- «كان من المفترَض أن نُنجِب دستةً من الأطفال ونجني مالًا جمًّا».

- إلى أن جاء مأمور المقاطعة يطلب أوراق الأطفال كلهم.

- «كان من المفترَض أن نقضي بقيَّة حياتنا في تلك المزرعة، وكلُّ عامٍ يمر كما سابقه».

- إلى أن بدأت الـFBI التحقيق.

- «كان من المفترَض أن نصبح من كبار الكنيسة ذات يوم».

- إلى أن جاء الخلاص.

- «إلى أن جاء الخلاص».

أذكُر أن الحياة كانت هادئة مسالمة في وادي المستعمرة؛ الدجاجات والأبقار تجري طليقةً، الملابس المغسولة معلَّقة في الهواء حتى تجف، رائحة القش في الحظائر، فطائر التفاح تبرد على عتبة كلِّ نافذة. أذكر أنه كان أسلوب حياةٍ مثاليًّا.

ينظر إليَّ آدم ويهز رأسه نفيًا.

- «إلى هذه الدرجة أنت أحمق».

في الظلام يبدو آدم مثلي لو لم تحدُث كلُّ هذه الفوضى لي. إنه مجموعة ضابطة لي على حدِّ تعبير فرتيليتي. لو لم يتم تعميدي وإرسالي إلى العالم الخارجي، لو لم أصبح شهيرًا مبالَغًا في قيمتي، لكان هذا أنا بعينيَّ آدم الزرقاوين وشعره الأشقر النظيف، لكانت كتفاي مستويَّتين وبحجمهما الطبيعي، لكانت يداي بأظفارهما المقلَّمة المطليَّة يديه القويَّتين، لكانت شفتاي المتشقِّقتان شفتيه، لكان ظهري مستقيمًا، لكان قلبي قلبه.

يرمق آدم الظلام ويغمغم:

- «لقد دمَّرتُهم».

يقصد النَّاجين.

- «كلا، أقصدهم جميعًا، المستعمرة كلها. أنا أبلغت الشرطة. غادرت الوادي ذات ليلةٍ ومشيت حتى وجدت هاتفًا».

أذكُر أن الطيور كانت تسكن كلَّ شجرةٍ، وأننا كنا نصطاد جراد البحر بربط قِطعة من دُهن الخنزير بالخيط وإلقائها في الجدول الصغير، وعندما نسحبها نجد جراد البحر يُغطِّيها كلها.

- «أعتقد أنني ضغطت الرقم صفر على الهاتف، لكنني طلبت التحدُّث إلى المأمور على كلِّ حال. قلت لمن ردَّ عليَّ إن طفلًا واحدًا من كلِّ عشرين طفلِ كِريدِشي له شهادة ميلاد سليمة. قلت له إن الكِريدِش يُخفون أطفالهم عن الحكومة».

أذكُر الخيول. كانت لدينا مجموعات من الخيول نحرث بها ونجُر العربات، وكنا نناديها بألوانها لأن إطلاق الأسماء على الحيوانات حرام.

- «قلت لهم إن الكِريدِش يسيئون معاملة أطفالهم ولا يدفعون ضرائب على غالبيَّة دخلهم. قلت لهم إن الكِريدِش كسالى عديمو الحيلة. قلت لهم إن الأطفال بالنسبة للآباء هناك هُم مصدر دخلهم الوحيد، إنهم عبيد لديهم».

أذكُر الكُتل الجليديَّة تتدلَّى من أسقف المنازل، أذكر اليقطين والشواء بعد الحصاد.

- «أنا الذي بدأت التحقيق».

أذكُر الغناء في الكنيسة، حشو اللُّحُف وخياطتها، إطعام المواشي في الحظائر.

- «غادرت المستعمرة تلك الليلة ولم أعُد قَط».

أذكُر تدليلي والعناية بي.

- «لم نملك خيولًا قَط بالمناسبة، والدجاجات والخنازير القليلة التي كنت تراها كانت كذبة كبيرة. أنت كنت في المدرسة طوال الوقت ولا تذكُر إلا ما علَّموك إياه عن حياة الكِرِيدِش منذ مئة عام. بحق السماء! منذ مئة عامٍ كان الجميع يملكون خيولًا».

أذكُر أنني كنت سعيدًا أشعر بالانتماء.

- «لم يكن هناك كِرِيدِشي أسود أو أصفر. لم يكن كبار الكنيسة إلا حفنة من النخَّاسين العنصريين المنافقين».

أذكُر الإحساس بالأمان.

- «كلُّ ما تذكره خاطئ».

أذكُر شعوري بأنني محبوب ذو قيمة.

- «ما تذكُره كذبة لا أكثر. لقد ربوك ودرَّبوك، ثم باعوك».

وهو لا؟

كلا، آدم برانسن كان أول العنقود. تلك الدقائق الثلاث هي ما صنع الفارق كله. كان سيملك كلَّ شيء، الحظائر والدجاج والحِملان، السلام والأمان. كان سيرث المستقبَل وأظل أنا مبشِّرًا عاملًا، أجزُّ الحشائش وأجزُّ الحشائش، عمل بلا نهاية.

يمر بنا ليل نبراسكا المُظلِم والطريق في سرعةٍ ودفء. بدَفعةٍ واحدة، أقول لنفسي، يمكنني إخراج آدم برانسن من حياتي إلى الأبد.

- «كلُّ طعامنا تقريبًا اشتريناه من العالم الخارجي. لقد ورثت مزرعة لتربية وبيع أطفالي لا أكثر. لم نكن نعيد تدوير أيَّ شيءٍ حتى».

لهذا السبب إذن اتَّصل بالمأمور؟

- «لا أتوقَّع منك أن تفهم. إنك ما زلت طفلًا في الثامنة يجلس في المدرسة، يجلس في الكنيسة، يُصدِّق كلَّ ما يقولونه لك. إنك تذكُر

صورًا في كُتُبٍ فقط. لقد خطَّطوا لك حياتك كاملةً، وما زلت تغط في نومك حتى الآن».

وآدم برانسن مستيقِظ؟

- «لقد استيقظت في الليلة التي أجريت فيها تلك المكالمة. في تلك الليلة فعلت شيئًا لا يمكن التراجع عنه».

ومن ثم مات الجميع.

- «باستثنائي أنا وأنت».

وكلُّ ما تبقَّى لأفعله هو أن أقتل نفسي.

- «هذا ما درَّبوك على فِعله فحسب. إن هذا أقصى تعبير عن العبوديَّة».

ما الذي تبقَّى لي إذن كي تصبح حياتي مختلفة؟

- «الوسيلة الوحيدة التي ستعثر بها على هويَّتك هي أن ترتكب أكثر شيءٍ درَّبوك على اجتنابه على الإطلاق، أن ترتكب الإثم الأعظم، الخطيئة الكُبرى، أن تدير ظهرك لتعاليم الكنيسة برُمَّتها».

يقول آدم:

- «حتى الجنَّة التي وعدوك بها لم تكن إلا قفصًا أنيقًا كبيرًا، وستظل عبدًا طوال حياتك ما لم تقضم من التفاحة».

لكني التهمت التفاحة كلها. لقد فعلت كلَّ شيء. ظهرت على شاشة التليفزيون وتنكَّرت للكنيسة، نطقت كُفرًا أمام ملايين الناس، كذبت وسرقت وقتلت (إذا حسبت ترفور هوليس). لقد شوَّهت جسدي بالأدوية والعقاقير، دمَّرت وادي الكنيسة الكِريدِشِيَّة كله، عملت كلَّ أحدٍ طوال السنوات العشر المنصرمة.

- «لكنك ما زلت لم تفقد عذريَّتك».

بوثبةٍ واحدةٍ جيدة، أقول لنفسي، يمكنني أن أحل جميع مشاكلي إلى الأبد.

يقول آدم:

- «تعلم ما أعنيه. الاختراق الأفقي، إخفاء قطعة السجق، الآهة الكبيرة، الحظ السعيد، بلوغ النهاية، إحراز الهدف، الفوز باليانصيب، تركيب الماسورة، حرث الحقل، حشو الفطيرة، القذارة الكُبرى. الجِنس! كُف عن محاوَلة إصلاح حياتك وركِّز على مشكلتك الكبيرة الوحيدة».

يقول آدم:

- «يجب أن نجعلك تنام مع امرأة يا شقيقي الأصغر».

- 9 -

تبلغ مساحة مقاطعة الكنيسة الكِريدِشِيَّة 20560 فدَّانًا بالضبط، أي مساحة الوادي الواقع عند ألسنة نهر فليمنج كلها تقريبًا في شمال غرب جراند أيلاند، نبراسكا. أربع ساعات هي زمن الرحلة بالسيَّارة من جراند أيلاند، وإذا كنت قادمًا من سيوكس فولز في الشمال فالرحلة تبلغ تسع ساعات.

هذا القدر مما أعرفه حقيقي.

ما زلت أتساءل عن الطريقة التي فسَّر بها آدم كلَّ شيء. قال آدم إن أول خطوة تتَّخذها أيُّ ثقافةٍ في العالم لاستعبادك هي إخصاؤك، وبخلاف ذلك تتَّخذ بعض الثقافات التدابير اللازمة كي تجعلك لا تستمتع بالجِنس كثيرًا، فيقطعون منك أجزاء حسَّاسة -سواءً من البظْر أو القَلفة- من المفترَض أن تجعلك تستمتع بالعمليَّة أكثر، ومن دونها تشعر بأنك أقل آدميَّة.

يقول آدم إن هذه هي الفكرة كلها باختصار.

نتحرَّك غربًا بقيَّة الليل بعيدًا عن الموضع الذي ستُشرِق منه الشمس محاوِلَيْن أن نسبقها، محاوِلَيْن ألا نرى ما ستُظهِره لنا عندما نبلغ الديار.

على لوحة عدَّادات السيَّارة أُلصِقَ تمثال صغير طوله ست بوصات لرجلٍ يرتدي ملابس الكنيسة الكِريدِشِيَّة، السروال الفضفاض والمعطف الصوفي والقبَّعة. العينان من البلاستيك الذي يبرق في الظلام، ويداه مرفوعتان معًا بالدعاء بعيدًا عن جسده، حتى أنه يبدو على وشك أن يغطس غطسة البجعة من اللوحة إلى المقعد الأمامي.

قالت فرتيليتي لآدم أن يبحث عن شيڤروليه حديثة في مكانٍ ما في محيط المربَّعين السكنيَّين القريبين من موقف الشاحنات في جراند أيلاند، وقالت إننا سنجد المفاتيح في السيَّارة، وإن خزان الوقود سيكون مليئًا. استغرقنا خمس دقائق تقريبًا للعثور على السيَّارة بعد أن تركنا الكاسا كاستيل.

ينظر آدم إلى التمثال أمامه ويقول:

- «وما المفترَض أن يكون هذا؟».

- من المفترَض أن يكون أنا.

- «لكنه لا يُشبِهك على الإطلاق».

- من المفترَض أن يوحي بالورع الشديد.

- «يبدو كشيطان!».

أقود السيَّارة...

ويتكلَّم آدم.

يقول آدم إن الثقافات التي لا تخصيك تستعبدك، أي أنها تخصي عقلك بدلًا من جسدك. إنها تجعل الجِنس يبدو شديد القذارة والخطورة والإيذاء، حتى أنك، على الرغم من معرفتك الجيدة بأنه ليس كذلك على الإطلاق، سترفض ممارسته تمامًا. يقول آدم إن معظم الديانات في العالم الخارجي تفعل هذا، والكِريدِش حذوا حذوها.

ليس هذا ما أريد أن أسمعه الآن، لكن عندما أحاول تشغيل الراديو أجد جميع أزراره مثبَّتة على محطَّات دينية. جوقة تُنشِد هنا، وواعظ هناك يقول لي إنني إنسان سيء ومخطئ، ثم يأتيني صوت مألوف من إحدى المحطَّات، (كهانة تندر برانسن الإذاعيَّة). هي حلقة من ألف حلقةٍ كنت قد سجَّلتها في ستوديو لا أذكر أين كان.

أقول على الراديو إن إساءة كبار الكُنيسة الكِريدِشِيَّة لا توصف بكلمات.

يقول آدم:

- «هل تذكُر ما فعلوه بك؟».

أقول على الراديو إن الانتهاكات كانت بلا نهاية.

- «أعني عندما كنت طفلًا».

في الخارج بدأت الشمس تلحق بنا وتُشكِّل أشباحًا من الظلام الدامس.

أقول على الراديو إن تحكُّمهم في عقولنا لم يترك لنا فرصة إطلاقًا. لن نرغب في الجِنس أبدًا، لن نخون الكنيسة أبدًا، سنقضي حياتنا كلها في العمل.

يقول آدم:

- «وإذا لم تمارس الجِنس أبدًا فلن تحس بالقوَّة أبدًا، لن يكون لك صوت أو هويَّة خاصة بك أبدًا. الجِنس هو الفعل الذي يفصلنا عن آبائنا، الأطفال عن الكبار. في العالم الخارجي يبدأ المراهقون التمرُّد بممارسة الجِنس».

وإذا لم تمارِس الجِنس أبدًا، يقول آدم، فلن يخرج عالمك عن الحدود التي رسمها لك أبواك. إذا لم تكسر هذه القاعدة، فلن تكسر أيَّ قاعدةٍ أخرى.

أقول على الراديو إنه من العسير على كلِّ من يقطنون العالم الخارجي أن يتصوَّروا مدى تدريبنا.

يقول آدم:

- «في الستينات لم تكن حرب ڤيتنام هي السبب في كلِّ الفوضى التي حدثت، ولا المخدِّرات، بل حبوب منع الحمل. للمرَّة الأولى في التاريخ يستطيع أيُّ أحدٍ ممارسة الجِنس كما يشاء والشعور بهذا النوع من القوة».

عبر التاريخ كان أقوى القادة والحُكَّام مهووسين بالجِنس، فهل كانوا يستمدُّون شهيتهم للجِنس من سُلطتهم أم العكس؟

- «وإذا لم تُمارِس الجِنسِ أبدًا، فهل ستشتهي أيَّ نوعٍ من السُّلطة؟ البتة! وبدلًا من انتخاب موظَّفين حكوميِّين لُطفاء مملِّين يعانون من الكبت الجِنسي، فلربما يجدر بنا العثور على أكثر المرشَّحين هياجًا علَّهم يقومون بعملهم!».

تمر لافتة تقول: «مقبرة تندر برانسن القوميَّة لدفن المواد الحسَّاسة، 10 أميال».

يقول آدم:

- «هل تفهم ما أقصده؟».

- الديار على بُعد عشر دقائق فقط.

- «هل تذكُر ما حدث؟».

- لم يحدث شيء.

أقول على الراديو إنه من المستحيل أن أقوى على وصف البشاعات التي تعرَّضنا لها.

مع اقترابنا أكثر من أرض الكنيسة، أرى المزيد والمزيد من المجلات الإباحيَّة التي طارت من الشاحنات المكشوفة على جانبي الطريق. صُور بهتت ألوانها لنساءٍ عارياتٍ تمامًا تلف كلٌّ منهن نفسها حول جذعِ شجرة، لرجالٍ غارقين بماء المطر اعتلوا الأغصان بقضبانٍ منتصبة. عُلَب أفلام الڤيديو السوداء بين الحصى والحجارة على جانبي الطريق. دُمية امرأة مصنوعة من خامة الڤاينل الوردي مثقوبة ومُلقاة بين الحشائش، وقد جعلتها الرياح تُلوِّح لنا بيديها ونحن نمر بالسيَّارة.

يقول آدم:

- «الجِنس ليس شيئًا بشعًا مرعبًا».

أقول على الراديو إنه من الأفضل أن أتناسى الماضي وأواصِل حياتي.

أمامنا نقطة تنتهي فيها الأشجار المتراصَّة على جانبي الطريق ولا شيء

بعدها، والشمس أدركتنا وقد ارتفعت في السماء، وعلى مدى البصر ليس هناك سوى أرضنا اليباب.

تمر لافتة تقول: «مرحبًا بكم في مقبرة تندر برانسن القوميَّة لدفن المواد الحسَّاسة».

لقد وصلنا...

يمتد الوادي وراء اللافتة حتى الأفق أجرد عاريًا، كل شيء رمادي تمامًا يتخلَّله بعض الجرَّافات الصفراء المركونة الصامتة لأنه يوم الأحد.

ليست هناك شجرة واحدة.

ليس هناك طائر واحد.

المَعْلَم الوحيد الباقي موجود في مركز الوادي، مجرَّد عمود إسمنتي عالٍ يرتفع من البُقعة التي كانت تحتلها دار الاجتماعات حيث سقط الجميع موتى منذ عشرة أعوام. على الأرض تحيط بنا من كلِّ جانبٍ صور لرجالٍ مع نساء، لنساءٍ مع نساء، لرجالٍ مع رجال، لرجالٍ ونساءٍ مع حيواناتٍ وأدواتٍ مختلِفة الأشكال والألوان.

ولا ينبس آدم ببنت شفة.

أقول على الراديو إن حياتي الآن مُفعَمة بالسعادة والحب.

أقول على الراديو إنني أتطلَّع إلى زواجي بالمرأة التي اختيرت لي كجزءٍ من حملة سِفر التكوين.

أقول على الراديو إنني بمساعدة أتباعي سأئِد شهوة الجِنس التي سيطرت على عالمنا.

الطريق طويل ومليء بالحُفَر من حافَّة الوادي ونحو العمود الإسمنتي في المنتصف، وعلى جانبي الطريق تتجمَّع القضبان الصناعيَّة والمجلات مع المهابل المصنوعة من اللاتكس والواقيات الذكريَّة الفرنسية في أكوامٍ

يتصاعد منها الدخَّان، الذي يطير في غيمةٍ بيضاء خانقة عبر الطريق.

أمامنا يكبر حجم العمود أكثر وأكثر إذ يقترب، أحيانًا يتوارى بين دخَّان المواد الپورنوجرافيَّة المحترقة، وأحيانًا يلوح.

أقول على الراديو إن حياتي كلها معروضة للبيع في مكتبةٍ قريبةٍ منك.

أقول على الراديو إنني -بعون الله- سأجعل هذا العالم كله يُعرِض عن الجِنس تمامًا.

يُغلِق آدم الراديو ويقول:

- «غادرت الوادي في الليلة التي عرفت فيها ما فعله الكبار بكم، بكلِّ تندر وبيدي».

يستقر الدخَّان على الطريق ويتسرَّب إلى السيَّارة وإلى رئاتنا لاذعًا حارقًا أعيننا.

تجري الدموع على وجنتيَّ وأنا أقول إنهم لم يفعلوا شيئًا.

يسعل آدم ويقول:

- «اعترِف».

يظهر العمود الإسمنتي من جديد وقد اقترب أكثر.

لا يوجد ما أعترف به.

الدخَّان يُغلِّف كلَّ شيءٍ ويعمينا تمامًا.

ثم يقولها آدم:

- «لقد جعلوكم تُشاهِدون».

لا أرى شيئًا لكنني أواصل القيادة.

يقول آدم والدموع تترك أثرًا أسود على وجهه:

- «ليلة أن أنجبت زوجتي طفلنا الأول، أخذ كبار الكنيسة كلَّ تندر وبيدي في المقاطعة وجعلوهم يُشاهِدون. صرختْ زوجتي كما قالوا

لها أن تفعل بالضبط. صرختْ وهلَّل الكبار وعووا أن عاقبة الجِنس هي الموت. صرختْ وجعلوا الولادة مؤلمةً قدر الإمكان. صرختْ ومات الطفل، طفلنا. صرختْ ثم ماتتْ».

أول ضحيتين للخلاص.

كانت تلك هي الليلة التي خرج فيها آدم من مقاطعة الكنيسة الكِريدِشِيَّة وأجرى المكالمة إياها.

- «جعلكم الكبار تُشاهِدون كلَّ امرأةٍ وهي تضع طفلًا».

سرعتنا لا تربو على العشرين أو الثلاثين ميلًا في الساعة، لكن في مكانٍ ما أمامنا بين الدخَّان يقبع النُّصُب التذكاري المتبقِّي من ديانة الكِريدِش.

لا أقول شيئًا وأحاول التنفس فحسب.

- «وطبعًا من يرغب في ممارسة الجِنس بعدها؟ لن ترغب في الجِنس بعدها أبدًا، لأنه كلما وضعت أمك طفلًا كانوا يجعلونكم تجلسون هناك وتُشاهِدون، لأن الجِنس بالنسبة لكم صار مُرادِفًا للألم والخطيئة وصراخ أمك».

الدخَّان شديد الكثافة لا يجعلني أرى آدم حتى.

ثم إنه قالها...

- «والآن لا يبدو الجِنس لك إلا عذابًا».

يقولها كأنه يبصق...

عِطر الحقيقة، Truth.

وفي تلك اللحظة ينجاب الدخَّان.

ونرتطم بالعمود الإسمنتي مباشرةً.

- 8 -

في البدء ليس هناك شيء إلا الغبار، كذرَّاتٍ من بودرة الأطفال الناعمة العالِقة بهواء السيَّارة وقد اختلطت بالدخَّان.

يدور الغبار والدخَّان في الهواء، والصوت الوحيد الذي تسمعه هو صوت المحرِّك وشيء ما يقطر منه، زيت أو وقود أو مضاد للتجمُّد...

إلى أن يبدأ آدم بالصراخ.

الغبار الأبيض من كيسي الهواء الواقيين اللذين حميانا لحظة الارتطام ثم سقطا فارِغين على لوحة العدَّادات، وإذ يبدأ الغبار في الانقشاع تصحبه صرخات آدم وهو يقبض على وجهه وقد استحال لون الدم السائل من بين أصابعه إلى الأسود.

بيده يمسك آدم تمثالي الصغير الذي تلطَّخ بالدماء وصار يبدو الآن كشيطانٍ حقيقي أكثر من أيِّ وقتٍ سابِق.

بيده الأخرى يتحسَّس الأرض ويسحب مجلة ليضعها على وجهه، مجلة مفتوحة على صفحةٍ فيها صورة لرجلٍ وامرأة يتضاجعان، ومن تحتها يقول آدم:

- «أريدك أن تجد صخرةً وتهوي بها على وجهي عندما أقول لك».

- لا أستطيع.

- «إنني لن أدعك تقتلني».

- لكني لا أثق به.

يقول آدم في ألمٍ من تحت المجلة:

- «سوف تُعطيني حياةً أفضل. بوسعك أن تفعلها. إذا أردت أن تُنقِذ حياتي فافعل هذا ما أجلي».

يقول آدم:

- «إذا لم تفعل، فمجرَّد أن تذهب لتجد نجدةً سأزحف بعيدًا وأختبئ، وسأموت هنا وحدي».

أزِن الصخرة التي وجدتها في يدي وأسأله: هل سيقول لي متي أتوقَّف؟

- «سأقول لك عندما أكتفي».

هل يعِدني؟

- «أعدك».

أرفع الصخرة فيسقط ظلُّها على المتناكحيْن على وجه آدم.

وأهوي بها...

وتغوص الصخرة في وجهه...

- «مرَّة أخرى! بقوَّةٍ أكبر!».

وأهوي بالصخرة...

وتغوص في وجهه أكثر...

- «مرَّة أخرى!».

وأهوي بالصخرة...

- «مرَّة أخرى!».

وأهوي بالصخرة بقوَّةٍ أكبر...

وتسيل الدماء من الصفحات لتحيل لون الرجل والمرأة إلى الأحمر، ثم الأرجواني.

- «مرَّة أخرى!» يصرخ آدم بحروفٍ مشوَّهة وقد فارق فمه وأنفه شكلهما الأصلي.

وأهوي بالصخرة على أذرع الرجل والمرأة وسيقانهما ووجهيهما.

- «مرَّة أخرى!».

وأهوي بالصخرة إلى أن تصير لزجةً تمامًا من فرط الدم الذي لوَّثها، إلى أن تتهاوى المجلة من المنتصف، إلى أن تصبح يداي حمراوين قانيتين.

ثم أتوقَّف وأغمغم: آدم؟

أحاول أن أرفع المجلة لكنها تتمزَّق في يدي وقد تشبَّعت تمامًا بالدماء.

ترتخي يد آدم التي تحمل التمثال، الذي يتدحرج إلى القبر الذي حفرته للعثور على شيءٍ صلب.

أغمغم: آدم؟

وتحمل الريح الدخَّان فوقنا.

وينتشر ظلٌّ ضخم نحونا من قاعدة العمود الإسمنتي. في لحظةٍ يمس آدم فقط، وفي اللحظة التالية يُغطِّيه بالكامل.

***

السيِّدات والسَّادة، لقد انطفأ المحرِّك الثالث هنا على متن الرحلة 2039، ولم يتبقَّ لدينا سوى محرِّك واحد قبل أن نبدأ هبوطنا الأخير.

- 7 -

يسقط الظِّل البارد لنُصُب الكنيسة الكِريدِشِيَّة التذكاري عليَّ طوال النهار وأنا أدفن جثَّة آدم برانسن. تحت طبقات الفُحش، وتحت فتحات الشَّرَج الجائعة والخَنائى الفاتنات، أحفر بيديَّ في تُربة باحة الكنيسة وقد أحاطت بي شواهد القبور التي نُقشَت عليها جماجم وزهور صفصاف والكلمات التي تتوقَّعها.

الذي رحل لكنه لم يُنسَ...

الذي يرقد في سلام...

الذي سُلِب من هذه الحياة...

عسى أن يكون مثواه الجنَّة رغم ذنوبه...

الأب الحبيب...

الأم العزيزة...

العائلة الحائرة...

فليُنعِم عليه الله بالمغفرة والسلام...

موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة الفاشلة...

وكيل الأعمال الذَّميم...

الأخ الضَّال...

لعله البوتوكس الذي حقنوني به أو التفاعُل بين العقاقير المختلِفة أو قِلَّة النوم أو الآثار طويلة المدى لابتعادي عن أضواء الشُّهرة، لكني لا

أشعر بشيءٍ ومذاق فمي مُر. أضغط على الغدد اللمفاويَّة في عنقي، لكنني لا أشعر إلا بازدرائها لي.

من الجائز أنني بعد موت جميع من حولي أصبحت ذا براعةٍ في فقدان الناس، موهبة طبيعيَّة، نِعمة.

لعلي طوَّرت مهارة الافتقار للمشاعر، تمامًا كعُقم فرتيليتي الذي يجعل العمل المثالي لها أن تكون أمًّا بالوكالة.

تمامًا كما تنظر إلى ساقك المبتورة من تحت الرُّكبة ولا تشعر بشيءٍ في البداية، ما قد يكون تأثير الصدمة فحسب.

لكني آمل ألا يكون كذلك.

لا أريد أن يزول عدم الإحساس هذا.

وأدعو الله ألا أحس شيئًا بعد الآن أبدًا.

لأنه إذا زال، فسوف يكون الألم شديدًا بما لا يُقاس، وسيدوم ما حييت.

لن تتعلَّم هذا في أيِّ مدرسة، لكن لمنع الكلاب من إخراج شيءٍ دفنته تحت الأرض عليك أن ترش القبر بالأمونيا، ولإبعاد النمل رُش بعض ملح الصوديوم.

لإبعاد الصراصير استخدم الشَّبَّة.

لإبعاد الفئران استخدم زيت النعناع.

لتنظيف بُقَع الدم تحت أظفارك، ضع أناملك داخل فصوصٍ من الليمون وافركها جيدًا، ثم اغسلها بالماء الدافئ.

لم يتبقَّ من حطام السيَّارة المحترق إلا المقاعد التي يتصاعد منها الدخَّان، شريط من الدخَّان الأسود يتبدَّد عبر الوادي.

عندما رفعت جثَّة آدم سقط المسدَّس من جيب سترته، والصوت الوحيد في المكان كان صوت بضع ذباباتٍ تحلَّقت حول الصخرة الملطَّخة بالدماء.

ما تبقَّى من وجه آدم ما زال متواريًا تحت المجلة الحمراء اللزجة، وعندما أفرد ساقيه أولًا ثم كتفيه في الحُفرة التي صنعتها، يظهر تاكسي أصفر في الأفق متَّجهًا ناحيتي.

لن تتَّسع الحُفرة لاحتواء آدم إلا إذا وضعته على جانبه وكوَّرت جسده بعض الشيء، وعندما أنتهي أركع على الحافة وأبدأ في تغطيته بالتراب.

عندما ينفد التراب النظيف أبدأ في استخدام المواد الپورنوجرافية المحيطة بي لتغطية الحُفرة؛ كُتُب إباحية مفكّكة، مجلات صورها باهتة، تريسي لوردز وچون هولمز، كايلا كليڤاچ وديك رامبوني، ڤيبريتورات ذات بطَّارياتٍ فارغة، أوراق لعب، واقيات ذكريَّة منتهية الصلاحية هشَّة لدنة لكنها لم تُستخدَم قَط.

أعرف هذا الشعور.

واقيات ذكريَّة ذات خطوطٍ عرضيَّة بارزة للمزيد من الحساسيَّة.

آخر شيءٍ أريده هو الحساسيَّة، أيًّا كان نوعها.

هاك واقيات ذكريَّة مبطَّنة بمخدِّرٍ موضعي من أجل ممارسةٍ طويلة، ويا للتناقُض! تستطيع مضاجعتها لساعاتٍ كاملة، لكنك لن تشعر بشيء!

أريد أن تكون حياتي كلها مبطَّنة بمخدِّرٍ موضعي.

يتقدَّم التاكسي الأصفر مني مرتجًّا بين الحُفَر الصغيرة في الأرض. شخص واحد يجلس في المقعد الخلفي.

لا أدري من، لكني أستطيع التخمين.

ألتقط المسدَّس وأحاول أن أدسه داخل جيب سترتي، فتُمزِّق الماسورة بطانة الجيب ويغيب المسدَّس كله بالداخل، ولا أدري حقًّا إن كان محشوًّا أم فارغًا.

يتوقَّف التاكسي على مسافةٍ لا قريبة ولا بعيدة مني وتخرج منه فرتيليتي وتُلوِّح لي، ثم تميل على نافذة السائق ويحمل إليَّ الهواء كلماتها إذ تقول له:

- «انتظرني من فضلك. لن أستغرق إلا دقيقة».

ثم تدنو مني وقد فردت ذراعيها إلى جانبيها لتحفظ توازُنها وخفضت رأسها وهي تخطو فوق الطبقات اللزِجة من المجلات المستعمَلة وخلافه.

- «خطر لي أنك قد تحتاج إلى صُحبتي الآن».

أنظر حولي بحثًا عن منديلٍ أو لباسٍ داخلي قديم أمسح به الدم عن يديَّ، وترفع فرتيليتي عينيها إلى أعلى قائلة:

- «واو! الطريقة التي يسقط بها ظِل نُصُب الموت التذكاري هذا على قبر آدم شديدة الرَّمزيَّة حقًّا!».

الساعات الثلاث التي استغرقتها في دفن آدم هي أطول مدَّة قضيتها دون عملٍ في حياتي، والآن ها هي ذي فرتيليتي هوليس قد جاءت لتُخبِرني بما أفعل، وعملي الجديد أن أتبعها.

تدور فرتيليتي لتنظر إلى الأفق وتقول:

- «هذا وادي ظِل الموت فعلًا. لقد اخترت المكان المناسب تمامًا لتهشيم جمجمة أخيك. قابيل وهابيل جدًّا، هه؟».

قتلتُ أخي...

وقتلتُ أخاها...

آدم برانسن...

وترڤور هوليس...

لا يمكنك أن تأتمنني على أخ أيِّ أحدٍ وفي يدي هاتف أو صخرة.

تدس فرتيليتي يدها في حقيبتها وتسألني:

- «هل تريد بعض عِرق السُّوس؟».

فأرفع لها يديَّ الملوَّثتين بالدماء، فتتمتم:

- «لا أظن».

وتنظر من فوق كتفها إلى التاكسي المنتظِر وتُلوِّح بيدها أن انتظِر، فيُخرِج السائق ذراعه ليُلوِّح لها بدوره.

- «دعني ألخِّص لك الأمر سريعًا. آدم وترڤور قتلا نفسيهما».

تقول لي إن ترڤور قتل نفسه لأن حياته صارت خاليةً تمامًا من المفاجآت، لأنه لم تعد هناك مغامرات فيها. ترڤور كان مريضًا بلا أملٍ في الشفاء، وكان يموت مللًا حرفيًّا، والشيء الوحيد الغامض الذي تبقَّى له كان الموت نفسه.

وآدم أراد الموت لأنه كان يعرف أن تدريبه طوال حياته لم يسمح له بأن يكون أيَّ شيءٍ إلا كِريدِشيًّا. لقد قتل آدم النَّاجين لأنه كان يعرف أن مجتمعًا من العبيد لا يمكن أن يؤسِّس مجتمعًا جديدًا من الأحرار. كما قاد موسى بني إسرائيل لجيلٍ كاملٍ عبر الصحراء، أرادني آدم أن أنجو لكن من دون عقلي المبرمَج على العبودية.

تقول فرتيليتي:

- «أنت لم تقتل أخي، ولم تقتل أخاك كذلك. يمكنك اعتبار ما فعلته مجرَّد مساعدة على الانتحار لا أكثر».

من حقيبتها تُخرِج باقةً من الورد البلدي الأحمر اليانع والقرنفل، زهورًا حقيقيَّة، ثم تنحني لتضعها على المجلات التي دفنت آدم تحتها.

ترفع ناظريها إليَّ من موضعها وتقول:

- «هاك رمز آخر. هذه الزهور ستموت خلال ساعاتٍ قليلة، وستقضي الطيور حاجتها عليها، وسيجعلها الدخَّان تتعفَّن، وغالبًا سوف تُسوِّيها الجرَّافات بالأرض غدًا. لكن الآن، في الوقت الحالي، في هذه اللحظة، ما زالت محتفظة بجمالها».

كم هي شخصيَّة حسَّاسة محبَّبة حقًّا!

تنهض فرتيليتي وتُمسكني من جزءٍ نظيفٍ من ذراعي لم يتلوَّث بالدم وتجذبني نحو التاكسي.

- «يمكننا الاستسلام للإنهاك لاحقًا، عندما لا يُكلِّفني هذا مالًا كثيرًا».

في طريق العودة إلى التاكسي تحكي لي عن غضب البلاد كلها عليَّ بسبب إفسادي نهائي كرة القدم. لا يمكننا أن نستقل طائرة أو حافلة إلى أيِّ مكان. الصُّحُف تصفني بالمسيح الدجَّال، قاتل الكِرِيدِش. قيمة جميع منتجات تندر برانسن ارتفعت إلى عنان السماء، لكن للأسباب الخطأ تمامًا. جميع الديانات الكبرى في العالم -اليهوديَّة والكاثوليكيَّة وغيرها- لسان حالها أننا حذَّرناكم.

أخبئ يديَّ الداميتين في سترتي قبل أن نبلغ التاكسي، وأحس بزناد المسدَّس تحت إصبعي.

تفتح فرتيليتي الباب الخلفي وتُدخِلني، ثم تدور وتدخل من الباب الآخر وتقول للسائق مبتسمةً:

- «إلى جراند أيلاند على ما أظن».

يقول عدَّاد التاكسي إنها مدينة له بـ780 دولارًا حتى الآن.

يرمقني السائق في المرآة ويقول بسخرية:

- «هل تخلَّصت أمك من المجلة التي تستمني عليها؟ هذا المكان ممتد لأميال. إذا فقدت شيئًا هنا فلن تعثُر عليه أبدًا».

تهمس لي فرتيليتي:

- «لا تدعه يستفزّك».

تهمس أن السائق مدمن خمر، وتنوي أن تدفع الأجرة ببطاقتها الائتمانيَّة لأنه سيكون ميتًا في حادثٍ خلال يومين ولن يجد الوقت الكافي لسحب المبلغ.

تكاد الشمس تبلغ منتصف السماء ويتقلَّص ظِل العمود الإسمنتي مع مرور الدقائق.

أسألها: كيف حال سمكتي؟

- «أوه، سمكتك، تبًّا!».

يتحرَّك التاكسي متأرجِحًا نحو العالم الخارجي.

لا شيء يؤلمني الآن، لكنني لا أريد أن أسمع هذا.

- «سمكتك... أنا آسفة حقًّا. لقد ماتت».

السمكة رقم 641...

أسألها: هل شعرت بأي ألم؟

- «لا أظن».

أسألها: هل نسيت إطعامها؟

- «كلا».

أسألها: ما الذي حدث إذن؟

- «لا أدري. لقد ماتت فحسب ذات يوم».

لم يكن هناك سبب، لم يكن هناك معنى، لم يكن هناك رمز ما. لقد ماتت السمكة فحسب.

كانت مجرَّد سمكة لعينة حمقاء، لكنها كانت كلَّ ما أملك.

سمكتي الحبيبة.

وبعد كلِّ ما حدث، من المفترَض أن يكون سماع خبرٍ كهذا سهلًا.

سمكتي العزيزة.

لكني أجلس هنا في مقعد التاكسي الخلفي والمسدَّس في يدي ويدي في جيبي، وأنفجِر في البكاء.

- 6 -

في جراند أيلاند كان لدينا ابن صغير أصابه داء اللوپوس بالشَّلَل كي نستطيع قضاء بضعة أيام في أحد منازل رونالد مكدونالد هناك، ثم إننا استقلّينا منزلًا من طراز پاركوود متَّجهًا غربًا لم يكن به إلا أربع غُرَف نوم، وقد نمنا في اثنتين منها بينما تفصل بيننا الاثنتان الأخريان.

في دنڤر كانت لدينا ابنة صغيرة مصابة بشلل الأطفال كي نستطيع قضاء الليل في منزل رونالد مكدونالد آخر ونأكل ولا نشعر بالعالم يمضي أسفلنا ونحن نائمين. قضينا الليل هناك في غرفة نومٍ واحدة، لكنها كانت بفراشين.

ثم خرجنا من دنڤر في منزلٍ من طراز توپسيل مانور متجه إلى شايان. كنا نتسكَّع بين المُدُن فقط، ولم يُكلِّفنا هذا مالًا

تنقلنا في نصف منزلٍ من طراز ساتون پالاس تاونهوم متَّجهًا إلى لا ندري أين، وخرجنا منه في بيلينجز، مونتانا.

ثم بدأنا في لعب روليت المنازل...

كففنا عن دخول مقاهي مواقف الشاحنات لنسأل عن وجهة كلِّ منزل، وقرَّرنا أن نقطع الغلاف البلاستيكي على متن أيِّ شاحنة ونُغلِقه وراءنا من الداخل فحسب.

سافرنا ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ في نصف منزلٍ من طراز فلامينجو لودج، ولم نستيقِظ إلا عندما وجدنا العمال يُركِّبونه على قاعدته في هاملتن، مونتانا، وخرجنا من الباب الخلفي في اللحظة التي وصلت فيها العائلة السعيدة التي اشترته.

كلُّ ما كان معنا هو مسدَّس آدم وحقيبة فرتيليتي.

كنا ضائعين في الصحراء.

خرجنا من ميسولا، مونتانا، في ثُلث منزلٍ من طراز كرافتسمان مانور يتجه غربًا إلى طريق الولايات 90.

مرَّت لافتة تقول: «سپوكان، 300 ميل».

وبعد سپوكان مرَّت لافتة تقول: «سياتل، 200 ميل».

في سياتل كان لدينا ابن صغير مصاب بثُقب في القلب.

في تاكوما كانت لدينا فتاة صغيرة فقدت الإحساس في ذراعيها وساقيها.

قلنا للناس إننا لا نعرف ما أصابها، فقالوا لنا أن ننتظر حدوث معجزة.

قال لنا الآباء ذوو الأطفال الموتى أو الأطفال المحتضِرين بالسرطان إن الله رحيم.

عشنا معًا فرتيليتي وأنا كأننا متزوِّجين، لكننا لم نتبادل أيَّ كلامٍ تقريبًا.

اتَّجهنا جنوبًا على طريق الولايات 5 عبر پورتلاند، أوريجون، في نصف منزلٍ من طراز هولي هيلز.

وقبل أن نستعد، نجد نفسينا في الديار، وأعني بهذا المدينة التي التقينا فيها للمرَّة الأولى. نقف على الرصيف إذ يبتعد منزلنا الأخير، ونتركه يبتعد.

لم أخبِر فرتيليتي بعد بأن أمنية آدم الأخيرة كانت أن أنام معها.

كأنها لا تعرف بالفعل.

لكنها تعرف. في تلك الليالي التي قضيتها غائبًا عن الوعي كان هذا كل ما تكلَّم عنه آدم معها. يجب أن نمارس الجِنس معًا كي أتحرَّر وأشعر بقوَّتي، كي أُثبِت لفرتيليتي أن الجِنس من شأنه أن يكون أكثر من مجرَّد

مستشار تسويق ثري في منتصف العمر يُفرِز حمضه النووي بداخلها. لكن الآن ليس هناك مكان يمكننا قضاء الليل فيه، فشقَّتي وشقَّتها أجَّرهما أناس آخرون، وفرتيليتي تعرف هذا.

تقول فرتيليتي:

- «ثمَّة مكان يمكننا قضاء الليلة فيه، لكن يجب أن أجري اتِّصالًا أولًا».

في كابينة الهاتف ثمَّة أحد مُلصَقاتي التي وضعتها منذ مليون سنة مضت.

«أعطِ لنفسك، لحياتك، فرصةً أخرى. اتصل بـي للمساعدة». ثم رقم هاتفي القديم.

أتَّصل، فيقول لي صوت مسجَّل إن الرقم مرفوع من الخدمة، فأقول للتسجيل: كفى مزاحًا.

تتَّصل فرتيليتي بالمكان الذي تقول إننا نستطيع قضاء الليلة فيه، وتقول:

- «اسمي فرتيليتي هوليس، من طرف دكتور أمبروزي».

إنها وظيفتها الشريرة...

إنها دائرة التاريخ المغلَقة التي تكلَّم عنها وكيل الأعمال، والآن تبدو لي قُدُرات فرتيليتي التنبؤيَّة سهلة للغاية. لا شيء جديدًا يحدث.

- «نعم، معي العنوان. آسفة على الاتِّصال المفاجئ، لكن الفرصة لم تسنح من قبل. لا، طوال الليل، لكن كلَّ مرَّةٍ ستُحسَب بمبلغٍ جديد. كلا، لا يوجد خَصم».

تقول في الهاتف:

- «يمكننا مناقَشة التفاصيل عندما نلتقي. كلا، لست مضطرًّا لإعطائي بقشيشًا».

تُطرقِع لي بأصابعها وتهمس طالبةً قلمًا، ثم تكتب على مُلصَق خطي الساخن القديم عنوانًا، مكرِّرةً رقم المنزل واسم الشارع في الهاتف.

- «حسن، في السابعة إذن».

في السماء فوقنا الشمس نفسها تُراقِبنا ونحن نرتكب الأخطاء والخطايا ذاتها مرَّةً بعد مرَّةٍ. إنها السماء الزرقاء ذاتها بعد كلِّ ما خُضناه. لا شيء جديدًا يحدث، لا مفاجآت.

المكان الذي ستأخذني إليه هو المنزل الذي كنت أعمل فيه، والزوجان اللذان ستُقدِّم لهما نفسها الليلة هما صاحبا الصوت الذي كان يحمل لي الأوامر عبر الهاتف.

- 5 -

الرحلة إلى فراش فرتيليتي محفوفة بالنوافذ ذات الزجاج المنقوش والطلاء المتقشِّر والقرميد الذي دبَّ فيه العَفَن والبُقَع الناجمة عن الصدأ. في كلِّ مكانٍ في الطريق إليها ثمَّة بالوعات مسدودة وعلامات بلاء وستائر متهدِّلة وتنجيد تالف.

كان هذا بعد أن صعد الرجل والمرأة اللذان كنت أعمل لديهما مع فرتيليتي إلى الطابق العلوي ليفعلوا ما لا يعلمه إلا الله، وكان بعد أن زحفتُ إلى الداخل عبر نافذة القبو التي أكَّدت فرتيليتي أنها ستكون غير موصدة، وبعد أن اختبأتُ في الفناء الخلفي بين الزهور الصناعيَّة التي سرقت كلًّا منها من قبرٍ ما، وبعد أن ضربت فرتيليتي جرس الباب في تمام السابعة.

الغبار يُغلِّف كلَّ شيءٍ في المطبخ، والأطباق الصيني مكوَّمة في الحوض وفيها من بقايا الطعام، وداخل الميكروويف يوحي بأن طعامًا قد انفجر فيه.

ولأني العبد الذي رُبِّي ودُرِّب وبيعَ كما تعرف، فإني أبدأ التنظيف في الحال. سَلني عن كيفيَّة تنظيف الميكروويف من خُثارة الحليب.

لا، لست أمزح، هلُم...

سَلني...

السر هو أن تغلي كوبًا من الماء في الميكروويف لدقائق قليلة، ما يجعل تنظيف الخُثارة سهلًا بفِعل البخار.

سَلني عن كيفيَّة تنظيف يديك من بُقَع الدم.

الحيلة هي أن تنسى السرعة التي يمكن أن تحدث بها تلك الأشياء؛ الانتحار والحوادث والجرائم العاطفيَّة.

فرتيليتي بالأعلى تمارِس عملها.

عليك فقط التركيز على البُقعة حتى تُمحى ذاكرتك كلها، والتكرار يُعلِّم الحمار حقًّا.

تجاهَل شعورك عندما تكون الموهبة الحقيقيَّة الوحيدة التي تتمتَّع بها هي إخفاء الحقيقة. إنك تملك موهبة ربَّانية حقيقيَّة في ارتكاب الخطايا الشنيعة. هذا هو نداؤك الحقيقي. لديك موهبة طبيعيَّة في الإنكار. إنها نِعمة.

إن كان يمكنك أن تعتبرها كذلك...

أقضي الليل كله في التنظيف، ولم أزل أشعر بالقذارة.

قالت لي فرتيليتي إن الإجراء سينتهي قبل منتصف الليل، ثم سيتركانها في غرفة النوم الخضراء وقد رفعت قدميها على وسادة، وبعد أن ينام الزوجان في حجرتهما سيمكنني أن أتسلَّل إلى غرفتها في أمان.

تقول ساعة الميكروويف إنها الحادية عشرة والنصف الآن.

أخاطِر بالصعود، والرحلة إلى فراش فرتيليتي محفوفة بالنباتات الذابلة ومقابِض الأبواب المتَّسخة، ببُقَع الذباب وبصمات الأصابع الملوَّثة بحبر الجرائد، بالحلقات المتخلِّفة عن الأكواب وحروق السجائر التي أفسدت الأثاث كله. شباك العناكب في كلِّ مكان.

الظلام سائد في غرفة النوم الخضراء، ومن بين الظلال تقول فرتيليتي:

- «أليس من المفترَض أن ننام معًا الآن؟».

أقول إنني أعتقد هذا.

- «أتمنى أنك لا تمانع أن تكون الثاني في الدور».

لا أمانع. أعني أنني أنفِّذ رغبة آدم.

- «هل معك واقٍ؟».

فأقول إنني حسبت أنها عاقِر.

- «بالطبع، لكني نمت مع مليون رجلٍ وقد أصيبك بمرضٍ فتّاك».

فأقول إن ذلك يُمثِّل مشكلةً لو كنت أنوي الحياة لفترةٍ طويلة فقط.

- «هذا ما أشعر به بالضبط نحو ديوني للبنك».

وهكذا نمارس الجِنس... إن كان يمكنك أن تعتبره كذلك... فبعد أن انتظرت حياتي كلها، لم أكد أدخلها حتى انتهى كلّ شيء، ثم تقول فرتيليتي وهي تدفعني عنها:

- «أتمنى أنك تشعر بالقوّة الآن».

ولا تمنحني فرصةً ثانيةً لأطارِحها الغرام، إن كان يمكنك أن تعتبره كذلك...

أظل أراقِبها لفترةٍ طويلة بعد أن غابت في النوم وأتساءل عن أحلامها؛ إن كانت تحلم الآن بكارثةٍ جديدة أو جريمة قتلٍ أو انتحار، وإن كانت تحلم بي.

- 4 -

أستيقظ في الصباح التالي لأسمع فرتيليتي تُكلِّم أحدًا على الهاتف همسًا، وأنهض لأجدها قد ارتدت ملابسها وتسأل مُحدِّثها:

- «أريد السؤال عن رحلة الثامنة صباحًا إلى سيدني. حسن، ذهاب فقط. مقعد مجاوِر للنافذة إذا أمكن. هل تقبلون الڤيزا؟».

ثم تضع السمَّاعة عندما تلاحظ أنني أراقِبها وترتدي حذاءها، ثم تبدأ في وضع دفتر التنظيم اليومي الخاص بها في حقيبتها الكبيرة قبل أن تتراجع وتضعه على التسريحة.

أسألها: إلى أين أنت ذاهبة؟

- «سيدني».

- لكن لماذا؟

- «بلا سبب».

أسألها أن تُخبِرني بالسبب، لكنها تبدأ في جرِّ حقيبتها نحو باب الحجرة وتقول في حنق:

- «لأنني حصلت على مفاجأتي، حصلت على مفاجأتي اللعينة، ولتحل بي اللعنة لأني لا أريدها، لا أريد أيًّا من هذا!».

- ماذا؟

- «أنا حامل!».

- لكن كيف تعرف هذا؟

تصرخ:

- «لأني أعرف كلَّ شيء! أو كنت أعرف كلَّ شيء، لأنني لم أعرف هذا ولم أتوقَّعه. لم أعرف أنني سآتي بطفلٍ إلى هذا العالم البائس الممل الشنيع، طفل سيرث موهبة رؤية المستقبَل مني ويعيش ميتًا من الضَّجَر، طفل لن يفاجئه شيء في حياته. هذا ما لم أتوقَّعه».

- والآن ماذا؟

- «سأذهب إلى أستراليا».

- لماذا؟

- «أمي قتلت نفسها، وأخي قتل نفسه. فكِّر بالأسباب».

- لكن لماذا أستراليا بالذات؟

تخرج من الغرفة وتجر الحقيبة نحو السلالم. أريد أن أتبعها لكنني عارٍ، وأسمعها تهتف:

- «اعتبرها عملية إجهاض راديكاليَّة».

يخرج من غرفة النوم الرئيسة رجل يرتدي البذلة الزرقاء التي كويتها مرارًا، وبصوتٍ سمعته عبر الهاتف ألف مرَّة يسألني:

- «هل أنت دكتور أمبروزي؟».

عندما ارتديت ملابسي على عجل كانت فرتيليتي قد خرجت من الباب الأمامي، ومن نافذة الغرفة أراها تعبر الحديقة نحو تاكسي ينتظرها.

تخرج إلى البهو امرأة ترتدي بلوزة حريرية غسلتها بيديَّ مرارًا، وتتجه نحو الرجل ذي البذلة الزرقاء بعدم فهم، ثم تصرخ المرأة:

- «إنه هو! أتذكُره؟ الرجل الذي كان يعمل لدينا. إنه المسيح الدجَّال!».

أدسّ دفتر فرتيليتي تحت إبطي وأفر إلى الخارج، ودون أن أتوقَّف

عن العدْو خروجًا من الباب الأمامي ومرورًا بالحديقة ونحو محطَّة الحافلات، أبحث عن تاريخ اليوم في الدفتر لأجد الإجابة.

في الواحدة وخمسٍ وعشرين دقيقة ظُهر اليوم سوف يتم اختطاف الطائرة 2039 المتَّجهة إلى سيدني، أستراليا، على يد شخصٍ مجنون قبل أن تسقط الطائرة في صحراء الآوتباك الأسترالية.

***

السيِّدات والسَّادة، بصفتي الراكب الأخير على متن الرحلة 2039 التي تعبر الآن سماء صحراء الآوتباك الأسترالية، فإنه واجبي أن أُعلِمكم بأن محرِّكنا الأخير قد انطفأ للتو.

الرجاء ربط أحزمة المقاعد إذ نبدأ الآن هبوطنا الأخير في غياهِب النسيان.

- 3 -

المطار يعج برجال الـFBI الباحثين عن تندر برانسن القاتل الجماعي، تندر برانسن الرسول الزائف، تندر برانسن مُفسِد نهائي دوري كرة القدم، تندر برانسن الذي هَجَر عروسه الجميلة على المذبح.

تندر برانسن المسيح الدجَّال.

ألحق بفرتيليتي عند مكتب الحجز وأسمعها تقول:

- «تذكرة واحدة. لديَّ حجز».

الصبغة السوداء التي استخدمناها كانت منذ أسابيع، والآن عادت جذور شعري الشقراء تظهر من جديد، كما أن طعام الطريق الغارق في الدُّهون أعادني بدينًا مرَّة أخرى. الآن لا ينقصني إلا حارس أمنٍ يُصوِّب سلاحه نحوي.

أتفقَّد جيب سترتي لأجده خاليًا وقد اختفي مسدَّس آدم بشكلٍ ما، وتقول فرتيليتي خافضةً رأسها:

- «مسدَّس أخيك معي إذا كنت تبحث عنه. سوف تُختطَف هذه الطائرة لا محالة حتى لو اضطررت لِفعل هذا بنفسي».

أقول لها إن المسدَّس خالٍ من الطَّلقات، وهي تعرف هذا.

- «بل محشو عن آخره. كنت أكذب عليك فقط كي لا تقلق».

كان آدم يستطيع إطلاق النار عليَّ في أيَّة لحظةٍ إذن.

ترفع فرتيليتي من حقيبتها جرَّة نحاسيَّة ثقيلة لامعة، وتقول لموظَّف مكتب الحجز:

- «سآخذ رفات أخي معي على متن الطائرة. هل هناك مشكلة في هذا؟».

يقول الموظف إنه لا توجد مشكلة. لا يمكن فحص الجرَّة بالأشعة السينيَّة، لكنهم سيسمحون لها بأخذها معها.

تدفع فرتيليتي ثمن التذكرة ونتجه نحو بوَّابات الأمن، وتُناوِلني الجرَّة قائلة:

- «إنني أحمل هذه منذ نصف ساعة. اجعل نفسك مفيدًا».

تركيز رجال الأمن القلقين مُنصَب على الجرَّة فلا يُعيرونني اهتمامًا. إنها مصنوعة من المعدن ولا أحد يريد فتحها، ناهيك عن دسِّ يده فيها وتفتيشها.

يبدو أن رجال الأمن يتحرَّكون هنا وهناك في أزواج، ينظرون إلينا ويتكلَّمون في أجهزة الووكي توكي. تحتك الجرَّة بساقي من داخل الحقيبة، وتنظر فرتيليتي إلى تذكرتها وإلى اللافتات مع كلِّ بوَّابةٍ نعبرها، وعندما نبلغ البوَّابة الأخيرة تقول:

- «هلُم، أعطِني الحقيبة واذهب».

يصطف الناس حولنا في طابور إذ تُعلِن مكبِّرات الصوت صعود الركاب إلى متن الطائرة.

يُرجى من حاملي تذاكر الصفوف من 50 إلى 75 الصعود إلى متن الطائرة.

لا أدري مَن مِن هؤلاء هو الإرهابي المجنون الذي سيختطف الطائرة.

في الساحة المفتوحة وراءنا بدأت أزواج رجال الأمن تصبح رباعيَّات وسداسيَّات، وتجذب فرتيليتي يد الحقيبة مني بعنف.

اصطحاب ترڤور معها غير منطقي على الإطلاق.

- «أريد حقيبتي!».

يُرجى من حاملي تذاكر الصفوف من 30 إلى 45 الصعود إلى متن الطائرة.

يُهروِل رجال الأمن عبر الساحة المفتوحة نحونا وقد استلَّ كلٌّ منهم سلاحه.

والآن أفهم أين مسدَّس آدم. إنه في الجرَّة، أقول، وأحاول اختطاف يد الحقيبة من يد فرتيليتي.

يُرجى من حاملي تذاكر الصفوف من 10 إلى 29 الصعود إلى متن الطائرة.

ثم تنكسر يد الحقيبة وتسقط منها الجرَّة على الأرض المفروشة بالسجَّاد فأطاردها أنا وفرتيليتي.

فرتيليتي تنوي اختطاف الطائرة.

- «يجب أن يفعلها أحدهم. إنه القَدَر».

الجرَّة في يدينا معًا الآن.

يُرجى من حاملي تذاكر الصفوف من 1 إلى 9 الصعود إلى متن الطائرة.

أقول إنه ليس من الضروري أن يموت أحد هنا.

النداء الأخير لرُكَّاب الرحلة 2039 إلى سيدني.

- «يجب أن تسقط هذه الطائرة في أستراليا. إنني لا أخطئ أبدًا».

يصيح أحد رجال الأمن:

- «مكانك!».

نُكرِّر، هذا هو النداء الأخير لرُكَّاب الرحلة 2039 إلى سيدني.

كان رجال الأمنِ يُطوِّقوننا عندما انفتحت الجرَّة لتتناثر منها رفات ترڤور هوليس في كلِّ مكان.

من التراب...

تتناثر الرفات في عيونهم.

... وإلى التراب نعود.

وفي أنوفهم وأفواههم.

تتناثر رفات ترڤور في سحابةٍ حولنا، ويسقط مسدَّس آدم على السجَّادة.

وقبل فرتيليتي، وقبل رجال الأمن، وقبل أن تُقلِع الطائرة، أختطِف المسدَّس من على الأرض، ثم أختطِف فرتيليتي. حسن، حسن، حسن، حسن، أقول وأنا أصوِّب المسدَّس إلى رأسها، سنفعل هذا على طريقتها.

وأمشي إلى الوراء ساحبًا إياها نحو البوابة صارخًا ألا يتحرَّك أحد، ثم أتوقَّف كي يُمزِّق موظَّف التذاكر تذكرتها وأومئ نحو الجرَّة المفتوحة وبقايا ترڤور التي أغرقت السجَّادة.

أقول: هل يسمح أحدكم بوضعه في الجرَّة مرَّة أخرى؟ إنه أخوها.

رجال الأمن يتَّخذون أوضاعهم المعتادة التي تراها في الأفلام ويُصوِّبون أسلحتهم نحو رأسي، بينما يعيد موظَّف التذاكر معظم ترڤور إلى الجرَّة ويناولها لفرتيليتي التي تشكره في حَرَج.

سوف نصعد إلى متن هذه الطائرة، أقول، وسوف تنطلق بنا.

وأمشي إلى الوراء ساحبًا إياها نحو مدخل الطائرة متسائلًا عن كنه المختطِف المجنون الحقيقي، وتنفجر فرتيليتي في الضحك عندما أسألها، وعندما أسألها لِمَ تضحك تجيبني:

- «يا للسخرية! ستعرف بعد قليلٍ جدًّا».

الركّاب محتشدون في النصف الخلفي من الطائرة وقد انحنوا وخفضوا رؤوسهم وأخذ بعضهم ينتحب، وفي الممر القريب من

قمرة القيادة ثمَّة كومة فيها المحافظ والساعات والحواسب والهواتف المحمولة وأجهزة التسجيل والستريو الصغيرة وخواتم الزفاف.

إنهم مدرَّبون حقًّا.

كأن أيًّا من هذا له علاقة بهم.

كأن أيًّا من هذا له علاقة بأموالهم.

أقول لطاقم الطائرة أن يوصد أبواب الكابينة. لقد سبق لي أن جرَّبت الطيران من ستادٍ إلى آخر.

في المقاعد الأقرب لنا يجلس باكستاني بدين وشابَّان في عمر الجامعة ورجل صيني.

أسأل فرتيليتي: أيهم؟ من هو المختطِف الحقيقي؟

تُنقِّب فرتيليتي في كومة القرابين وتقول وهي تلتقِط ساعة يد ثمينة وقلادة من اللؤلؤ:

- «فكِّر بالأسباب يا شرلوك».

وتضيف وهي تضع سوارًا ماسيًّا حول معصمها:

- «إنني مجرد رهينة بريئة هنا».

أصيح في الجميع أن يهدأوا، لكن هناك إرهابيًّا قاتلًا خطيرًا على متن هذه الطائرة وينوي إسقاطها.

يصرخ أحدهم، فأصرخ فيه أن اصمت، من فضلك.

أقول للجميع أن يبقوا كما هُم إلى أن أعثر على هذا الإرهابي.

تلتقط فرتيليتي خاتم سوليتير من الكومة وتضعه في إصبعها.

أقول للركاب إن أحدهم ينوي اختطاف الطائرة. لا أعرف من يكون لكنه يسعى إلى إسقاطها في أستراليا.

وتقهقه فرتيليتي في جَذَل...

هذا الشعور الممض بأن هناك دعابة كبيرة لا أُدرِكها.

أقول للجميع أن يحافظوا على هدوئهم، ثم أقول لواحدةٍ من المضيفات أن تدخل قمرة القيادة وتُبلغ القبطان بأنني لا أريد أن أؤذي أحدًا حقًّا، لكنني يجب أن أغادر هذا البلد. يجب أن نُقلِع ثم نهبط في مكانٍ آمن، في مكانٍ ما في منتصف الطريق بين هنا وسيدني حيث سينزل الجميع.

وإلى فرتيليتي الضاحكة أقول إنني سأتركها تنزل بدورها.

سوف نُكمِل هذه الرحلة، أقول، لكني سأكون وحدي مع طيَّارٍ واحدٍ فقط، وبمجرَّد أن تُحلِّق الطائرة مرَّة أخرى سأجعله يثب منها بالمظلَّة. واضح؟

فتجيبني المضيفة، والمسدَّس مصَّوب إلى وجهها، بالإيجاب.

سوف تسقط هذه الطائرة في أستراليا، أقول، وشخص واحد فقط سيموت.

وتبدأ الحقيقة في الاتضاح تدريجيًّا...

ربما ليس هناك مختطِف آخر. ربما أنا المختطِف.

بدأ الناس حولنا في تبادل الهمسات. لقد تعرَّفوا عليَّ. أنا القاتل الجماعي الذي ظهر على شاشة التليفزيون. أنا المسيح الدجال.

أنا المختطِف.

وأبدأ في الضحك...

أقول لفرتيليتي: لقد دبَّرتِ كلَّ هذا، أليس كذلك؟

تجيب ضاحكةً: بلى.

وأسألها ضاحكًا إن كانت حاملًا بحق، فتجيب ضاحكةً:

- «أخشى هذا، لكني لم أتوقَّع هذا فعلًا. إنها معجزة حقيقيَّة غير مغشوشة».

تُغلَق أبواب الكابينة وتوصَد، وتبدأ الطائرة في التحرُّك، وتقول فرتيليتي:

- «طيلة حياتك كنت تحتاج إلى الآخرين ليقولوا لك ما تفعله؛ عائلتك، كنيستك، أصحاب العمل، موظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة، وكيل أعمالك، أخيك. لكن لا أحد يستطيع مساعَدتك في هذا الموقف. كل ما أعرفه أنك ستجد سبيلًا للخروج من هذا المأزق، ستجد سبيلًا لإلقاء حياتك الفاشلة كلها وراء ظهرك، وسيعتبرك العالم كله ميتًا».

تبدأ محرِّكات الطائرة في الطنين الصاخب، وتُناوِلني فرتيليتي خاتم زفافٍ ذهبيًّا.

- «وبعد أن تحكي قِصَّة حياتك وتفرغ منها تمامًا—بعد ذلك سنبدأ حياةً جديدةً معًا ونعيش سعيدين إلى أن يُدركنا الموت».

- 2 -

في مكانٍ ما في الطريق إلى پورت ڤيلا في جُزُر نيو هبرايدز أقدِّم وجبة العشاء كما حلمت دائمًا. وجبتي الأخيرة.

كلُّ مَن وجدته يدهن الخبز بالزُّبد قبل أن يكسره أتوعَّده بأن أطلِق عليه النار.

كلُّ مَن يتناول مشروبه والطعام لا يزال في فمه سأطلِق عليه النار.

كلُّ مَن لا يضع منديلًا في حِجره سأطلِق عليه النار.

كلُّ مَن يستخدم أصابعه لا الملعقة.

كلُّ مَن يبدأ في الأكل قبل تقديم الطعام للجميع.

كلُّ مَن ينفخ في الطعام لتبريده.

كلُّ مَن يتكلَّم وفي فمه طعام.

كلُّ مَن يشرب النبيذ الأبيض حاملًا الكأس من أعلى أو النبيذ الأحمر حاملًا الكأس من أسفل.

كلكم سيتلقَّى طلقةً في رأسه.

نحن على ارتفاع ثلاثين ألف قدم فوق سطح الأرض، وننطلق بسرعة 455 ميلًا في الساعة. نحن ذُروة الإنجاز البشري، وسوف نجلس ونتناول هذه الوجبة معًا كقومٍ متحضِّرين.

- 1 -

هذا هو اعترافي إذن. اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة...

وطِبقًا لفرتيليتي، فإذا استطعت فقط أن أجد سبيلًا للفرار، الفرار من وجودي هنا، الفرار من السقوط، من كوني تندر برانسن، من الشُّرطة، من ماضيَّ، من قِصَّة حياتي المتشابكة البائسة المحروقة... قالت فرتيليتي أن أجد وسيلةً لإخبار الناس بكلِّ شيءٍ حتى وصولي إلى هذه النقطة، وعندها سأجد المَخرَج.

إذا نجوت سيمكنني أن أرحل تاركًا قِصَّة حياتي القديمة ورائي.

إذا نجوت، قالت، سنعمل على تحسين أدائي الجِنسي.

سنعمل على بناء حياةٍ جديدةٍ معًا، سنتلقَّى دروسًا في الرقص معًا.

قالت فرتيليتي أن أحكي قِصَّة حياتي إلى أن تصدم الطائرة الأرض، وعندها سيحسب العالم أني مت. قالت أن أبدأ من النهاية.

اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة...

اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة...

لا أدري إن كان هذا الشيء يعمل، لا أدري إن كنت تسمعني.

لكن إذا كان يمكنك أن تسمعني، أريدك أن تُصغي. وإذا كنت تُصغي، فما بين يديك الآن هو القِصَّة التي تحكي كلَّ الأخطاء التي حدثت. هذا هو مُسجِّل الرحلة 2039، أو الصندوق الأسود كما يُطلِقون عليه، على الرغم من أنه برتقالي اللون، وبداخله حلقة من الأسلاك التي تحوي التسجيل الدائم لكل ما تبقَّى. إن ما وجدته هو قِصَّة كلِّ ما حدث.

هلُم...

يمكنك تسخين هذه الأسلاك إلى أن تتّقد ولن تختلف القصة التي ستُخبرك بها في شيء.

اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة...

وإذا كنت تُصغي، فيجب أن تعرف أن المسافرين هبطوا في پورت ڤيلا بجمهورية ڤانواتو مقابل نصف دستةٍ من المظلات والمزيد من زجاجات الچين الصغيرة، وبعدما عُدنا إلى التحليق نحو أستراليا، ووثب الطيَّار إلى حُرِّيَّته.

سوف أردِّدها مرَّة بعد مرَّة، لكنني لست بقاتل.

إنني وحيد تمامًا هنا وقد انطفأت المحرِّكات الأربعة وبدأت الطائرة السقوط في أستراليا بسرعة اثنين وثلاثين قدمًا في الثانية. السرعة النهائيَّة.

اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة...

مرَّة أخرى، أنت تصغي لمُسجِّل الرحلة 2039. وعلى هذا الارتفاع -اسمعني- وبهذه السرعة، ومع خلو الطائرة، سيكون الصندوق الأسود قد سجَّل كلَّ كلمةٍ قلتها هنا في قمرة القيادة، ولن تتحوَّل قِصَّتي إلى مليون شظيةٍ مكسورة دامية ثم تحترق مع حطام طائرةٍ تزن ألف طن. عندما تتحطَّم الطائرة سيبحثون عن الصندوق الأسود، وستنجو قِصَّتي، وسأعيش إلى الأبد.

وإذا استطعت أن أفهم ما قصدته فرتيليتي سأستطيع إنقاذ نفسي، لكني لا أستطيع لأني غبي.

اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة...

هذا هو اعترافي إذن.

دعائي، قِصَّتي، تعويذتي.

اسمَعوني، شاهِدوني، تذكَّروني.

الفاشل العزيز...

المُنقِذ الفاسد...

الحبيب الذي كان، في الطريق إلى الله...

إنني حبيسٌ هنا، في سقوطي السريع، في حياتي، في قمرة القيادة، والصحراء الأسترالية تقترب بسرعةٍ جهنّميَّة.

وثمَّة أشياء كثيرة أتمنى لو أستطيع تغييرها، لكنني عاجزٌ عن ذلك.

هي النهاية إذن، وهي مجرَّد قِصَّة الآن.

هذه حياة وموت تندر برانسن، والسماء زرقاء جميلة في كلِّ اتجاه، والشمس مكتملة حارقة أمامي مباشرةً. إننا فوق السُّحُب، واليوم يوم جميل إلى الأبد.

اختبار، اختبار، واحد، اثنـ...

«جسدك مجرّد شيء ترتديه وأنت تتسلّم الأوسكار. الغرض الوحيد من يدك أن تحمل بها جائزة نوبل. شفتاك مخلوقتان فقط كي تطبع قُبلة في الهواء على وجه مذيعة التوك شو. قلبك لا ينبض إلا كي تكون ضيفًا دائمًا على مائدة العشاء في البيت الأبيض. جهازك العصبي المركزي ليس موجودًا إلا كي تخاطِب الجمعية العامّة للأمم المتحدة.»

يُقدِّم لنا صاحب «نادي القتال» في روايته الثانية حكاية مليئة بالتفاصيل المثيرة والمدهشة والساحرة، عن تندر برانسن -النّاجي الأخير من طائفة الموت الكريدشيّة- الذي يحكي قِصّة حياته الحافلة للصندوق الأسود على متن الرحلة 2039 على ارتفاع 39 ألف قدم في مكانٍ ما فوق المحيط الهادئ. إنه وحيدٌ الآن على متن الطائرة التي تبقّت لها ساعات قليلة قبل أن ينفد منها الوقود تمامًا وتسقط في الصحراء الأوسترالية الواسعة، لكن قبل أن يحدث هذا سوف يروي برانسن لنا تفاصيل رحلة تحوُّله من الطفل الكريدشي المطيع، والخادم المتواضِع الذي كانه، إلى الزعيم الديني العالمي المُلهِم صاحب السيرة الذاتية والكُتب الأكثر مبيعًا، ويُرينا لمحة من الجنون الذي يسود عالمنا المعاصِر.

"هي رحلة مضطربة هائجة عبر تقلبات الشهرة وطبيعة الايمان."

سان فرانسيسكو كرونيكل

تصميم الغلاف كريم طاهر

ISBN 978-977-6483-01-9
9 789776 483019

توزيع حصري: دار التنوير

منشورات الرمل